الــصــحــيــح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ. ـ ٢٠٠٩م.

المركز الإسلامي للدراسات

الــصــحــيــح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الثالث والعشرون

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث:

أسئلة وحوارات مع غير المسلمين..

الفصل الأول:

يوناني يسأل علياً عليه السلام

علي عليه السلام والطبيب اليوناني:

عن أبي محمد العسكري، عن علي بن الحسين زين العابدين «عليهم السلام» أنه قال:

كان أمير المؤمنين «عليه السلام» قاعداً ذات يوم، فأقبل إليه رجل من اليونانيين المدعين للفلسفة والطب، فقال له:

يا أبا الحسن، بلغني خبر صاحبك وأن به جنوناً، وجئت لأعالجه، فلحقته قد مضى لسبيله، وفاتني ما أردت من ذلك، وقد قيل لي: إنك ابن عمه وصهره، وأرى بك صفاراً قد علاك، وساقين دقيقين، وما أراهما تقلَّانك.

فأما الصفار فعندي دوائه.

وأما الساقان الدقيقان فلا حيلة لي لتغليظهما.

والوجه: أن ترفق بنفسك في المشي، تقلله ولا تكثره، وفيما تحمله على ظهرك، وتحتضنه بصدرك. أن تقللهما ولا تكثرهما، فإن ساقيك دقيقان، لا يؤمن عند حمل ثقيل انقصافهما.

وأما الصفار فدوائه عندي، وهو هذا ـ وأخرج دواء ـ وقال:

هذا لا يؤذيك، ولا يخيسك، ولكنه يلزمك حمية من اللحم أربعين صباحاً، ثم يزيل صفارك.

فقال له علي بن أبي طالب «عليه السلام»: قد ذكرت نفع هذا الدواء لصفاري، فهل تعرف شيئاً يزيد فيه ويضره؟!

فقال الرجل: بلى، حبة من هذا ـ وأشار إلى دواء معه ـ وقال: إن تناوله إنسان وبه صفار أماته من ساعته، وإن كان لا صفار به صار به صفار حتى يموت في يومه.

فقال علي «عليه السلام» فأرني هذا الضار، فأعطاه إياه.

فقال له: كم قدر هذا؟!

قال: قدره مثقالين سم ناقع، قدر كل حبة منه يقتل رجلاً.

فتناوله علي «عليه السلام» فقمحه(١)، وعرق عرقاً خفيفاً.

وجعل الرجل يرتعد ويقول في نفسه: الآن أؤخذ بابن أبي طالب، ويقال: قتلته، ولا يقبل مني قولي: إنه هو الجاني على نفسه.

فتبسم علي بن أبي طالب «عليه السلام» وقال: يا عبد الله، أصح ما كنت بدناً الآن، لم يضرني ما زعمت أنه سم.

ثم قال: فغمض عينيك.

فغمض، ثم قال: افتح عينيك. ففتح.

---

(١) أي أفرغه في كفه، ثم بثه في داخل فمه.

ونظر إلى وجه علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فإذا هو أبيض، أحمر، مشرب حمرة. فارتعد الرجل لما رآه.

وتبسم علي «عليه السلام» وقال: أين الصفار الذي زعمت أنه بي.

فقال: والله لكأنك لست من رأيت، قبل كنت مصفراً، فإنت الآن مورَّد.

فقال علي «عليه السلام»: فزال عني الصفار الذي تزعم: أنه قاتلي.

وأما ساقاي هاتان ـ ومد رجليه، وكشف عن ساقيه ـ فإنك زعمت أني أحتاج إلى أن أرفق ببدني في حمل ما أحمل عليه، لئلا ينقصف الساقان، وأنا أريك أن طب الله عز وجل على خلاف طبك، وضرب بيده إلى أسطوانة خشب عظيمة، على رأسها سطح مجلسه الذي هو فيه، وفوقه حجرتان، إحداهما فوق الأخرى، وحركها فاحتملها، فارتفع السطح، والحيطان، وفوقهما الغرفتان.

فغشي على اليوناني.

فقال علي «عليه السلام»: صبوا عليه ماء.

فصبوا عليه ماء، فأفاق وهو يقول: والله ما رأيت كاليوم عجباً.

فقال له علي «عليه السلام»: هذه قوة الساقين الدقيقين واحتمالهما، أفي طبك هذا يا يوناني؟!

فقال اليوناني: أمثلك كان محمد؟!

فقال علي «عليه السلام»: وهل علمي إلا من علمه، وعقلي إلا من

عقله، وقوتي إلا من قوته، ولقد أتاه ثقفي وكان أطب العرب، فقال له: إن كان بك جنون داويتك؟!

فقال له محمد «صلى الله عليه وآله»: أتحب أن أريك آية تعلم بها غناي عن طبك وحاجتك إلى طبي؟!

قال: نعم.

قال: أي آية تريد؟!

قال: تدعو ذلك العذق، وأشار إلى نخلة سحوق فدعاه، فانقلع أصلها من الأرض، وهي تخد الأرض خداً حتى وقفت بين يديه.

فقال له: أكفاك؟!

قال: لا.

قال: فتريد ماذا؟!

قال: تأمرها أن ترجع إلى حيث جاءت منه، وتستقر في مقرها الذي انقلعت منه.

فأمرها، فرجعت، واستقرت في مقرها.

فقال اليوناني لأمير المؤمنين «عليه السلام»: هذا الذي تذكره عن محمد «صلى الله عليه وآله» غائب عني، وأنا أريد أن أقتصر منك على أقل من ذلك، أتباعد عنك، فادعني، وأنا لا أختار الإجابة، فإن جئت بي إليك فهي آية.

قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: إنما يكون آية لك وحدك، لأنك تعلم

من نفسك أنك لم ترده، وأني أزلت اختيارك من غير أن باشرت مني شيئاً، أو ممن أمرته بأن يباشرك، أو ممن قصد إلى اختيارك وإن لم آمره، إلا ما يكون من قدرة الله القاهرة.

وأنت يا يوناني يمكنك أن تدعي، ويمكن غيرك أن يقول: إني واطأتك على ذلك، فاقترح إن كنت مقترحاً ما هو آية لجميع العالمين.

قال له اليوناني: إن جعلت الاقتراح إلي، فأنا أقترح: أن تفصل أجزاء تلك النخلة، وتفرقها وتباعد ما بينها، ثم تجمعها وتعيدها كما كانت.

فقال علي «عليه السلام» هذه آية وأنت رسولي إليها ـ يعني إلى النخلة ـ فقل لها: إن وصي محمد رسول الله يأمر أجزائك: أن تتفرق وتتباعد.

فذهب، فقال لها ذلك، فتفاصلت، وتهافتت، وتنثرت، وتصاغرت أجزاءها حتى لم ير لها عين ولا أثر، حتى كأن لم تكن هناك نخلة قط.

فارتعدت فرائص اليوناني وقال: يا وصي محمد رسول الله، قد أعطيتني اقتراحي الأول، فاعطني الآخر، فأْمُرها أن تجتمع وتعود كما كانت.

فقال: أنت رسولي إليها، فعد فقل لها: يا أجزاء النخلة، إن وصي محمد رسول الله يأمرك أن تجتمعي كما كنت، وأن تعودي.

فنادى اليوناني، فقال ذلك، فارتفعت في الهواء كهيئة الهباء المنثور، ثم جعلت تجتمع، جزؤ جزؤ منها، حتى تصور لها القضبان، والأوراق، وأصول السعف، وشماريخ الأعذاق، ثم تألفت، وتجمعت، وتركبت، واستطالت، وعرضت، واستقر أصلها في مقرها، وتمكن عليها ساقها، وتركب على الساق قضبانها،وعلى القضبان أوراقها، وفي أمكنتها أعذاقها.

وكانت في الابتداء شماريخها متجردة لبعدها من أوان الرطب، والبسر، والخلال.

فقال اليوناني: وأخرى أحب أن تُخرِج شماريخَها أخلالَها، وتقلبها من خضرة إلى صفرة وحمرة، وترطيب وبلوغ إناة، لتأكل وتطعمني ومن حضرك منها.

فقال علي «عليه السلام» أنت رسولي إليها بذلك، فمرها به.

فقال لها اليوناني: ما أمره أمير المؤمنين «عليه السلام» فأخلَّت، وأبسرت، واصفرت واحمرت، وترطبت، وثقلت أعذاقها برطبها.

فقال اليوناني: وأخرى أحبها، تقرب بين يديي أعذاقها، أو تطول يدي لتنالها.

وأحب شيء إلي: أن تنزل إليَّ إحداهما، وتطول يدي إلى الأخرى التي هي أختها.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: مد اليد التي تريد أن تنالها وقل: يا مقرب البعيد قرب يدي منها.

واقبض الأخرى التي تريد أن ينزل العذق إليها، وقل: يا مسهل العسير، سهل لي تناول ما يبعد عني منها.

ففعل ذلك وقاله، فطالت يمناه، فوصلت إلى العذق، وانحطت الأعذاق الأخر، فسقطت على الأرض، وقد طالت عراجينها.

ثم قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: إنك إن أكلت منها ولم تؤمن بمن أظهر لك من عجائبها، عجل الله عز وجل إليك من العقوبة التي يبتليك

بها ما يعتبر به عقلاء خلقه وجهالهم.

فقال اليوناني: إني إن كفرت بعد ما رأيت فقد بالغت في العناد، وتناهيت في التعرض للهلاك، أشهد أنك من خاصة الله، صادق في جميع أقاويلك عن الله، فأمرني بما تشاء أطعك.

قال علي «عليه السلام»: آمرك أن تقر لله بالوحدانية، وتشهد له بالجود والحكمة، وتنزهه عن العبث والفساد، وعن ظلم الإماء والعباد.

وتشهد أن محمداً الذي أنا وصيه سيد الأنام، وأفضل رتبة في دار السلام.

وتشهد أن علياً الذي أراك ما أراك، وأولاك من النعم ما أولاك، خير خلق الله بعد محمد رسول الله، وأحق خلق الله بمقام محمد «صلى الله عليه وآله» بعده، وبالقيام بشرايعه وأحكامه.

وتشهد أن أولياءه أولياء الله، وأعدائه أعداء الله.

وأن المؤمنين المشاركين لك فيما كلفتك، المساعدين لك على ما أمرتك به خيرة أمة محمد «صلى الله عليه وآله»، وصفوة شيعة علي.

وآمرك: أن تواسي إخوانك المطابقين لك على تصديق محمد «صلى الله عليه وآله» وتصديقي، والانقياد له ولي، مما رزقك الله وفضلك على من فضلك به منهم، تسد فاقتهم، وتجبر كسرهم وخلتهم.

ومن كان منهم في درجتك في الإيمان ساويته من مالك بنفسك.

ومن كان منهم فاضلاً عليك في دينك آثرته بما لك على نفسك، حتى يعلم الله منك أن دينه آثر عنك من مالك، وأن أوليائه أكرم عليك من

أهلك وعيالك.

وآمرك: أن تصون دينك، وعلمنا الذي أودعناك، وأسرارنا التي حملناك. ولا تبد علومنا لمن يقابلها بالعناد، ويقابلك من أهلها بالشتم، واللعن، والتناول من العرض والبدن، ولا تفش سرنا إلى من يشنع علينا، وعند الجاهلين بأحوالنا. ولا تعرض أولياءنا لبوادر الجهال.

وآمرك: أن تستعمل التقية في دينك، فإن الله عز وجل يقول: ﴿**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾(١).

وقد أذنت لك في تفضيل أعدائنا إن ألجأك الخوف إليه، وفي إظهار البراءة منا إن حملك الوجل عليه، وفي ترك الصلاة المكتوبات إن خشيت على حشاشتك الآفات والعاهات، فإن تفضيلك أعداءنا علينا عند خوفك لا ينفعهم ولا يضرنا، وإن إظهارك براءتك منا عند تقيتك لا يقدح فينا ولا ينقصنا.

ولإن تبرأت منا ساعة بلسانك وأنت موال لنا بجنانك لتبقي على نفسك روحها التي بها قوامها، وما لها الذي به قيامها، وجاهها الذي به تماسكها، وتصون من عرف بذلك وعرفت به من أوليائنا وإخواننا من بعد ذلك بشهور وسنين إلى أن يفرج الله تلك الكربة، وتزول به تلك الغمة، فإن ذلك أفضل من أن تتعرض للهلاك، وتنقطع به عن عمل الدين، وصلاح

---

(١) الآية ٢٨ من سورة آل عمران.

إخوانك المؤمنين.

وإياك ثم إياك أن تترك التقية التي أمرتك بها، فإنك شائط بدمك ودم إخوانك، معرض لنعمتك ونعمهم للزوال، مذل لك ولهم في أيدي أعداء دين الله، وقد أمرك الله بإعزازهم، فإنك إن خالفت وصيتي كان ضررك على نفسك وإخوانك أشد من ضرر الناصب لنا، الكافر بنا(١).

ونقول:

إننا نقتصر على النقاط التالية:

سند الرواية:

ذكر الطبرسي «رحمه الله»: أن سنده إلى هذه الرواية، وسائر احتجاجات الإمام العسكري «عليه السلام» المذكور في كتابه،عن مهدي بن أبي حرب الحسيني المرعشي، وكان عالماً عابداً، عن جعفر بن محمد بن أحمد الدوريستي، وهو ثقة عين، عن أبيه (وهو فقيه عالم فاضل)، عن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (وهو غني عن التعريف)، عن محمد بن القاسم المفسر الأستراآبادي (شيخ الصدوق)، عن يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن سيار

---

(١) الإحتجاج ج١ ص٥٤٧ ـ ٥٥٧ والتفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص١٧٠ ـ ١٧٦ وبحار الأنوار ج١٠ ص٧٠ وج٤٢ ص٤٥ وج٧١ ص٢٢١ وج٧٢ ص٤١٨ وج٥٩ ص١٥٨ وحلية الأبرار ج١ ص٣١١ ومدينة المعاجز (ط حجرية) ص٥٨ وأورد بعضه في الوسائل ج١١ ص٤٧٨ وكذا في مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٠١.

(وكانا من الشيعة الإمامية)، عن الإمام العسكري «عليه السلام»(١).

وما صاحبكم بمجنون:

ذكرت الرواية: أن ذلك اليوناني ادعى أنه قد قيل له: إن النبي «صلى الله عليه وآله» مجنون.. وأنه جاء ليعالجه، فوجده قد مضى لسبيله، ثم عرض على أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يعالجه من صفرة في وجهه. أما ما يراه من دقة ساقيه، فلا حيلة له لتغليظهما..

ومن الواضح: أن ذلك اليوناني كان مأخوذاً بافتراءات أعداء رسول الله «صلى الله عليه وآله» واتهامهم إياه بالجنون بهدف إبعاد الناس عنه، ويبدو أنه كان صادقاً في عرضه على علي «عليه السلام» أن يداويه من صفرة رآها في وجهه «عليه السلام».

غير أن الأمر الذي يثير العجب هنا: أن لا يلتفت هذا اليوناني إلى أنه كيف استطاع ذلك المتهم بالجنون أن يقنع الناس بدعوته، وأن يدفع كيد أعدائه وأعدائها، ويكسر شوكتهم، ثم يؤسس دولة ونظاماً قوياً، ويلزم الناس كلهم بالعمل وفق الشريعة التي جاءهم بها؟!

وهل يمكن للمجنون أن يأتي بشريعة صحيحة ومتناسقة في جميع فصولها وأحكامها وتعاليمها؟! ويسوس الناس سياسة حكيمة، ويؤسس دولة تسقط العروش، والامبراطوريات؟!

---

(١) راجع: التفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص٣٣٩ والإحتجاج ج١ ص٦ ـ ٩ وراجع ص٤ وبحار الأنوار ج٢ ص٢.

ولنفترض أنه كان مجنوناً بالفعل، فإن الأمة لم تكن مجنونة، بل كان فيها العقلاء، والأذكياء والدهاة، وأهل التجربة والسياسة والحكمة، فأين عزبت أحلامهم عنهم؟! وكيف أسلموه قيادهم، ومكنوه من بسط نفوذه، وفرض أحكامه عليهم؟!

وإذا كانوا قد أجبروا على ذلك في حياته، فهل أجبرهم عليه بعد وفاته، ومن الذي أجبرهم على اقتفاء نهجه، والتزام شرعه؟!

فإن كان ابن عمه علي بن أبي طالب، فمن الواضح: أنه قد استبعد قسراً عن الساحة السياسية. وبلغت الأمور به حداً جعله يشكو ما يعانيه أمام قبر ابن عمه، ويقول: «إن القوم استضعفوني، وكادوا يقتلوني»(١).

ويقول: «فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب»(٢).

---

(١) راجع: بصائر الدرجات ص٢٩٥ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص٨ والمسترشد ص٣٧٨ والاختصاص للمفيد ص١٨٦ و ٢٧٥ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٨١ وج٢ ص٨٥ والعقد النضيد والدر الفريد ص١٦١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٦٠ ومدينة المعاجز ج٢ ص٢٧٩ وج٣ ص١٢ و بحار الأنوار ج٢٨ ص٢٢٠ و ٢٢٨ وج٤١ ص٥١ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٤٠٢ و ٤٤٧ والغدير ج٧ ص٧٨ وج٩ ص٣٨٨ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١١ ص١١١ وتفسير العياشي ج٢ ص٦٧.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢٠ ص٢٩٩ والدرجات الرفيعة ص٣٧

التحدي العلوي:

وقد لاحظنا: أن علياً «عليه السلام» لم يحاول أن يقنع ذلك اليوناني بالأدلة والبراهين العقلية، والبحث العلمي والموضوعي، بل بادر إلى اعتماد أسلوب التحدي، والدفع بالأمور إلى أقصى مدى، حيث اختار تناول دواء قاتل وسريع التأثير، يفتك بالجسم، ويقضي عليه في ساعته ولا يعطي الفرصة لاستعمال معالجات تدفع سورته وتزيل أثره.

وقد اختار «عليه السلام» إظهار المعجزة والكرامة لذلك اليوناني في نفس الوقت والساعة.. وقد جاءت النتيجة فوراً، وكانت مناقضة لتوقعات ذلك اليوناني، فبدلاً من حلول الكارثة تحققت المعجزة، وهي الانتعاش الظاهر، والقوة، والصحة والسلامة، والعافية بأجلى صورها، وأحسن حالاتها، وأظهر تجلياتها..

ولعله «عليه السلام» رأى أن ذلك الطبيب لم يكن من أهل المعرفة بغير الفن الذي مارسه وعرف به، وهو الطب.

بل قد يكون أقل تنبهاً من غيره حتى بالنسبة للأمور العادية، كما تدل عليه غفلته عن أن المجنون لا يمكن أن يقيم دولة، ولا يبقى الدين الذي جاء به من بعده كما شرحناه آنفاً، ولا يمكن أن يكون دين المجانين منسجماً، وصحيحاً ومرضياً ومقبولاً، لأنه سيكون على تشريعاته وأحكامه وتعاليمه مسحة من الجنون أيضاً..

والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٧٢٨.

فآثر «عليه السلام» أن يواجهه بمعجزة حسية تحسم الأمر، قوامها: نقض معادلة يؤمن بها، من خلال خبرته وما صنعته يده، وما عرف هو عُجْرَهُ وبُجْرَهُ، لا بالتصرف بأمر آخر بعيد عنه، قد يزين الشيطان احتمال التأثير الخفي أو السحري فيه..

وهذا ما حصل فعلاً، فقد شرب «عليه السلام» ذلك السم الذي استحضره ذلك الطبيب بنفسه، وأجرى عليه الطبيب اختباراته، ليتأكد من النتيجة التي جاءت عكس توقعاته العلمية..

المطلوب حفظ نتائج المعجزة:

وقد رأينا كيف أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان مهتماً بحفظ المعجزة في آثارها ونتائجها، واستلاب فرصة إجهاضها من قِبَلِ الآخرين، بتحريرها من أسر أهوائهم، وصيانتها من الارتهان لتقلبات أهوائهم، وعوادي نزواتهم..

ولذلك لم يرض «عليه السلام» بأن يخضع إرادة ذلك الطبيب للتصرف الإعجازي لسببين:

أحدهما: أن تأثير المعجزة واستثمارها في الدعوة سيصبح رهناً بإرادة وبإنصاف ذلك الطبيب، وبصحة نواياه، وعدم خضوعه لأهوائه، ولتسويلات الشيطان.. وهذا ما لا يملك أحد ضمانة فيه، ولا يخضع لضابطة، ولا تقبل دعوى الاطلاع عليه من أحد من الناس. ولا مجال لفرض الصدق في التعبير والإخبار عنه.. ولذلك رفض «عليه السلام» الارتهان إلى خصمه في هذا الأمر.

الثاني: أنه يمكن لذلك الطبيب نفسه، ويمكن للآخرين الذين يرون هذه المعجزة أيضاً أن يدعوا: أن ما يجري بين علي «عليه السلام» وبين ذلك الطبيب قد جاء على سبيل التواطؤ بينهما، وأنه مجرد تمثيلية تهدف إلى خداع الناس بما لا حقيقة له.. بمعنى: أن علياً «عليه السلام» قد اتفق مع ذلك اليوناني على التظاهر بشلل إرادته، وعجزه عن الإختيار، وعن الحركة. وليس ثمة ما يثبت عكس هذا الاحتمال بصورة ظاهرة وقاطعة..

فمن أجل هذا وذاك رفض «عليه السلام» جعل إرادة ذلك اليوناني موضعاً للتصرف الإعجازي، وألزمه باقتراح آية بعيدة عن هذا السياق، مما لا يمكن توهم التواطؤ فيه..

فاقترح اليوناني: أن يأمر أجزاء النخلة القريبة منهم بالتفرق، فتفرقت، ثم أمرها بالاجتماع فاجتمعت، ولم يباشرها في هذا وذاك أي كان من الحاضرين بغير المراقبة، والنظر من بعيد.

وقد جعل «عليه السلام» ذلك اليوناني رسوله إلى تلك النخلة، وولاه مخاطبتها وإبلاغها أوامره.

ولم يباشر هو «عليه السلام» خطابها، ربما ليبعد عنه وعن الحاضرين أي توهم في أن يكون «عليه السلام» قد ضمن كلماته مع النخلة أي شيءٍ من الأوراد، أو الكلمات ذات التأثير السحري فيها.

المعجزة ونزول العذاب:

تضمن النص المقتدم: إظهار عدة آيات لذلك الطبيب اليوناني ولمن حضر.. ولكنها كلها جاءت بمبادرات من أمير المؤمنين «عليه السلام»

نفسه.. ولم يكذبها ذلك الطبيب ولا عاندها، ولكنه حين اقترح هو أن تخرج النخلة له ثمراً قد أينع، وأن يأكل منه «عليه السلام»، ويطعم الحاضرين بما فيهم اليوناني نفسه.. فحصل له ما أراد.. فلما بلغ الأمر إلى أكله منها جاءه التحذير القوي والحازم بأنه إن أكل منها، ولم يؤمن حلت به العقوبة الموجبة لاعتبار الخلق به.

وهذا هو جزاء من يقترح الآيات، مدعياً أنه سوف يؤمن بها إن جاءته، ثم يكفر بها، فإن تكذيبه بتلك الآيات، يعد سخرية منه بالقدرة الإلهية، فلذلك استحق أمثال هذه العقوبة.

ما طلبه علي عليه السلام من اليوناني:

وما طلبه علي «عليه السلام» من الطبيب اليوناني يحتاج إلى دراسة خاصة.. نسأل الله أن يوفق لها من هو أهل لها، وأن ينعم عليه بتوفيقاته لاكتشاف كنوزها التي لا تقدر بثمن، غير أنني أشير هنا إلى شيء يسير منها على النحو التالي:

الشهادة لله بالجود:

إن أول ما طلبه «عليه السلام» من اليوناني بعد الإقرار بتوحيد الله، والإقرار بجوده تعالى. وحيث يبدو أن المطلوب هو التعاطي مع شؤون الإيمان من موقع تأثيرها العملي المباشر في واقع الحياة.

وتتجلى أهمية الإقرار بجوده تعالى إذا لاحظنا: أن الكثير من المشكلات، والانحرافات، والكوارث والمآسي الناشئة عن الفساد والإفساد سببها سوء

الظن بالله تعالى، فتجد بعض الناس يمارس الاحتيال، والاحتكار، والسرقة، والتزوير، والسلب، ويشن الحروب، ويفتعل الأزمات، ويرشو ويرتشي، ويسعى للتسلط على الناس، ويرتكب جميع أنواع الجرائم والعظائم، لأنه يريد أن يحصل على المال وعلى الموقع، وعلى الجاه، والسلطة، والنفوذ بنفسه، وبوسائله السريعة التأثير، لأنه يخشى أن تفوته، ويرى أن حنكته وحيلته وظلمه، و.. و.. وهو الذي يوصله إليها، ولا يثق بكرم الله، ولا بتوفيقاته، ولا بقدرته على الإعطاء والمنع، بل هو يرى أن الله تعالى بخيل، لا يرزق، ولا يعطي ولا يوفق لنيل لقمة الحلال، وأنه لا يشفي المريض، ولا يعطيه المقام والجاه والعزة.. ولا.. ولا..

كما أن انقطاعه عن الجود الإلهي يدفعه للانغماس بمختلف الرذائل الأخلاقية، مثل الكذب، والخيانة، والخديعة، وخلف الوعود، ونقض العهود، وتزوير العقود. ويرميه في براثن الحقد، والحسد، والبخل، والحرص وما إلى ذلك..

ثم هو يشعر بأنه ليس بحاجة إلى الله وإلى طاعته، ويدعوه ذلك للتخلي عن دينه، وعن قيمه، ويرى أنه تعالى لا يحق له أن يحاسبه ويعاقبه، وأن يطالبه بأي حق سلبه، أو حرمة انتهكها، أو جريمة ارتكبها..

فإن فعل ذلك كان الله ـ والعياذ بالله ـ معتدياً عليه، ظالماً له..

وسيصبح الحق أعدى أعداء هؤلاء الناس. وسيزيدهم بيان الحق والحقوق، والحديث عن الله وعدله، وعن دار الجزاء وعن الجنة والنار ـ سيزيدهم ذلك ـ طغياناً وكفراً، وسيكون حب الدنيا الذي يجمعهم هو

نفسه الذي يفرقهم، ويوجب تباغضهم ثم تناحرهم فيما بينهم.

وهذا ما جرى لليهود بالفعل، حيث قالوا: ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾(١).

وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾(٢).

والحديث حول هذا الموضوع طويل ومتشعب والمقصود هو مجرد الإشارة.

أفضلية نبينا صلى الله عليه وآله:

ولوحظ أيضاً: أنه «عليه السلام» يطلب من هذا الطبيب أن يقر لمحمد «صلى الله عليه وآله» بالأفضلية على جميع البشر.

ولعل السبب في الحديث عن أفضليته «صلى الله عليه وآله» على جميع الخلق هو إخراج ذلك اليوناني من رواسب عقيدية، قد يغفل عنها، في حين يبقى لها بعض التوهج في أعماق ذاته، بما لها من ارتكاز خفي الذي قد يظهر بصورة عفوية في سياق الترجيح والتفضيل، أو في نظرة الإكبار والإعظام الخفي لمن كان يرتبط بهم، ويدعي لهم المقامات السابحة في آفاق الجمال

(١) الآية ١٨١ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٦٤ من سورة المائدة.

والكمال والعظمة والجلال إلى حد ادعاء صفات الألوهية لها. مثل عزير، وعيسى «عليه السلام».

فأراد «عليه السلام» أن يضعه أمام قرار صريح وحاسم، من شأنه أن يصده عن أمثال هذه الانسياقات العفوية، ويصونه من تبعاتها وآثارها، ويطهر ضميره منها بصورة تلقينية مؤثرة وحاسمة..

محمد الذي أنا وصيه:

وعن تنصيصه «عليه السلام» في هذا الموضع بالذات على أن المطلوب هو الشهادة لمحمد «صلى الله عليه وآله» الذي وصيه علي «عليه السلام» نقول:

إنه يريد أن يقول له، ولنا: إن الشهادة بالنبوة لمحمد وحده لا تكفي، فإن توحيداً من غير علي «عليه السلام»، ونبوة محمد إذا لم ينضم إليها علي «عليه السلام»، واعتقاداً بالآخرة، وبالشفاعة من دون علي، وصلاة وصوماً وزكاة وجهاداً وحج من دون علي «عليه السلام» لا يجدي نفعاً..

ولأجل ذلك قال الإمام الرضا «عليه السلام» في حديث سلسلة الذهب في نيشا بور: «كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي».

ثم عقب ذلك بقوله: «بشروطها وأنا من شروطها»، فدل على أن كلمة التوحيد لا تحقق أهدافها، ولا تؤثر آثارها في بناء الإنسان والحياة إلا إذا انضم إليها الاعتقاد بإمامة الرضا، وقبله وبعده سائر الأئمة «عليهم السلام»..

وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ..**﴾.. لأن المطلوب هو تبليغ التوحيد والعدل، والنبوة، والآخرة، والصلاة والزكاة و.. و.. تامة غير منقوصة، ولا تتم بدون ولاية علي «عليه السلام».

فالصلاة التي بدون علي لا يريدها الله، وكذلك الزكاة، وسائر حقائق الدين وأحكامه، لأن الإسلام بمثابة جسد تام الأجزاء والأوصاف والمزايا. فله عينان، ولكنه لا يبصر بهما، وله لسان لا يتكلم ولا يتذوق به، وله أذنان ولكنه لا يسمع بهما، وله يدان لكنهما من دون قوة.. وهكذا..

فإذا حلت في هذا الجسد الروح صار يرى ويسمع، ويشم ويتذوق، ويحرك يديه، وصارت لهما قوة يستفيد منها، ويحمل بهما الأشياء، وصار يحب ويبغض، ويضحك ويبكي، ويفرح ويحزن، ويحسد ويحقد، ويشجع ويجبن، ويخاف ويرجو. وصار يفكر ويعقل، وينام ويستيقظ، ويسهو ويلتفت، ويعلم ويجهل، وما إلى ذلك..

فظهر أن الإسلام بدون ولاية كبدن بلا روح، فإذا ولجته الروح، وهي ولاية علي، صار كل ما في هذا الإسلام نافعاً، ويؤدي مهماته المنوطة به، ويوصل إلى الغايات التي رسمت له، ويحقق الغايات التي توخاها الله منه لعباده..

وهذا هو السبب في قوله «عليه السلام» هنا: «وأن تشهد أن محمداً «صلى الله عليه وآله» الذي أنا وصيه سيد الأنام إلخ..».

النعم التي أولاها علي عليه السلام لليوناني:

وصرح «عليه السلام» لذلك اليوناني: بأن علياً «عليه السلام» قد أولى ذلك اليوناني نعماً تستحق التنويه بها في هذا الحوار بالذات، رغم أنه يلتقي به للمرة الأولى كما هو ظاهر سياق الرواية..

فالظاهر أنه «عليه السلام» يريد أن يفهمه: أن هدايته ووضعه على صراط النجاة نعمة يستحق الشكر عليها، ولا سيما وأنه قد أراه من المعجزات ما رسخ يقينه، وأغناه بذلك عن كثير من الجهود لتحصيل هذا اليقين.

وقد أشار إلى ذلك «عليه السلام» بقوله: «إن علياً الذي أراك ما أراك».

وربما كان يقصد بالنعم ما هو أبعد من نعمة الهداية، ليشمل ما أشار إليه الله تعالى بقوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ**﴾(١).

وبقوله تعالى: ﴿**وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾(٢).

علي عليه السلام خير خلق الله:

وقد بين «عليه السلام» أن المطلوب ليس مجرد الشهادة لعلي «عليه

(١) الآية ٥٩ من سورة التوبة.

(٢) من الآية ٧٤ من سورة التوبة.

السلام» بالولاية والإمامة.. بل المطلوب أولاً الشهادة بأفضلية علي «عليه السلام» على جميع الخلق. لتكون هذه الأفضلية هي المرتكز والمنطلق لإثبات أحقيته بالإمامة والولاية من جميع الخلق. فيصبح مضمون الإمامة من الأمور التي قياساتها معها، أو فقل: هو من باب تقديم الدليل على المدعى في سياق إيراد الدعوى نفسها.

وبذلك يعرف أن أفضلية الإمام على الخلق شرط لإمامته لهم، فلا مجال للإقرار بالإمامة لأحد من دون إحراز تحقق هذا الشرط فيه.

وهذا يبطل قول معتزلة بغداد من أن الله تعالى قد قدم المفضول على الفاضل. وكأنه «عليه السلام» كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق

أحق الخلق بالإمامة، وبالقيام بالشرائع:

١ ـ ونلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يطلب الشهادة: بأن الله ورسوله قد نصبه إماماً، بل طلب الشهادة بأنه الأحق من جميع الخلق بمقام الإمامة. ليدل بذلك على أن من يتصدى لهذا المقام إنما يتصدى لما ليس له بحق. وهذه تخطئة صريحة لذلك المتصدي، وإنكار لإمامته. ومن الطبيعي: أن الشهادة بذلك معناها: تحقق مفهوم البراءة منه، وعدم التولي له، بعنوان كونه إماماً. بل هو رفض وإنكار صريح لإمامته..

٢ ـ ثم أشار «عليه السلام» إلى أنه لا يحق لأحد التصدي لإقامة شرايع الله، وإجراء أحكامه إذ لم يكن خير خلق الله، وأحقهم بمقام محمد «صلى الله عليه وآله»، مما يعني أن هناك وظائف خاصة، ومهمات لا يجوز لأحد التصدي لها، سوى الأنبياء وأوصيائهم..

المؤمنون يساعدون الرجل على دينه:

وقد ألمح «عليه السلام» إلى ذلك اليوناني: أن المؤمنين المشاركين له في النهج والاعتقاد، هم المساعدون له على القيام بما أمره به «عليه السلام».

فترد هنا الأسئلة التالية:

أولاً: هل تتحقق المساعدة في أمور الاعتقاد، وفي القيام بالواجبات؟!

ثانياً: إذا كانت تتحقق، فلنا أن نسأل عن كيفية هذه المساعدة، ومداها، والدافع إليها؟!.

ثالثاً: هل هذه المساعدة خاصة به، أم تشمل غيره أيضاً؟!

ونجيب بما يلي:

١ ـ لعل مساعدة إخوانه له في الأحكام والاعتقادات تتمثل بإرشاده إلى كيفية القيام بما كلفه الله تعالى به، وتهيئة الوسائل لما يحتاج منها إلى وسائل. وتعليمه ما يحتاج إلى تعليم، ولا سيما ما كان منها من قبيل الاعتقادات أو الأحكام.

٢ ـ إن القيام بمقتضيات التقية التي أمره «عليه السلام» بها يحتاج إلى مؤونة وتسديد ومعونة، فهو يحتاج إلى إخوانه أيضاً لمساعدته في مثل هذه الحالات.

٣ ـ أما مدى وحجم، وزمان هذه المساعدة، فهو بلا حدود ولا قيود، لأنها من الخير الذي لا ينتهي محبوبيته والرغبة فيه بانتهاء المقدرة عليه، بل يتجاوزها إلى أن يصبح حب الخير هو الغذاء الروحي الذي ينعش الوجود كله، ويجعله كادحاً إلى ربه، لا يقف في كدحه وسعيه هذا عند حد، لأنه

يصل نفسه باللامحدود وبمحض الخير اللامتناهي.

ويكون الدافع إلى ذلك هو حب الله، والفناء فيه تبارك وتعالى.

وهذا هو التجسيد الحي لمفهوم ومضمون قوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ التي تجعل هذا التعاون خُلُقاً يسع أهل الإيمان كلهم، ولا يختص ببعض منهم دون بعض..

خير أمة محمد:

وأصحاب هذا الخلق، العاملون بقوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ هم خير أمة محمد «صلى الله عليه وآله»، ويكون حالهم هذا دليلاً على خيريتهم، وتقدمهم في الفضل على غيرهم. وهم صفوة شيعة علي «عليه السلام»..

وإن من مفاخر شيعة علي «عليه السلام» أن يكون ما يميزهم عن كل من عداهم هو سمة سلوكية وعملية، وليست مجرد حالة كامنة في داخل وجودهم. بل تكون الحالات الشخصية الكامنة، كالعمل، وطهارة الضمير، والعبادة والطاعة لله بمثابة أدوات منتجة للخيرية الذاتية التي تكرس هذا السلوك الاجتماعي.

وبتعبير آخر: إنه «عليه السلام» لم يجعل كثرة عملهم، ولا كثرة عبادتهم، ولا زهدهم في الدنيا، ولا طهارة ضميرهم، ولا صفاء نياتهم، ولا عصمتهم عن الذنب والخطأ.. ولا غير ذلك دليلاً على فضلهم.

بل جعل تعاونهم العملي على البر والتقوى هو الشاهد والدليل على ذلك

الفضل العظيم، لأنهم يكونون بذلك قد جمعوا الفضل من جميع جهاته وأطرافه، وقد غمر كل وجودهم، واستفاض حتى شملوا به غيرهم..

وقوله «عليه السلام»: «وصفوة شيعة علي» معطوف على قوله: خير أمة محمد «صلى الله عليه وآله»، من باب عطف الخاص على العام. فإن شيعة علي «عليه السلام» هم بعض أمة محمد «صلى الله عليه وآله».

يتحدث عن نفسه بصيغة الغائب:

بقي أن نشير إلى أننا رأينا علياً «عليه السلام» يتحدث عن نفسه هنا بصيغة الغائب، ولعله لأجل أنه «عليه السلام» كان بصدد وضع الأساس العقيدي الذي لا بد من الالتزام به، فاحتاج إلى أن يجرد الفكرة التي هو بصدد بيانها عن المحيط الحسي الذي يحتضنها، لكي توغل في وعي ذلك المتلقي لها. وتنشر في عمق وجوده النور والهدى، والصفاء والصلاح.

وبتجردها هذا هو الذي يهيؤها للاتساع وللنفوذ إلى كل الحنايا، لكي تلامس كل الكوامن والخفايا. فتملؤها طهراً، ونقاء، وتتجلى بهاء وصفاء.

ولكنه «عليه السلام» حين انتقل إلى مجال التنفيذ والعمل، ووضع ذلك اليوناني في مواجهة مسؤولياته وواجباته أصدر له أوامره كقائد وإمام، لا بد أن يتابع حركة الواقع في المجال العملي بأمانة ودقة.

المطلوب: المواساة:

وقد كان أول توجيه عملي منه «عليه السلام» لذلك اليوناني هو أن يواسي إخوانه بإمكاناته المالية..

وقد اكتفى «عليه السلام» بالمساواة ولم يتجاوزها إلى الإيثار.

وهذا في حد نفسه يعطيه شعوراً بالأمن والاطمئنان إلى المستقبل، والمصير، فإن ديناً يكون أول مطالبه بعد صحة الاعتقاد، والقيام بفروض العبادة والطاعة الله ـ هو مساواة الإنسان المؤمن غيره بما يملكه من إمكانات ـ إن هذا الدين هو الذي يصح أن يؤتمن على الأموال والأعراض والأنفس والمستقبل والمصير.

وذلك لأن المواساة هي السبيل الأمثل للتخلص من المشكلات الحياتية التي تعترض طريقه، كما أنها ترسخ العلاقة، وتذكي المشاعر الروحية الفاعلة، والمؤثرة، وتغمره بفيضٍ من الحب والحنان بأسمى وأصفى معانيه، وتوحي إلى كل فرد من أعضاء المجتمع الكثير من المعاني والقيم، التي تضعه أمام مسؤوليات تفرضها عليه.

كما أن ذلك يمنع من تبلور سلبيات أو عقد قد تكون موجباتها قد أفرزت حالات ضعف مر بها بعض أهل الإيمان. هذا إن لم نقل: إنه ربما يؤثر في ضمور تلك السلبيات إلى أن تختفي بالكلية.

إعانة المطابقين:

وقد وصف «عليه السلام» شيعته بكلمتي «الإخوان» و «المطابقين»، أي أنه «عليه السلام» لم يكتف في وصف المؤمنين بكلمة إخوانك بل أضاف إليها كلمة: «المطابقين لك على تصديق محمد «صلى الله عليه وآله» وتصديقي، والانقياد له، ولي». ليدل على أن مجرد الانتساب العام إلى المذهب أو إلى أهل الإيمان لا يكفي في إيجاب المساواة لهم، بل لا بد من

تحصيل العلم بالمطابقة وبالتوافق التام في أمرين، هما:

١ ـ التصديق.

٢ ـ الطاعة..

فلا يكتفى بأحدهما دون الآخر، ولا يكتفى بالتصديق في بعض الموارد دون بعض..

ولا يكتفى أيضاً بالطاعة في بعض الموارد.. بل لا بد من التطابق والتوافق التام في التصديق والطاعة، في كل الموارد، فلو حصل التخلف في مورد واحد منها سقط وجوب المساواة هذا. كما أن التصديق والطاعة الكاملة والشاملة لا بد أن تكون لرجلين هما

١ ـ النبي «صلى الله عليه وآله».

٢ ـ علي «عليه السلام» بشخصه وعينه..

فلو تخلف أحد أهل الإيمان عن الطاعة والتصديق لعلي مثلاً ولو في مورد واحد لم تجب مواساته، لأنه أخل بالتطابق التام لهما صلى الله عليهما في جميع الموارد في هذين الأمرين..

وهذا يدل: على أن النبي «صلى الله عليه وآله» وعلياً «عليه السلام» متوافقان في جميع الأمور، بحيث يكون أمر علي «عليه السلام» في كل مورد هو أمر النبي «صلى الله عليه وآله». ويكون عدم تصديق علي «عليه السلام» ولو في مورد مساوقاً لعدم تصديق النبي «صلى الله عليه وآله».

ويدل أيضاً: على أن من عصى علياً مرة واحدة فإنه يخرج بها عن دائرة الأخوة الإيمانية، وتسقط بذلك حقوق هذه الإخوة، التي منها المساواة، كما

دل عليه التعبير بكلمة «المطابقة»، القائم عليه إشتراط الطاعة والتصديق للنبي ولعلي «عليه السلام» معاً..

يضاف إلى ذلك: علمنا بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد طبق مفهوم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]. في عملية المؤاخاة بين المسلمين، حين أقامها على الحق وعلى المساواة.. كما فعل علي «عليه السلام» أيضاً هنا..

ويؤكد ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» ـ كما روي ـ كان يؤاخي بين الرجل ونظيره[2].

---

(١) من الآية ١٠ من سورة الحجرات.

(٢) راجع: العمدة لابن البطريق ص١٧١ و ١٧٢ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٣٣٣ و ٣٣٥ و ٣٤٥ و ٣٤٦ وينابيع المودة ج١ ص١٧٨ والأمالي للطوسي ص٥٨٧ والطرائف لابن طاوس ص١٠٧ ودلائل الصدق ج٢ ص٢٧٢ و ٢٧٣ والعثمانية للجاحظ ص١٣٤ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٤ و ٣٠٣ ووفاء الوفاء ج١ ص٢٦٧ و ٢٦٨ وفتح الباري ج٧ ص٢١١ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٠ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٣٦ و ٢٣٩ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٣٠٧ و ٥٦٥ والدرجات الرفيعة ص٢٨٧ ونهج الإيمان ص٤٢٧ وكشف الغمة ج١ ص٣٣٦ وكشف اليقين ص٢٠٨ والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص١٥٥ والاستيعاب وغير ذلك.

المعيار في المساواة:

وقد أرشد «عليه السلام» إلى المعيار الذي لا بد من اعتماده في موضوع الإنفاق على الإخوة المطابقين في الطاعة والتصديق للنبي «صلى الله عليه وآله» ولعلي «عليه السلام»، فذكر ما يلي:

١ ـ في صورة التساوي في الدرجة في الإيمان عليه أن يساويه في ماله بنفسه

٢ ـ إن كان أفضل منه في الدين، فعليه أن يؤثر بماله على نفسه.

ولكنه «عليه السلام» لم يبين له الطريقة التي يعرف بها مساواته له، أو أفضليته عليه.. ربما لأنه يريد أن يترك الأمر إلى وجدانه وإنصافه في نظرته. لأن القناعة الوجدانية هنا هي التي تحقق طيب النفس له بالمال في صورة المساواة، أو في صورة ظهور الفضل.

وأما سبب عدم ذكر الشق الثالث، وهو أن يكون الطرف المحتاج للمال هو المفضول في الدين والإيمان. فهو أن هذا الشق لا موضع له بعد فرض المطابقة في التصديق والطاعة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولأمير المؤمنين «عليه السلام»..

صيانة الدين والعلم والأسرار:

وقد ذكر «عليه السلام» لذلك اليوناني: أن الأنبياء والأوصياء «عليهم السلام» هم المصدر لأمور ثلاثة، لا بد من صيانتها، وهي:

١ ـ الدين.

٢ ـ العلم.

٣ ـ الأسرار

أما صيانة الدين، فإنما هو بالالتزام بأحكامه وشرائعه، وتبني حقائقه واعتقاداته، وعقد القلب عليها. ثم دفع الشبهات عنه، والدعوة إليه.

وأما صيانة العلوم الصحيحة، فإنما يكون:

أولاً: إبعادها عن أن تكون في متناول يد من ينتهك حرمتها من يستخف بها، أو يسعى لإثارة الشبهات حولها.

ثانياً: إبعاد حملة هذه العلوم عن الإساءات إليهم بالشتم واللعن، وتناول العرض والبدن بالأذى. فإن هذا قد يوجب الزهد بالحقائق، والمضامين الصحيحة، واللجوء إلى الأباطيل والترهات.

أما صيانة الأسرار، فلأن إفشاء الأسرار معناه: كشف الحالات المنسجمة مع واقع ملتزم بمنظومة قيم، ومثل، ومعايير، ربما لم يجربها أو لعله لم يعرفها، ولم يتذوق طعمها، ولم يتلمس آثارها على السلوك والممارسة، وعلى الروح والقلب، والمشاعر، وما إلى ذلك.. وسيجد فيها الكثير من الناس ما ربما لا ينسجم مع ذائقتهم، ومع طريقة حياتهم، وما يلبي رغباتهم وشهواتهم، فيسقط محلها في نفوسهم، وربما ينفرون منها، ويشهرون لها العداء..

وقد يندفع بعض منهم بسبب جهله، وطيشه ورعونته ـ إلى التشنيع على رموز الطهر والصدق، وقد يتمادى الأمر بأولئك الجاهلين والطائشين إلى حد التطاول عليهم بما يوجب هتك حرمتهم، والعدوان على كراماتهم.

هل التقية بحاجة إلى إذن؟!:

ثم إنه «عليه السلام» يقول لذلك اليوناني: «وقد أذنت لك في تفضيل أعدائنا علينا، إن ألجأك الخوف إليه، وفي إظهار البراءة منا إن حملك الوجل عليه، وفي ترك الصلوات المكتوبات، إن خشيت على حشاشتك الآفات والعاهات إلخ..».

فقد تضمن هذا الكلام إذناً منه «عليه السلام» لذلك الرجل بأن يمارس التقية. فقد يسأل سائل عن هذا الأمر، ولا يتسع القول بأن التقية تحتاج إلى إذن، بعد أن شرعها الله تعالى للبشر جميعاً حين يكرههم الظالمون على الجهر بخلاف ما يعتقدونه، تحت طائلة التعذيب، وربما يصل الأمر إلى القتل. ويكفي شاهداً على ذلك ما جرى مع ياسر وزوجته سمية، وولده عمار، الذي نزل في حقه قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾[1].

وقصة مؤمن آل فرعون الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ**﴾[2] شاهد آخر على ذلك.

ويمكن أن يجاب:

بأن العمل بالتقية بحضور الإمام يختلف عنه في حال غيبته ففي حال الغيبة تمس الحاجة إلى وضع ضوابط وأحكام يعول الناس عليها حين

(١) من الآية ١٠٦ من سورة النحل.

(٢) من الآية ٢٨ من سورة غافر.

يحتاجون إليها. لأن عدم العمل بالضابطة لا بديل له وعنه إلا هدر الطاقات، وإزهاق الأرواح، من دون وجود ما يدل على وجود مصلحة في إزهاقها..

أما في حال حضور الإمام، فإنه هو الذي يتعاطى الشأن العام، فقد تقتضي الحال ضرورة الجهر بالحقائق، حتى لو كلف ذلك إتلاف المال، أو التعرض للأذى في النفس، بحيث توجب ممارسة التقية مفسدةً وضرراً عظيماً على الدين وأهله.. وقد لا تقتضي شيئاً من ذلك..

والإمام هو الذي يحدد هذا أو ذاك. فلا بد من الرجوع إليه للوقوف على جلية الأمر من الإمام نفسه، ويكون إعطاؤه الإذن بالتقية، أو حجبه الإذن بها هو الفيصل في هذا الأمر.

للتقية حالات مختلفة:

وقد لاحظنا: أنه «عليه السلام» قد أجاز لذلك الرجل تفضيل أعدائهم عليهم، إن ألجأه الخوف إلى هذا التفضيل. أما إظهار البراءة منهم «عليهم السلام» فيكفي فيه حصول الوجل، وهو استشعار الخوف كما يقول الراغب، أي مجرد الإحساس به. وهذه مرتبة أقل من مرتبة الخوف الملجئ إلى التفضيل.

فدل ذلك: على أن إظهار البراءة أسهل من تفضيل أعداء أهل البيت عليهم، لأن هذا في التفضيل تضليل وإيقاع في الشبهة، فاحتاج التنازل عنه في التقية إلى تحقق خوف شديد يلجئ إليه.

أما إظهار البراءة، الذي يكفي فيه مجرد الوجل، فهو مجرد ادعاء أنه لا

علاقة له بهم، سواء أكانوا أخياراً وأطهارا، وأنبياء أو أوصياء، أو لم يكونوا كذلك، فإن ذلك لم يتعرض له حتى مع علمه به أو أنه لم يعلم به من الأساس.

ويلاحظ: أنه لم يذكر في الموردين المتقدمين إن كان الخوف أو الوجل على المال أو على النفس، أو مجرد الأذى، أو غير ذلك.. ولكن قوله الآتي: لتبقى على نفسك روحها التي بها قوامها، يدل على أن الحديث إنما هو في مورد الخوف على المال والنفس والجاه.

أما ترك الصلاة المكتوبة، التي ورد أنها لا تترك بحال، فقد رخص «عليه السلام» فيه في صورة الخشية على النفس من أن تنالها الآفات والعاهات، فيعلم من تجويز ترك الصلاة في هذه الحالة: أن قوله «عليه السلام»: لا تترك الصلاة بحال، لا يشمل صورة الخوف على النفس..

الدوران بين الأهم والمهم:

وقد قرر «عليه السلام» في كلامه في هذا المورد: أنه إنما يأذن له بالعمل بالتقية انطلاقاً من قاعدة تقديم الأهم على المهم، التي هي قاعدة عقلية. فقد قال له:

«لئن تبرأت منا ساعة بلسانك، وأنت موالٍ لنا بجنانك لتبقي على نفسك روحها التي بها قوامها، ومالها الذي به قيامها، وجاهها الذي به تماسكها.. إلى أن قال: فإن ذلك أفضل من أن تتعرض للهلاك، وتنقطع به عن عمل في الدين، وصلاح إخوانك المؤمنين».

وبذلك يكون اللجوء إلى التقية أمراً مقبولاً ومفهوماً، ويعد تصرفاً طبيعياً يمارسه كل عاقل إذا واجه التحدي، الذي لا طاقة له بدفعه عن نفسه إلا بهذه الطريقة.

وبهذا البيان الواضح منه «عليه السلام» تصبح قاعدة الأخذ بالأهم حين يدور الأمر بينه وبين المهم، قاعدة يمكن اعتمادها حتى في غير موارد التقية، والحاجة إلى دفع الخطر عن النفس، أو عن المال والجاه.

هل الدنيا أهم من الدين؟!:

وقد يطرح سؤال يقول: كيف جاز التخلي عن العمل بأحكام الشريعة، والالتزام بما يفرضه التدين والاعتقاد لمصلحة حفظ النفس والمال والجاه؟!

وهل أصبحت الدنيا وشؤونها أهم من حفظ أحكام الدين، والعمل بها؟!

ونجيب:

بأن المطلوب ليس هو إهمال الدنيا، والتخلي عنها، بل المطلوب هو تسخيرها في خدمة الأهداف السامية، وحفظها، وتوفير إمكانات الوصول إليها، على النحو الأفضل والأمثل.

فإن حفظ النفس والمال والجاه ليس لأجل أن القيمة تتجسد في هذه العناصر الثلاثة، بحيث تكون الهدف الأقصى والنهائي للإنسان في الحياة.

بل المطلوب هو توفير هذه الطاقة، وصرف الأسواء عنها للاستفادة منها فيما هو أهم ونفعه أعم، فيما يرتبط بصناعة مستقبل الإنسان، وحفظ

منظومة القيم التي يلتزم بها، ويريد لها أن تهيمن على مسار الحياة في الدنيا، والانتهاء بها إلى تحقيق الفوز، ونيل السعادة في الآخرة..

وقد بين «عليه السلام» هذا الأمر بصورة واضحة، ووافية، وذلك ضمن النقاط التالية:

١ ـ إن تفضيل الإنسان المؤمن في حالة خوفه أعداء أهل البيت على أهل البيت لا ينفع أولئك الأعداء في شيء. لأن ظهور حالة الخوف تسقط هذا التفضيل عن صلاحية الإلزام والالتزام به.

٢ ـ إن هذا التفضيل لا يضر أهل البيت، لأنه لا يعبر عن واقع، ولا يشير إلى الالتزام بهذا التفضيل من قبل من صدر عنه.

٣ ـ إن إظهار البراءة منهم «عليهم السلام» عند سبيل التقية لا يدل على أن هذه البراءة قد جاءت نتيجة اكتشاف خلل أو نقص كان خافياً.

فظهر أنه لا سلبيات للبراءة وللتفضيل في ممارسة التقية في حال الخوف..

أما في الجانب الإيجابي، فإن من فوائد التقية:

١ ـ إن التبرء الظاهري اللساني من أهل البيت ساعة، مع استقرار الإيمان في الجنان، يحفظ له حياته، ويبقي لنفسه روحها، التي بها قوامها إلى أن يأذن الله.

٢ ـ إنه يصون إخوانه من التعرض للأذى، لأن ظهور أمره، وافتضاح تشيعه وربما يمكّن أولئك الطغاة من معرفة أمور كان يجب أن تبقى خافية عليهم، لأنهم سيجدون فيها مبرراً لملاحقة الطغاة لكل من عرفوا بأنه على

مثل رأيه، ومن كانت له أدنى صلة به. وربما يمتد الأذى إلى النساء أيضاً، فضلاً عن الرجال.

والنساء أكثر حساسية وأشد ضعفاً أمام وسائل القهر والتحدي.. وبالتالي سيكون العدوان عليهن أشد أذى، وأبعد أثراً في إلحاق الهزيمة الروحية بالمجتمع الإيماني كله..

٣ ـ إن الآثار التي تنشأ عن عدم ممارسة التقية سوف تمتد وتتلاحق تفاعلاتها شهوراً وسنين كثيرة.. أما إذا مارس التقية فإنه سيفوز بالسلامة الشخصية، وسيدفع الأذى عن أهل الإيمان. ويوفر عليهم الكثير من المآسي والآلام طيلة سنين متمادية.

٤ ـ إن ذلك سيمكنه هو وسائر من هم على رأيه من مواصلة نشر دعوتهم، والعمل على صلاح أمورهم..

النفس، والمال، والجاه:

وقد أظهرت كلماته «عليه السلام» أن المطلوب من العمل بالتقية هو حفظ أمور ثلاثة:

١ ـ حفظ النفس.

٢ ـ حفظ المال..

٣ ـ حفظ الجاه..

ويبدو أن حفظ النساء والعُرض من التعرض لأذى وانتهاك أهل الطغيان والباطل يدخل في نطاق حفظ الجاه، فإن المجتمعات الجاهلة لا ترحم، لأن أكثر الناس لا يعون مسؤولياتهم، ولا يقومون بواجباتهم

الإنسانية والإيمانية. أو لا يبالون بآلام الناس، ولا يهتمون بمداواة جراحاتهم، بل قد يظهرون الاستخفاف والسخرية والشماته بإخوانهم إذا تعرضوا للعدوان على أعراضهم، أو لغير ذلك من أنواع العناء والبلاء. والمصيبة بهؤلاء ستكون أدهى، والمرارة أشد وأعظم.

عناصر ضرورية للحياة وبقائها:

وقد أشار «عليه السلام» إلى ثلاثة أمور، يعطي التأمل فيها: أنها هي العناصر الأساسية للحياة وللبقاء للإنسان في شخصيته الفردية، والاجتماعية. وهذه العناصر هي:

١ ـ روحه التي بها قوام الإنسان وتمثل وجوده في شخصيته الفردية.

٢ ـ ماله، الذي به قيام الإنسان، فإن المال هو الذي يكرس له المنافع المالية في دائرته الضيقة، ومحيطه العائلي، وهو الذي يقيم أوده، ويحقق له وجوده ويؤكد فاعليته، كعضو فاعل ومؤثر في النظام الاجتماعي العام.

٣ ـ جاهه الذي به تماسكه، والذي يلامس شخصيته الاجتماعية، في الدائرة الأوسع، حيث تتطلع مختلف الشرائح الاجتماعية للإفادة من هذه الجاه، في حل مشكلاتها، وقضاء حاجاتها، وتولي إنجاز الكثير من أمورها.

ومن شأن هذا الجاه أن يعطي الشخصية قوةً وتماسكاً في مكوناتها، وسماتها وصفاتها الذاتية، وفيما يسرته لها طبيعة الحياة العامة من قدرات وإمكانات ووسائل. حيث يمكِّنه جاهه من تحريك إمكاناته بصورة معقولة ومقبولة، ويهيئ به لها وسائل الحفظ، ويفتح أمامها أبواب التأثير فيما أريد لها أن تؤثر فيه.

سلبيات التخلي عن التقية:

وقد بين «عليه السلام» سلبيات التخلي عن التقية بأبهى وأصدق وأوضح بيان، فقال محذراً لذلك الرجل، مرة بعد أخرى:

«وإياك إياك أن تترك التقية التي أمرتك بها فإنك:

١ ـ شائط بدمك.

٢ ـ ودماء إخوانك.

٣ ـ معرض لنعمك ونعمهم للزوال.

٤ ـ مذل لهم في أيدي أعداء دين الله. وقد أمرك الله بإعزازهم».

٥ ـ «فإنك إن خالفت وصيتي كان ضررك على نفسك وإخوانك أشد من ضرر الناصب لنا، الكافر بنا».

والوجه في هذا كله واضح: فإن ترك التقية هنا سيحدث هذا الضرر الهائل عليه وعلى من معه، لما فيه من التفريط بحياتهم، وتعريض نعمهم للزوال، وإذلالهم بأيدي أعدائهم..

أما الناصب الكافر، فقد لا يتمكن من إلحاق هذا المستوى من الضرر بأهل الحق.. ويكون نُصْبُهُ الظاهر، وكفره المعلوم من موجبات التحرز منه، والعمل على إبطال كيده، والحد من قدراته، ومن جدوى وسائله..

الفصل الثاني:

من أسئلة اليهود لعلي عليه السلام..

سل بكل لسانك:

من إرشاد القلوب بحذف الإسناد روي: أن قوماً حضروا عند أمير المؤمنين «عليه السلام» وهو يخطب بالكوفة ويقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فأنا لا أُسأل عن شيء دون العرش إلا أجبت فيه، لا يقولها بعدي إلا مدع، أو كذاب مفتر.

فقام إليه رجل من جنب مجلسه، وفي عنقه كتاب كالمصحف، وهو رجل آدم، ظرب، طوال، جعد الشعر. كأنه من يهود العرب، فقال رافعاً صوته لعلي «عليه السلام»: يا أيها المدعي لما لا يعلم، والمتقدم لما لا يفهم، أنا سائلك فأجب.

قال: فوثب إليه أصحابه وشيعته من كل ناحية، وهموا به، فنهرهم علي «عليه السلام» وقال: دعوه ولا تعجلوه، فإن العجل (والبطش) والطيش لا يقوم به حجج الله، ولا بإعجال السائل تظهر براهين الله تعالى.

ثم التفت إلى السائل، فقال: سل بكل لسانك ومبلغ علمك أجبك إن شاء الله تعالى بعلم لا تختلج فيه الشكوك، ولا تهيجه دنس ريب الزيغ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم قال الرجل: كم بين المشرق والمغرب؟!

قال علي «عليه السلام»: مسافة الهواء.

قال الرجل: وما مسافة الهواء؟!

قال «عليه السلام»: دوران الفلك.

قال الرجل: وما دوران الفلك؟!

قال «عليه السلام»: مسير يوم للشمس.

قال: صدقت، فمتى القيامة؟!

قال «عليه السلام»: عند حضور المنية، وبلوغ الأجل.

قال الرجل: صدقت فكم عمر الدنيا؟!

قال «عليه السلام»: يقال: سبعة آلاف ثم لا تحديد.

قال الرجل: صدقت، فأين بكة من مكة؟!

قال علي «عليه السلام»: مكة أكناف الحرم، وبكة موضع البيت.

قال الرجل: صدقت، فلم سميت مكة؟!

قال «عليه السلام»: لأن الله تعالى مكَّ الأرض من تحتها.

قال: فلم سميت بكة؟!

قال علي «عليه السلام»: لأنها بكَّت رقاب الجبارين، وأعناق المذنبين.

قال: صدقت.

قال: فأين كان الله قبل أن يخلق عرشه؟!

فقال «عليه السلام»: سبحان من لا تدرك كنه صفته حملة العرش على

قرب ربواتهم من كرسي كرامته، ولا الملائكة المقربون من أنوار سبحات جلاله، ويحك لا يقال: الله أين، ولا فيم، ولا أيٌّ، ولا كيف.

قال الرجل: صدقت، فكم مقدار ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء؟!

قال علي «عليه السلام»: أتحسن أن تحسب؟!

قال الرجل: نعم.

قال للرجل لعلك لا تحسن أن تحسب.

قال الرجل: بلى إني أحسن أن أحسب.

قال علي «عليه السلام»: أرأيت إن صب خردل في الأرض حتى يسد الهواء، وما بين الأرض والسماء، ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من مقدار المشرق إلى المغرب، ومد في عمرك وأعطيت القوة على ذلك حتى نقلته وأحصيته لكان ذلك أيسر من إحصاء عدد أعوام ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الله الأرض والسماء، وإنما وصفت لك عشر عشر العشير من جزء من مائة ألف جزء، وأستغفر الله عن (من خ) التقليل والتحديد.

فحرك الرجل رأسه وأنشأ يقول:

أنت أهل العلم يا هادي الهدى تجلو من الشك الغياهيبا

حزت أقاصي العلوم فما تبصر أن غولبت مغلوبا

لا تنثني عن كل أشكولة تبدي إذا حلت أعاجيبا

لله در العلم من صاحب يطلب إنسانا ومطلوبا

(ملاحظة: في الشطرين الأولين من البيتين الأولين اختلال واضح، فليلاحظ ذلك).

إيضاح: قال الجوهري: رجل ظرب مثال عتل: القصير اللحيم.

المراد هنا: اللحيم الغليظ(١).

ونقول:

في هذه الرواية أمور كثيرة ينبغي التوقف عندها، غير أننا نقتصر منها على ما يلي:

ذنب اليهودي، وحلم علي عليه السلام:

لاحظ ما يلي:

١ ـ إن ذلك الرجل قد ظلم علياً «عليه السلام» حين حكم عليه مسبقاً: بأنه يدعي ما لا يعلم، ويتقدم لما لا يفهم..

٢ ـ إن هذا الذنب الذي ارتكبه اليهودي لا يستحق البطش به بصورة طائشة، تهدف إلى الإنتقام من قبل من ثارت حميته، وحملته عصبيته على الإقدام على ما لا يحق له الإقدام عليه إلا بعد أن يستأذن به إمامه.

٣ ـ إن تحرك الناس للبطش بذلك الرجل، عمل طائش أيضاً، لأنه لا

(١) بحار الأنوار ج١٠ ص١٢٦ ـ ١٢٨ عن إرشاد القلوب ج٢ ص١٨٦ ص١٨٧ وراجع ج٥٤ ص٢٣١ ـ ٢٣٢ و ٣٣٦ ـ ٣٣٨ والمحتضر ص١٥٨ ـ ١٦٠.

تقوم به الحجة، ولا يثبت له: أن علياً «عليه السلام» يعلم، ويفهم، وإنما يثبت له ذلك بالسؤال، وتلقي الجواب.

٤ ـ إن المطلوب: هو أن تقوم حجج الله وبراهينه، وليس الإنتقام لعلي «عليه السلام» أو لغيره.. فقد أخطأ أولئك المتحمسون في فهم هذا المطلوب..

متابعة التحدي:

ويلاحظ أيضاً:

١ ـ إن علياً «عليه السلام» في نفس الوقت الذي أعطى فيه الأمل لذلك السائل، قد تابع تحديه له، ولكل الناس بأنه سيجيب على أسئلته مهما كانت..

٢ ـ إن تعليقه «عليه السلام» إجابته على مشيئة الله تعالى لا يلغي هذا التحدي، ولا يقلل من قيمته، لأنه ليس تعليقاً في سياق الترديد في القدرة، بل هو تعليق يريد به تأكيد القدرة من حيث أنه يربط به علومه وأجوبته الصادقة بأعلم العالِمِين، ورب العالَمِين.

٣ ـ إنه «عليه السلام» يتعهد بأن ما سيجيب به سيكون علماً ظاهراً، لا سبيل إلى اختلاج الشكوك فيه، ولم يهجه دنس ريب الزيغ.

التحدي بالله سبحانه لا بدونه:

إن هذا التحدي إنما هو من واقع الارتباط بالله، لا بالاستناد إلى القدرات الذاتية المنفصلة عنه تعالى، وذلك إنه «عليه السلام» برأ نفسه من

أن يدعي لها: أن تكون لها أية قدرات مستقلة عن الله تبارك وتعالى، ليؤكد: أنه لا حول ولا قوة له إلا بالله.

وبذلك يكون قد ضمن سلامة اعتقاد الناس فيه، حيث لم يفسح المجال لأي غلو، أو ارتفاع، فمن فعل ذلك يكون هو الذي يتحمل مسؤولية ما أقدم عليه.

يقال: عمر الدنيا سبعة آلاف:

١ ـ قوله «عليه السلام» حين سأله السائل عن عمر الدنيا: «يقال: سبعة آلاف»، يشير إلى أنه لا يريد أن يتحمل مسؤولية صحة هذا القول من جهة، ولا يريد أن يعطي وقتاً معيناً في ذلك، لأن ذلك يفتح المجال أمام التشكيك في صحة ما جاء به، لأن عماده النقل الصحيح، الذي لا سبيل إلى إثبات صحته إلا قول المعصوم، وما دام ذلك الرجل لم يؤمن بعد بعصمة النبي «صلى الله عليه وآله»، أو علي «عليه السلام»، فإن الدخول معه في نقاش كهذا سوف لا ينتهي إلى نتيجة.

كما أن ذلك يهيئ لذلك السائل الفرصة إلى الطعن في قوله «عليه السلام»: إنه سيجيبه بما لا تختلج فيه الشكوك.

٢ ـ أما قوله: ثم لا تحديد، فهو ناظر إلى بقية عمر الدنيا، الذي هو أمر مستقبلي خاضع لمشيئة الله وإرادته، كما أن التعرض لذكر أي رقم في ذلك سيكون مصيره مصير الرقم المرتبط بما سبق من عمرها.

٣ ـ إن قبول السائل بأن يكون عمر الدنيا هو سبعة آلاف سنة ليس مما يمكن تكيد صحته، حتى لو كان مراده عمر الدنيا المعمورة بالبشر،

المنسوبين إلى خصوص أبينا آدم «عليه السلام»، فإن عمر الدنيا ـ فيما يظهر ـ أكثر من ذلك. ولو كان المقصود هو عمر الدنيا من حين خلقها، فلا بد من البحث عن جواب آخر أيضاً.. ولا يمكن إثبات صحته ولا فساده إلا بقول المعصوم.

أسئلة يهوديين:

قال ابن شهرآشوب:

ابن عباس: أن أخويين يهوديين سألا أمير المؤمنين «عليه السلام» عن واحد لا ثاني له، وعن ثانٍ لا ثالث له، إلى مائة متصلة، نجدها في التوراة والإنجيل وهي في القرآن يتلونه.

فتبسم أمير المؤمنين «عليه السلام» وقال:

أما الواحد فالله ربنا الواحد القهار لا شريك له.

وأما الإثنان فآدم وحوا، لأنهما أول اثنين.

وأما الثلاثة فجبرائيل وميكائيل وإسرافيل، لأنهم رأس الملائكة على الوحي.

وأما الأربعة فالتوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان.

وأما الخمسة، فالصلاة أنزلها الله على نبينا محمد وعلى أمته، ولم ينزلها على نبي كان قبله، ولا على أمة كانت قبلنا، وأنتم تجدونه في التوراة.

وأما الستة، فخلق الله السماوات والأرض في ستة أيام.

وأما السبعة، فسبع سماوات طباقاً.

وأما الثمانية، فيحمل عرش ربك يومئذ ثمانية.

وأما التسعة، فآيات موسى التسع.

وأما العشرة، فتلك عشرة كاملة.

وأما الأحد عشر، فقول يوسف لأبيه: ﴿**إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا**﴾.

وأما الإثنا عشر، فالسنة اثنا عشر شهراً.

وأما الثلاثة عشر، فقول يوسف لأبيه: ﴿**وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾[1]، فالأحد عشر أخوته، والشمس أبوه والقمر أمه.

وأما الأربعة عشر، فأربعة عشر قنديلاً من نور معلقة بين السماء السابعة والحجب، تسرج بنور الله إلى يوم القيامة.

وأما الخمسة عشر، فأنزلت الكتب جملة منسوجة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا لخمس عشرة ليلة مضت من شهر رمضان.

وأما الستة عشر، فستة عشر صفاً من الملائكة، حافين من حول العرش.

وأما السبعة عشر، فسبعة عشر اسماً من أسماء الله تعالى، مكتوبة بين الجنة والنار، لولا ذلك لزفرت زفرة أحرقت من في السماوات والأرض.

وأما الثمانية عشر، فثمانية عشر حجاباً من نور، معلقة بين العرش والكرسي، لولا ذلك لذابت الصم الشوامخ، واحترقت السماوات

(١) الآية ٤ من سورة يوسف.

والأرض وما بينهما من نور العرش.

وأما التسعة عشر، فتسعة عشر ملكاً خرنة جهنم.

وأما العشرون، فأنزل الزبور على داود «على نبينا وآله وعليه السلام» في عشرين يوماً من شهر رمضان.

وأما الأحد والعشرون، فألان الله لداود فيها الحديد.

أما في اثنين وعشرين، فاستوت سفينة نوح.

وأما الثلاثة وعشرون، ففيه ميلاد عيسى، ونزول المائدة على بني إسرائيل.

وأما في أربعة وعشرين، فرد الله على يعقوب بصره.

وأما خمسة وعشرون، فكلم الله موسى تكليماً بواد المقدس، كلمه خمسة وعشرين يوماً.

وأما ستة وعشرون، فمقام إبراهيم «عليه السلام» في النار، أقام فيها حيث صارت برداً وسلاما.

وأما سبعة وعشرون، فرفع الله إدريس مكاناً علياً، وهو ابن سبع وعشرين سنة.

وأما ثمان وعشرون، فمكث يونس «عليه السلام» في بطن الحوت.

وأما الثلاثون، ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً**﴾.

وأما الأربعون، تمام ميعاده ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾(١).

وأما الخمسون، خمسون ألف سنة.

وأما الستون، كفارة الإفطار: فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

وأما السبعون، ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾(٢).

وأما الثمانون، ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾(٣).

وأما التسعون، فـ ﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾(٤).

وأما المائة، ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾(٥).

فلما سمعا بذلك أسلما. فقتل أحدهما في الجمل، والآخر في صفين(٦).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

---

(١) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف.

(٣) الآية ٤ من سورة النور.

(٤) الآية ٢٣ من سورة ص.

(٥) الآية ٢ من سورة النور.

(٦) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٨٤ و ٣٨٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٢٠٣ ـ ٢٠٥ وبحار الأنوار ج١٠ ص٨٦ و ٨٧ وراجع ص٦ و ٧ وراجع: الخصال ص٥٩٩ ـ ٦٠٠.

سؤالان لهما جواب واحد:

هنا سؤالان يحتاجان إلى إجابة وهما:

السؤال الأول: إن هذا النوع من الأسئلة والأجوبة قد يبدو لأول وهلة: أنه يمتاز بالبساطة، وربما بالعفوية والإقتراح، وأنه لا يخضع لضابطة ومعيار..

فإن كان هذا هو السبب فيما نراه من اختلاف وإن كان يسيراً بين بعض الأجوبة في موضع، وبعضها في موضع آخر.. فذلك يضع علامة استفهام حول الإمام «عليه السلام» في صحة علومه، وفي دقة أجوبته. وفي عصمته عن الخطأ فيها..

بل لماذا كانوا يعتبرون هذه الإجابة كافية، ويتخذون منها مبرراً للدخول في دين الإسلام، بل وللإعتقاد بالإمامة أيضاً؟!

السؤال الثاني: إذا كان اليهود يعرفون تلك الأجوبة، فما هو العجيب في أن يعرفها غيرهم، فلعلها تسربت إلى ذلك الغير، وعرفها، كما عرفوها، فما هو وجه الإعجاز فيها؟!

ونجيب بما يلي:

١ ـ إن هذه الأمور فيما يبدو إنما كانت من قبيل الإخبارات الغيبية، حيث كان ذلك السائل يستنبطها من كتبه المقدسة، أو من غيرها، ثم يضمر ما استنبطه، ثم يسأل النبي أو الإمام عنه، فإذا أجابه بما يطابق ما في ضميره عرف أنه متصل بالغيب، ويتيقن صحة نبوته.

وكانت هذه الأسئلة تؤخذ من النصوص الدينية التي كان ذلك

السائل يعتقد بصحتها.

ويبدو: أن ذلك مما كان علماؤهم يكتمونه، ولا يقرون به، مع علمهم بكونه عين الحق. ولكنهم يجحدونه في العلن.

وإذا عرفوا أن نبياً قد ظهر، وأنه يقدم نفسه على أنه هو الذي بشر به الأنبياء، فإنهم قد يرون فيه خطراً على نفوذهم، وعلى مواقعهم، ودورهم. فيبادر الكثيرون منهم إلى العمل على إبطال دعواه بمجادلته وبطرح هذا النوع من الأسئلة عليه..

فإذا أجابهم عنها وقهرهم، وأسقط حجتهم، ينسحبون من ساحة الصراع باللجوء إلى تدبير المؤامرات، وحوك المكائد، وربما إعلان الحروب الظالمة عليه إن أمكنهم ذلك..

وقد نجد قلة قليلة منهم تطلب الحق، وتسعى للوصول إليه، فإذا جاؤوا إلى ذلك النبي أو الوصي، ووجدوا لديه بغيتهم، وسقطت معه حجتهم، فإنهم يبادرون إلى قبول الحق، والدخول في الإسلام والإيمان.

الصلاة فوق الكعبة:

وقد ورد في اجوبة أسئلة ابن الكواء الخارجي: أن الصلاة على الكعبة لا تجوز، ويبدو أن مراده «عليه السلام» هو أنه يصلي على ظهرها بحيث يكون سجوده على نقطة انتهائها، لأنه لا يكون حال سجوده مستقبلاً لشيء من الكعبة.

الصلاة في الأمم السالفة:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: «أن الخمسة هي الصلاة أنزلها الله تعالى على نبينا، وعلى أمته، ولم ينزلها على نبيٍ كان قبله، ولا على أمة كانت قبلنا، وأنتم تجدونه في التوراة».

فكيف نوفق بين هذا وبين قول الله تعالى حكايةً عن عيسى «عليه السلام»: ﴿**وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾[١]..

وقال: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**﴾[٢].

وقال تعالى حكايةً لقول لقمان لابنه: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[٣].

وقال إبراهيم «عليه السلام»: ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي**﴾[٤].

فإذا كانت الصلاة مفروضة في زمن إبراهيم ولقمان وعيس «عليه السلام».

---

(١) الآية ٣١ من سورة مريم.

(٢) الآيتان ٥٤ و ٥٥ من سورة مريم

(٣) الآية ١٧ من سورة لقمان.

(٤) الآية ٤٠ من سورة إبراهيم.

فكيف يمكن تفسير قول أمير المؤمنين «عليه السلام» هنا: أن الصلاة لم تنزل على غير نبينا، وعلى غير هذه الأمة؟!

وقد يجاب: بأن الصلاة التي نزلت قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» هي الدعاء والابتهال. ولم تكن بهذه الكيفية التي نعرفها..

ويرد على هذه الإجابة: أنها مجرد دعوى بلا دليل، بل نجد في القرآن ما يدل على أن الدين الذي شرعه الله لنا هو نفسه الذي شرعه لنوح وإبراهيم، وموسى وعيسى. فقد قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾(١).

وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**﴾(٢). والآيات في هذه المعنى كثيرة.

ولعل الإجابة الأقرب عن ذلك هي:

أن ظاهر كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» هو: أن الصلوات الخمس اليومية، بهذا العدد من الركعات لكل وقت، وفي خصوص هذه الأوقات، وبما لها من خصوصيات تفصيليه، لم تكلف بها الأمم السابقة، ولم ينزل الأمر الإلزامي بها على أولئك الأنبياء ليبلغوه إلى أممهم.

وإن كان الأنبياء أنفسهم ربما كانوا يمارسونها طوعاً ويؤدونها بما لها من

---

(١) الآية ١٣ من سورة الشورى.

(٢) الآية ١٢٣ من سورة النحل.

خصوصياتٍ وكيفيات وفي أوقات تتوافق مع ما عليه هذه الأمة. أو لعلها كانت مطلوبة من الناس على سبيل الإستحباب. ولم يحتم الله تعالى ذلك عليهم، فلعل الأنبياء بما لهم من خصوصية النبوة، ولشدة شوقهم إلى طاعة ربهم، يبادرون إلى فعل كل ما عرفوا أنه يرضي الله تعالى، ويزيدهم قرباً منه، ومنه الصلاة بهذه الأوصاف.

فإن قلت: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب. والقرآن إنما تنزل على نبينا، فالأمم السابقة لا تعرف الفاتحة لتقرأها في صلواتها.

ويجاب:

بأن مجموع القرآن قد نزل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» خاصة، ولا مانع من أن تكون الفاتحة، قد نزلت منذ بعث الله آدم نبياً، لتكون جزءاً من صلاة البشر التي هي شريعة لهم.. ولا يوجد ما يثبت خلاف ذلك، هناك ما يثبت هذه الحقيقة، لقوله تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا**﴾[١]. وآيات أخرى، حتى تلك التي تذكر ما أوحاه الله تعالى إلى الأنبياء السابقين لا تخلوا من دلالة على هذا.

ولعلك تقول أيضاً:

هناك تفاصيل هي من خصوصيات شريعة نبينا. ولم تكن في الشرائع السابقة.

---

(١) الآية ١٣ من سورة الشورى.

فيجاب:

أولاً: إننا نطالب بإثبات هذا الأمر على نحو اليقين.

ثانياً: لعل هذه التفاصيل لم تكن موضع ابتلاء للناس، إذ لم تكن مناشئ جعلها أموراً عينية تقتضيها الخلقة والفطرة«صلى الله عليه وآله» وليست الصلاةمن هذا القبيل.. فمثلاً إذا كانت الأخوة والنبوة تقضي بلزوم الإرث على النحو الخاص، أو إذا كانت النبوة والأخوة تمنع من التزويج، فإن هذه الخصوصية موجودة منذ خلق آدم، وأبنائه.. فلا بد أن تتبعها أحكامها في الإرث والزواج..

أما إذا كان المقتضي للجعل عنواناً عاماً أو خاصاً، ينشأ في ظروف خاصة، وبشروط خاصة، فلا بد من الإنتظار إلى أن تنتج الظروف والشروط ذلك العنوان، لكي تتبعه أحكامه، ولعل بعض ما اختصت به شريعة نبينا «صلى الله عليه وآله» كان من هذا القبيل..

والصلاة التي يراد منها إقامة الصلة بين الله والإنسان وأريد بها أيضاً صيانته الإنسان عن الفحشاء والمنكر ليست من هذا القسم الثاني، بل هي من الأول، لأن إنشاء هذه العلاقة، وإيجاد تلك الصيانة مطلوب منذ أن خلق الله الإنسان، وأمره ونهاه.

هل الأسئلة في مجلس واحد؟!:

ويبقى أن نشير إلى احتمال أن تكون أسئلة ابن الكواء وربما أسئلة غيره أيضاً قد حصلت في عدة مناسبات، ثم جمعت لتكون رواية واحدة.

وربما تكون قد حصلت في مجلس واحد، ويكون السائل قد أعدها

مسبقاً، على أمل أن ينقطع علي «عليه السلام» ولو في واحدٍ منها، ليشتهر بين الناس: أن ما يدعيه «عليه السلام» من علومٍ ومعارف ليس له أساس متين، أو على الأقلِ ليس هو بالمستوى الذي قد يتوهم له.. وبذلك تسقط دعواه الإمامة استناداً إلى ذلك..

ويصبح علي «عليه السلام» كفردٍ من الناس، ولا ميزة له على أحد في هذا الأمر.

التعمية المقصودة:

إن من يلاحظ الأسئلة التي يطرحها اليهود والنصارى، والخوارج، وأهل العناد بصورة عامة يجد أن فيها تعيمة متعمدة، وظاهرة، تشي بالرغبة الجامحة بهزيمة الطرف الآخر وإسكاته، وإظهار عجزه، وأنه لا يطلب فيها الحصول على مفارق وكشف غوامض.

وهذا يؤكد ما قلناه: من أنها كانت نتيجة اجتهادات السائلين ومن بنيات أفكارهم..

كما أن ثمة تشابهاً كبيراً فيما بين هذه الأسئلة، وذلك يدل على أن طرحها في المناسبات المختلفة لم يكن يبلغ الكثيرين، فيطرحها الاخرون بدورهم، ثم يرويها الرواة ويقارن العلماء بينها، فبعد سنة أو سنوات، فيظهر لهم أن الأجوبة تتشابه كما تشابهت الأسئلة التي اقتضتها.

غير أن ذلك لا يمنع من أن تكون الأصول المأخوذة منها، والعائدة إليها، هي النصوص الدينية كما قلنا..

متى كان ربك؟!:

١ ـ عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: جاء حبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: يا أمير المؤمنين، متى كان ربك؟!

فقال له: ثكلتك أمك، ومتى لم يكن، حتى يقال: متى كان؟! كان ربي قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد، ولا غاية ولا منتهى لغايته، انقطعت الغايات عنده، فهو منتهى كل غاية.

فقال: يا أمير المؤمنين! أفنبي أنت؟!

فقال: ويلك، [لأمك الهبل] إنما أنا عبد من عبيد محمد «صلى الله عليه وآله»[1].

والهبل هو الثكل.

٢ ـ وفي نص آخر: جاء رجل من اليهود إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: يا أمير المؤمنين، متى كان ربنا عز وجل؟!

قال: فقال له علي «عليه السلام»: إنما يقال: متى كان، لشيء لم يكن

---

(١) الكافي ج١ ص٨٩ و ٩٠ والاحتجاج ج١ ص٤٩٦ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣١٣ وبحار الأنوار ج٣ ص٢٨٣ وج٥٤ ص١٦٠ والتوحيد للصدوق ص١٧٤ والأمالي للصدوق ص٥٣٤ المجلس ٩٦ و (ط مؤسسة البعثة) ص٧٦٩ وروضة الواعظين ص٣٦ ونور البراهين للجزائري ج١ ص٤٢٩ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٢٣٣.

فكان. وربنا تبارك وتعالى هو كائن بلا كينونة كائن، كان بلا كيف يكون، كائن لم يزل بلا لم يزل، وبلا كيف يكون، كان لم يزل ليس له قبل، هو قبل القبل بلا قبل، وبلا غاية، ولا منتهى غاية، ولا غاية إليها غاية، انقطعت الغايات عنه، فهو غاية كل غاية(١).

٣ ـ روى الكليني، عن البرقي، عن أبيه، رفعه قال: اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت، فقالوا له: إن هذا الرجل عالم ـ يعنون أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ فانطلق بنا إليه نسأله.

فأتوه، فقيل لهم: هو في القصر.

فانتظروه حتى خرج، فقال له رأس الجالوت: جئناك نسألك.

فقال: سل يا يهودي عما بدا لك.

فقال: أسألك عن ربك متى كان؟!

فقال: كان بلا كينونية، كان بلا كيف، كان لم يزل بلا كم وبلا كيف، كان ليس له قبل، هو قبل القبل بلا قبل، ولا غاية، ولا منتهى. انقطعت عنه الغاية، وهو غاية كل غاية.

---

(١) الكافي ج١ ص٨٩ و ٩٠ والاحتجاج ج١ ص٤٩٦ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣١٣ وبحار الأنوار ج٣ ص٢٨٥ وج٧٤ ص٣٣١ والتوحيد للصدوق ص٧٧ ونور البراهين للجزائري ج١ ص٢١٤ و ٤٣١ والمعيار والموازنة للإسكافي ص٢٥٩.

فقال رأس الجالوت: امضوا بنا، فهو أعلم مما يقال فيه[١].

٤ـ وفي نص آخر: «.. وربنا هو كائن بلا كينونة كائن، كان بلا كيف يكون. كائن لم يزل بلا لم يزل، وبلا كيف يكون. كان لم يزل ليس له قبل. هو قبل القبل بلا قبل، وبلا غاية، ولا منتهى. غاية ولا غاية إليها. غاية انقطعت الغايات عنه فهو غاية كل غاية[٢].

وذكره الكليني أيضاً، لكنه قال: إن رأس الجالوت قال لليهود: إن المسلمين يزعمون: أن علياً من أجدل الناس، وأعلمهم، اذهبوا بنا إليه، لعلِّي أسأله مسألة وأخطئه فيها.

فأتاه فقال..

إلى أن تقول الرواية: فقال: أشهد أن دينك الحق، وأن ما خالفه باطل[٣].

ونقول:

نذكر هنا بعض ما يرتبط بالنصوص السابقة، كما يلي:

---

(١) الكافي ج١ ص٨٩ وبحار الأنوار ج٤٠ ص١٨٢ وج٣ ص٣٣٦ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٢٣٢ و ٢٣٣ وعن المحاسن.

(٢) التوحيد للصدوق ص٧٧ وبحار الأنوار ج٣ ص٢٨٥.

(٣) الكافي ج١ ص٨٩ و٩٠ والتوحيد لصدوق ص١٧٥ وبحار الأنوار ج٣ ص٢٨٦ ونور البراهين ج١ ص٤٣١ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٢٣٣.

رأس الجالوت:

رأس الجالوت: مقدم علماء اليهود. وجالوت اسم أعجمي. ويكون رأس الجالوت من ولد داود. والمراد بالجالوت: الذين أجلوا عن بيت المقدس[١].

الكينونة المنفية عنه تعالى:

بلا كينونة: أي أن الكينونة ليست وجوداً زائداً عليه، ولا أمراً حادثاً، والكيف من صفات الجسمانيات. وكذلك القبلية والبعدية، والغاية التي هي طرف ونهاية امتداد، وغير ذلك مما هو زماني ومكاني.

وقوله: بلا كينونة كائن: أي قبل أن يتكون كائن. أو أنه تعالى ليس له كينونة الكائنات.

أما قوله في الرواية رقم (٣): بلا كينونة: فيريد به: أن لفظ كان يدل على حصول الوجود للشيء بعد أن لم يكن. فاختار «عليه السلام» لفظ «كينونة»، ليدل على أصل معنى الوجود، من دون إلماح إلى حصوله بعد أن لم يكن.

بلا لم يزل، وبلا كيف:

وقوله: بلا كيف يكون: أي بلا كيف يوجد، لا على الحقيقة، ولا على نحو الاستعداد.

---

(١) راجع: مفاتيح العلوم. وشرح أصول الكافي ج٣ هامش ص١٢٨.

وقوله: بلا لم يزل: أي زمانٍ قديم موجود، يسمى بلم يزل، ليكون معه هذا الوصف قديماً ثانياً.

متى كان لما لم يكن؟!:

وذكرت الرواية رقم (١): أنه «عليه السلام» قال لليهودي: «إنما يقال: متى كان؟! لما لم يكن» أي فكان. أما ما كان في الأزل، ولم يسبقه العدم، فلا يقال له: متى كان؟! لأن هذا السؤال يختص بالموجودات الحادثة.

قبل القبل وبعد البعد:

وأما أنه تعالى قبل القبل، وبعد البعد، وليس منتهى غاية، فالمقصود به: أنه تعالى أزلي، سرمدي، مجرد عن كل لحاظ في الواقع، أو في العقل، عن القبلية والبعدية وغيرها. أي أنه ليس منتهى مسافة وهمية، أو حسية، أو عقلية، أو زمانية، أو مكانية، لتكون لتلك المسافة نهاية، ليقال: هو قبلها أو بعدها، فلا يصح: أن يسأل عنه بأين ومتى؟!

والحاصل: أن قبليته تعالى ليست قبلية زمانية، بل قبلية سرمدية. كما أن بعديته بعدية أزلية، فلا انقطاع لوجوده، لا في القبل ولا في البعد. لأن الانقطاع من لواحق الأمور الزمانية المحدثة.

أنا عبد من عبيد محمد:

ولما أجابه «عليه السلام» بذلك الجواب قال له اليهودي: أنبي أنت؟!

فقال له «عليه السلام»: «إنما أنا عبد من عبيد محمد».

ونحن لا نبرئ ذلك اليهودي من أن يكون قد أراد بسؤاله هذا

التشويش، وإيقاع الشبهة والفتنة بين أهل الحق، وشق صفوفهم، بدفع بعضهم إلى الغلو، ليتصادموا مع غيرهم..

وربما يكون قد أراد أيضاً إذكاء طموح علي «عليه السلام»، ودفعه إلى ادعاء أمر يتناقض مع ما يعتقده المسلمون، من أن محمداً «صلى الله عليه وآله» خاتم الأنبياء، كما نص عليه القرآن الكريم.

وجاءت إجابة علي «عليه السلام» صاعقة لذلك اليهودي، وحاسمة لكل وهم وشبهة..

وقد كان بإمكانه «عليه السلام» أن يقول: أنا أحد أتباع محمد، أو أنا أحد تلامذة محمد «صلى الله عليه وآله».

ويكون بذلك قد أظهر تواضعه، وأدى فروض التعظيم والاحترام.

ولكنه لم يفعل، ربما لأنه خشي من أن يفهم ذلك اليهودي: أن التابع إنما صار تابعاً بقرارٍ منه، ويمكن أن يقرر التخلي عن هذه التابعية. وأن ينزع هذه الصفة عنه متى شاء..

أو أن يتخيل أن التلميذ أيضاً قد يستنفذ ما لدى أستاذه وقد يتفوق عليه، حين يضيف إليه ما اكتسبه من أساتذة آخرين، أو ما حصل عليه بجهده الخاص، أو ما استفاده من تجاربه.

أما اعتبار نفسه عبداً لمحمد، فهو ما لم يكن يخطر على بال ذلك اليهودي الذي يقيس الأمور بمقاييس مادية، قوامها العمل في سبيل الأنا، وما تحصل عليه من النفع والضرر في الحياة الدنيا..

والذي لا بد أن يزيد في كربه، وخزيه: أن يرى أن هذا العالم الذي أقر

بأنه يضارع الأنبياء في علمه، يعتبر نفسه عبداً لمحمد «صلى الله عليه وآله»، ويقصر نفسه على هذه الصفة، ولا يرضى بتوصيفه بغيرها، بل هو يغضب، ويدعو بالموت على من يتجاوزها في توصيفه له!!

وذلك اليهودي كان يرى بأم عينه: أن محمداً لم يكن حين هذه الواقعة حياً، ليمكن التسويق لاحتمال أن يكون علي «عليه السلام» قد قال ذلك خوفاً من محمد «صلى الله عليه وآله»، أو مراعاة لجانبه، وقياماً منه بفروض الآداب والمجاملة، بل قرر «عليه السلام» أنه من عبيد محمد بعد استشهاد النبي «صلى الله عليه وآله» بحوالي ثلاثين سنة.

والمقصود: أنه عبد لمحمد في الطاعة والانقياد، وفي أنه لا يملك لنفسه شيئاً، بل هو وكل ما عنده في تصرف محمد «صلى الله عليه وآله»، وفي خدمة أهدافه، ومن أجله.

ولعل هدف اليهود من طرح الأسئلة على المسلمين: هو استكشاف إن كان لدى المسلمين شيء من علوم الأنبياء «عليهم السلام» وأسراهم، التي تميزهم عن غيرهم من عباد الأوثان، أم أنهم ليس لديهم سوى ما كان لدى عبَّاد الأوثان من أمور حسية أو قريبة من الحس، يتداولونها!!

المراد بقبل القبل:

وليس المراد بقبل القبل: القبلية الزمانية، إذ لا ميزة فيها، ولا شرف لها، بل قد يكون ما يأتي في الزمان المتأخر أشرف وأفضل من سابقه. كما هو الحال بالنسبة لنبينا «صلى الله عليه وآله»، فإنه أشرف ممن سبقه ولحقه من جميع الخلائق..

وليس المراد: القبلية والبعدية المكانية، إذ لا مكان له تعالى، بل المراد القبلية العلِّية، فهو تعالى علَّة العلل، ولا علة له.. ولا نهاية لوجوده في جهتي القبلية والبعدية، لكونه أزلياً وسرمدياً..

الكينونة ليست زائدة ولا حادثة:

إن كينونته تعالى هي حقيقة ذاته، وليست وجوداً زائداً ولا حادثاً. لأنه لو كان كذلك، فهو إما منه، أو من غيره.

والأول باطل، لاستحالة أن يكون الشيء علة لوجود نفسه.

والثاني باطل أيضاً، لأن الواجب بالذات لا يحتاج في وجوده إلى غيره.

صفاته تعالى عين ذاته:

وقد قال «عليه السلام»: كان بلا كيف، لأن الكيف صفة زائدة، كالعلم، والقدرة، والإرادة، والحياة.

ويلزم من الصفة الزائدة تعدد الواجب، إن كانت تلك الصفة واجبة بالذات. واحتياجه إلى الغير إن كانت ممكنة.

وهو تعالى بلا كم، سواء أكان متصلاً، أم منفصلاً، مثل الجسم، والسطح، والخط الذي لا بد منه، إن كان له غاية، وكان الامتداد مكانياً، أو كانت له غاية زمانية، إن كان الامتداد زمانياً.

والوجود الأزلي برئ من ذلك، لأن الكم يقبل القسمة، والتجزئة، والمساواة وعدمها.

بلا كم، وبلا كيف:

ورد في الرواية المتقدمة برقم (٣) قوله: «كان بلا كيف، وكان لم يزل بلا كم ولا كيف..». فقد يسأل عن الفرق بين الكيف في المرة الأولى، والكيف الذي أعاده في المرة الثانية؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن سلب الكيف أولاً في قوله: كان بلا كيف. هو سلب الصفات الزائدة عن ذاته تعالى، والكيف صفة، فلا بد من سلبه عنه سبحانه.

والمراد بالكيف المسلوب ثانياً: هو سلب جنسه الشامل للكيفيات المحسوسة، والاستعدادية، والنفسانية، والكيفيات المختصة بالكم.

أو يقال: المراد بالثاني: سلب الكيفيات المختصة بالكم. وبالأول: سلب ما عداها من الكيفيات المحسوسة، والاستعدادية والنفسانية.

أو المراد هنا: أن «لم يزليته تعالى» غير مكيفة بكيف. وفي الأول: أن وجوده تعالى غير مكيف بكيف.

بلى يا يهودي، ثم بلى يا يهودي:

وذكرت رواية الكافي: أنه «عليه السلام» قال: «هو كائن بلا كينونة كائن. كان بلا كيف يكون. بلى يا يهودي، ثم بلى يا يهودي، كيف يكون له قبل؟! هو قبل القبل إلخ..».

والسؤال هنا هو: لما كرر «عليه السلام» قوله: «بلى يا يهودي، ثم بلى يا يهودي»؟!

ويمكن أن يجاب:

أولاً: بأنه «عليه السلام» يخاطب شخصاً يصر على التجسيم الإلهي، وإثبات الكيفيات بجميع أنواعها حتى ما كان مختصاً بالكم. لأنه يرى أن الله جسم، وله صفات الأجسام.

بل هو يزعم: أنه تلقى هذه المقولات الفاسدة عن الله سبحانه، وأنها مما صرحت به كتب الله المنزلة. وعلى الأخص التوراة.

فهو يتبناها على سبيل التقديس، ويتدين بها على هذا الأساس.

وبذلك يكون اليهودي قد سد باب النقاش العلمي، المستند إلى أحكام العقل الصحيحة والصريحة..

فأراد «عليه السلام» التأكيد على فساد هذه المقولات بقوة وحزم، بالاستناد إلى الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، ليكسر بذلك عناد ذلك اليهودي الذي يتجرأ على الله، بالاستناد إلى ما يزعم أنه من الله تعالى

ثانياً: إنه «عليه السلام» قد قرر أمرين كان يتوقع من اليهودي أن يبادر إلى إنكارهما:

١ـ إن الله تعالى كائن بلا كون، حادث..

٢ـ إنه تعالى كائن بلا كيف..

فأراد «عليه السلام» أن ينفيهما معاً، وبصورة تفصيلية، تظهر تعمده لنفيهما معاً.. لكي لا يتوهم متوهم أن ما سيذكره قد يصلح لنفي أحدهما دون الآخر..

فذكر «عليه السلام»: أنه إذا لم يكن لله تعالى قبل ولا بعد، فلا يمكن

أن يكون له حدوث ولا كيف. لأن الكيف وصف حادث، لا يتصف به غير الحادث، وهذا مما لا يصح نسبته إلى الله تعالى؛ لأن كينونته تعالى هي حقيقة ذاته. وهو تعالى واجب الوجود، ووجوب وجوده تعالى يفرض أموراً:

أولها: أنه لا يمكن أن يكون له ابتداء، لأنه إما إن يكون هو الذي أوجد نفسه، وهو يستلزم التقدم والتأخر، والوجود والعدم في آن واحد، وهو باطل، أو يكون غيره قد أوجده، وهو باطل أيضاً، لأن المفروض: أنه واجب الوجود بالذات، لا بالغير.

ثانيهما: أنه لا يمكن أن يكون له امتداد ونهاية. (لما ذكرناه من أن ذلك من صفات المخلوق لا الخالق)، لأنه من صفات الكم، الذي هو من الحوادث، والكم يكون قابلاً للقسمة والتجزية، والمساواة والزيادة. والوجود بالذات لا يقبل ذلك.

ثالثها: أن يكون له انتهاء، وهذا ينافي سرمديته وأزليته، لأنه من صفات المخلوقين أيضاً.

أثر الآيات في قضاء الحاجات:

روى الكليني «رحمه الله»، عن محمد بن يحيى، عن عبد الله بن جعفر، عن السياري، عن محمد بن بكر، عن أبي الجارود، عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال:

والذي بعث محمداً «صلى الله عليه وآله» بالحق، وأكرم أهل بيته، ما من شيء يطلبونه من حرز، أو حرق، أو غرق، أو سرق، أو إفلات دابة من

صاحبها، أو ضالة، أو آبق، إلا وهو في القرآن. فمن أراد ذلك فليسألني عنه.

قال: فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عما يؤمن من الحرق والغرق.

فقال: اقرأ هذه الآيات: ﴿**اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾ و ﴿**مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ إلى قوله: ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾، فمن قرأها فقد أمن [من] الحرق والغرق.

قال: فقرأها رجل، فاضطرمت النار في بيوت جيرانه، وبيته وسطها، فلم يصبه شيء.

ثم قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين، إن دابتي استصعبت علي، وأنا منها على وجل.

فقال: اقرأ في اذنها اليمنى: ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾.

فقرأها، فذلت له دابته.

وقام إليه رجل آخر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن أرضي أرض مسبعة، وإن السباع تغشى منزلي، ولا تجوز حتى تأخذ فريستها.

فقال: اقرأ: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾.

فقرأهما الرجل، فاجتنبته السباع.

ثم قام إليه رجل آخر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن في بطني ماء أصفر. فهل من شفاء؟!

فقال: نعم، بلا درهم ولا دينار، ولكن اكتب على بطنك آية الكرسي، وتغسلها وتشربها وتجعلها ذخيرة في بطنك، فتبرأ بإذن الله عز وجل.

ففعل الرجل، فبرئ بإذن الله تعالى.

ثم قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن الضالة.

فقال: اقرأ: ﴿يس﴾ في ركعتين، وقل: يا هادي الضالة، رد علي ضالتي.

ففعل، فرد الله عز وجل عليه ضالته.

ثم قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن الآبق.

فقال: اقرأ: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

فقالها الرجل، فرجع إليه الآبق.

ثم قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن السرق، فإنه لا يزال قد يسرق لي الشيء بعد الشيء ليلاً.

فقال: اقرأ إذا أويت إلى فراشك: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾.

ثم قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: من بات بأرض قفر، فقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى

عَلَى الْعَرْشِ﴾ إلى قوله: ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ حرسته الملائكة، وتباعدت عنه الشياطين.

قال: فمضى الرجل، فإذا هو بقرية خراب، فبات فيها فلم يقرأ هذه الآية، فتغشاه الشيطان، فإذا هو آخذ بخطمه.

فقال له صاحبه: أنظره، واستيقظ الرجل، فقرأ الآية.

فقال الشيطان لصاحبه: أرغم الله أنفك، احرسه الآن حتى يصبح.

فلما أصبح رجع إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فأخبره، وقال له: رأيت في كلامك الشفاء والصدق.

ومضى بعد طلوع الشمس، فإذا هو بأثر شعر الشيطان منجراً في الأرض[1].

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

١ ـ إن الرواية، وإن كانت ضعيفة سنداً، ولكن ذلك لا يمنع من صحة مضامينها كلاً أو بعضاً، حيث لا تتوفر الدواعي على الكذب في هذا الموضوع أو ذاك..

من أجل ذلك، ولأنه لا مانع من الأخذ بالمضمون الذي لم يثبت كذبه

---

(١) الكافي ج٢ ص٦٢٤ ـ ٦٢٦ وبحار الأنوار ج٤٠ ص١٨٢ ـ ١٨٤ عنه، وجامع أحاديث الشيعة ج١٥ ص١٦٧ و ١٦٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٦ ص٢٠١.

برجاء صدوره وصحته، نرى: أن علينا أن لا نتجاهل أمثال هذه النصوص، حتى لا نكون سبباً في ضياعها، وتعطيل الاستفادة منها لمن شاء..

على أن النص الضعيف السند إذا انضم إلى نصوص أخرى تجتمع معه على مضمون واحد قد يشكل تواتراً للمعنى، أو استفاضةً توجب قوة الظن بصدور ما اتفقت عليه المضامين المختلفة.. وربما تشكل بمجموعها حجة عند العقلاء. أو أنهم ـ على الأقل ـ لا يتجاهلونها في تعاملهم مع أمثال هذه القضايا.

٢ ـ لوحظ في هذه الرواية قولها: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان هو المبادر إلى إثارة هذا الموضوع، وسوق الناس إلى السؤال عنه.. وإذا كان هو المسؤول عن تعليم الناس وعن تربيتهم ودلالتهم على ما يصلح أمورهم، فلا بد من أن يكون «عليه السلام» قد لاحظ مواضع الخلل، أو النقص في معارفهم، أو هيمنت عليهم، فصرفتهم عن ما ينبغي لهم أن يتوجهوا إليه. فاقتضى الحال أن تكون المبادرة منه.

٣ ـ إنه «عليه السلام» أثار موضوع الاستفادة من الآيات القرآنية في مجالات تهم الناس، وفي مواقع حساسة وعملية..

٤ ـ إنه «عليه السلام» قد بدأ حديثه معهم بطريقة مثيرة لمشاعرهم الشخصية، كأفراد، كما أنها طريقة تدفعهم إلى البحث والتقصي، والاستعلام وطلب المزيد، ولو لم تكن هناك حاجة شخصية حاضرة.

٥ ـ إن سياق الرواية يفيد: أن الراوي كان يذكر السؤال والجواب، ثم

يشير إلى ما جرى للسائل بعد ذلك، ثم يعود إلى إكمال الرواية من حيث بلغ. لأن ظاهر سياق الرواية: هو أن السائلين كلهم قد قاموا إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» وسألوه، وأجابهم في مجلس واحد..

٦ ـ إنه لا ريب في أن للكلمات تأثيراً في الأمور العينية الخارجية، وقد عوذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» الحسن والحسين «عليهما السلام» بالمعوذتين بأمر من الله تعالى.. كما أن الله تعالى يقول لنبيه «صلى الله عليه وآله»: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ**﴾(١).

وهناك روايات كثيرة يصعب حصرها تذكر آثاراً عملية للآيات، في الشفاء، وفي تفريج الهموم، وحل المشكلات، والرزق، والحفظ، وغير ذلك، ولا يمكن الحكم عليها كلها بالبطلان. بل يقطع بصدور قسم منها، كما أن من بينها ما هو معتبر سنداً، وسليم الدلالة.

٧ ـ إن هناك شروطاً لتأثير هذه الآيات أو غيرها من الأوراد والأدعية والتعاويذ: قراءةً، أو كتابة، أو غير ذلك من أنحاء الاستفادة في قضاء الحاجات، كما لا بد أن يكون هناك موانع من تأثيرها.. مما يعني: أن قراءة أو كتابة الآية، أو الدعاء، أو بعض الأسماء المباركة تكون بمثابة المقتضي للتأثير، فتحتاج إلى توفر بعض الشروط الأخرى، والعمل على رفع بعض الموانع، ليحصل الطالب على مطلوبه منها.

---

(١) الآيتان ٩٧ و ٩٨ من سورة المؤمنون.

فقد تكون مشروطة بالطهارة من الحدث، أو بكون موردها مرضياً وطاعة لله.

وربما كانت الاستجابة وتحقيق الأثر مضرة بحال من يريد أن يستفيد منها، أو مضرة بحال غيره.. وربما يكون من الأضرار المانعة من التأثير: أن بعض الناس يريد أن يعتمد عليها في تدبير أموره، وحلّ مشكلاته الدنيوية، أو أنه يريد أن يلعب بآيات القرآن، أو أن يستخدمها في استغلال، وخداع الناس، فيحجب الله تعالى آثارها عنه، رأفة ورحمة به أو بغيره من عباده..

٨ ـ إن ما ذكر في آخر الرواية المتقدمة، عن ذلك الرجل الذي بات في قرية خراب، فتغشاه الشيطان، لأنه لم يقرأ الآية التي أرشده الإمام «عليه السلام» إلى قراءتها ـ إن هذا ـ قد جاء مشوشاً وغير واضح.

ولعل المراد: أن الشيطان تغشاه وهو نائم، وآذاه، وكان مع الشيطان شيطان آخر، فطلب منه صاحبه أن يمهله، ويعطيه فرصة ولا يزيد في أذاه، فلما استيقظ، وقرأ الآية، ولم يعد للشيطان سبيل إلى أذاه غضب الشيطان على صاحبه، وأمره بحراسته والبقاء معه إلى أن يصبح، لأن الآيات ليس فقط تمنع من أذى الشياطين، بل هي تحتم عليهم حراسة من آذوه، ودفع غيرهم عنه..

ولكن هذا البيان لا ينسجم مع تصريح الرواية: بأن الملائكة هي التي تحرس قارئ الآية لا الشياطين..

٩ ـ وعن أثر شعر الشيطان الذي وجده ذلك الرجل في الموضع الذي كان نائماً فيه، كما ورد في آخر عبارة في الرواية نقول:

نحن لا نمنع من أن يكون لبعض الشياطين شعر، ولكن هل قراءة الآية أوجبت ظهور أثر شعر الشيطان في الأرض على شكل خطوط يظهرها ثقل الجالس، أو الرابض على الأرض؟!

لا ندري كيف نفسر هذا الكلام.. ونظن: أن هذا الشطر من الرواية لم ينقل لنا بدقة، إن لم نقل: إنه قد تعرض للتحريف والخلط أو التصحيف. والله هو العالم بحقيقة الحال.

الفصل الثالث:

موقف يهودي من فضائل الرسول ﷺ

اليهودي وفضائل النبي صلى الله عليه وآله:

روي عن موسى بن جعفر «عليهما السلام»، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي «عليهما السلام» أن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم كان قد قرأ التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء «عليهم السلام»، وعرف دلائلهم، جاء إلى مجلس فيه أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفيهم علي بن أبي طالب «عليه السلام» وابن عباس وابن معبد الجهني[1]، فقال: يا أمة محمد ما تركتم لنبي درجة ولا لمرسل فضيلة إلا نحلتموها نبيكم، فهل تجيبوني عما أسألكم عنه؟!

فكاع القوم عنه.

فقال علي بن أبي طالب «عليه السلام»: نعم ما أعطى الله عز وجل نبياً

---

(١) في المصدر: أبو سعيد الجهني، والظاهر أنه مصحف، وهو عبد الله بن حكيم الجهني، قال ابن الأثير في أسد الغابة ج٣ ص١٤٥: عبد الله بن حكيم الجهني أدرك النبي «صلى الله عليه وآله» ولا يعرف له سماع. قاله البخاري، وقال أبو حاتم الرازي: إنما هو عبد الله بن حكيم أبو سعيد الجهني.

درجة ولا مرسلاً فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد «صلى الله عليه وآله»، وزاد محمداً «صلى الله عليه وآله» على الأنبياء أضعافاً مضاعفة.

فقال له اليهودي: فهل أنت مجيبني؟!

قال له: نعم، سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما يقر به الله أعين المؤمنين، ويكون فيه إزالة لشك الشاكين في فضائله. إنه عليه الصلاة والسلام كان إذا ذكر لنفسه فضيلة قال: ولا فخر، وأنا أذكر لك فضائله غير مزرٍ بالأنبياء، ولا منتقص لهم، ولكن شكراً لله عز وجل على ما أعطى محمداً «صلى الله عليه وآله» مثل ما أعطاهم، وما زاده الله وما فضله عليهم.

فقال له اليهودي: إني أسألك، فأعدَّ له جواباً.

فقال له علي «عليه السلام»: هات.

قال له اليهودي: هذا آدم عليه السلام أسجد الله له ملائكته، فهل فعل بمحمد شيئاً من هذا؟!

فقال له علي «عليه السلام»: لقد كان ذلك، ولئن أسجد الله لآدم ملائكته، فإن سجودهم لم يكن سجود طاعة، أنهم عبدوا آدم من دون الله عز وجل، ولكن اعترفوا (اعترافاً خ ل) لآدم بالفضيلة ورحمةً من الله له.

ومحمد «صلى الله عليه وآله» أعطي ما هو أفضل من هذا، إن الله تعالى صلى عليه في جبروته، والملائكة بأجمعها، وتعبَّد المؤمنين بالصلاة عليه، فهذه زيادة له يا يهودي.

قال له اليهودي: فإن آدم تاب الله عليه من بعد خطيئته.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» نزل فيه ما هو أكبر من هذا من غير ذنب أتى، قال الله عز وجل: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾. إن محمداً غير موافٍ في القيامة بوزر، ولا مطلوب فيها بذنب.

قال له اليهودي: فإن هذا إدريس «عليه السلام» رفعه الله عز وجل مكاناً علياً، وأطعمه من تحف الجنة بعد وفاته.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أعطي ما هو أفضل من هذا، إن الله جل ثناؤه قال فيه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، فكفى بهذا من الله رفعة.

ولئن أطعم إدريس من تحف الجنة بعد وفاته فإن محمداً «صلى الله عليه وآله» أطعم في الدنيا في حياته. بينما يتضور جوعاً فأتاه جبرائيل بجام من الجنة فيه تحفة، فهلل الجام وهللت التحفة في يده، وسبحا وكبرا وحمدا، فناولها أهل بيته، ففعل الجام مثل ذلك، فهم أن يناولها بعض أصحابه فتناولها جبرائيل «عليه السلام» فقال له: كلها فإنها تحفة من الجنة أتحفك الله بها، وإنها لا تصلح إلا لنبي أو وصي نبي، فأكل «صلى الله عليه وآله»، وأكلنا معه (منه خ ل). وإني لأجد حلاوتها ساعتي هذه.

فقال له اليهودي: فهذا نوح «عليه السلام» صبر في ذات الله عز وجل، وأعذر قومه إذ كُذِّب.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» صبر في ذات الله، وأعذر قومه إذ كُذِّب وشرد، وحصب بالحصى،

وعلاه أبو لهب بسلا شاة، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جابيل ملك الجبال: أن شق الجبال، وانته إلى أمر محمد «صلى الله عليه وآله»، فأتاه فقال له: إني قد أمرت لك بالطاعة، فإن أمرت أن أطبق عليهم الجبال فأهلكتهم بها.

قال عليه الصلاة والسلام: إنما بعثت رحمة، رب اهد أمتي فإنهم لا يعلمون.

ويحك يا يهودي، إن نوحاً لما شاهد غرق قومه رق عليهم رقة القرابة، وأظهر عليهم شفقة، فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾.

فقال الله تبارك وتعالى اسمه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ أراد جل ذكره أن يسليه بذلك.

ومحمد «صلى الله عليه وآله» لما علنت [غلبت عليه] من قومه المعاندة [المتعة: المحبة] شهر عليهم سيف النقمة ولم تدركه فيهم رقة القرابة، ولم ينظر إليهم بعين مقت (مقة. أو المحبة).

قال له اليهودي: فإن نوحاً دعا ربه فهطلت له السماء بماء منهمر.

قال له «عليه السلام»: لقد كان كذلك، وكانت دعوته دعوة غضب، ومحمد «صلى الله عليه وآله» هطلت له السماء بماء منهمر رحمة. [وذلك] أنه «عليه السلام» لما هاجر إلى المدينة أتاه أهلها في يوم جمعة، فقالوا له: يا رسول الله، احتبس القطر، واصفر العود، وتهافت الورق.

فرفع يده المباركة حتى رئي بياض إبطيه، وما ترى في السماء سحابة، فما برح حتى سقاهم الله، حتى أن الشاب المعجب بشبابه لتهمُّه نفسه في الرجوع إلى منزله فما يقدر من شدة السيل، فدام أسبوعاً، فأتوه في الجمعة

الثانية فقالوا: يا رسول الله لقد تهدمت الجدر، واحتبس الركب والسفر.

فضحك عليه الصلاة والسلام وقال: هذه سرعة ملالة ابن آدم، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم في أصول الشيح، ومراتع البقع» فرئي حوالي المدينة المطر يقطر قطراً، وما يقع في المدينة قطرة لكرامته على الله عز وجل.

قال له اليهودي: فإن هذا هود «عليه السلام» قد انتصر له من أعدائه بالريح، فهل فعل بمحمد «صلى الله عليه وآله» شيئاً من هذا؟!

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أعطي ما هو أفضل من هذا، إن الله عز وجل قد انتصر له من أعدائه بالريح يوم الخندق، إذ أرسل عليهم ريحاً تذرو الحصى، وجنوداً لو يروها، فزاد الله تبارك وتعالى محمداً «صلى الله عليه وآله» على هود بثمانية آلاف ملك، وفضله على هود بأن ريح عاد ريح سخط، وريح محمد «صلى الله عليه وآله» ريح رحمة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا**﴾.

قال له اليهودي: فإن هذا صالح أخرج الله له ناقة جعلها لقومه عبرة.

قال علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد عليه وآله السلام أعطي ما هو أفضل من ذلك، إن ناقة صالح لم تكلم صالحاً ولم تناطقه، ولم تشهد له بالنبوة، ومحمد «صلى الله عليه وآله» بينما نحن معه في بعض غزواته إذا هو ببعير قددنا ثم رغا، فأنطقه عز وجل فقال: يا رسول الله إن فلاناً استعملني حتى كبرت، ويريد نحري، فأنا أستعيذ بك منه.

فأرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى صاحبه فاستوهبه منه فوهبه له وخلاه.

ولقد كنا معه فإذا نحن بأعرابي معه ناقة له يسوقها، وقد استسلم للقطع لما زور عليه من الشهود، فنطقت له الناقة فقالت: يا رسول الله إن فلاناً مني بريء، وإن الشهود يشهدون عليه بالزور، وإن سارقي فلان اليهودي.

قال له اليهودي: فإن هذا إبراهيم قد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله تعالى، وأحاطت دلالته بعلم الإيمان به.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، وأعطي محمد «صلى الله عليه وآله» أفضل من ذلك، قد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله تعالى، وأحاطت دلالته (دلائله خ ل) بعلم الإيمان به، وتيقظ إبراهيم وهو ابن خمسة (الصحيح: خمس) عشرة سنة، ومحمد «صلى الله عليه وآله» كان ابن سبع سنين، قدم تجار من النصارى، فنزلوا بتجارتهم بين الصفا والمروة، فنظر إليه بعضهم فعرفه بصفته ونعته، وخبر مبعثه وآياته «صلى الله عليه وآله».

فقالوا له: يا غلام ما اسمك؟!

قال: محمد.

قالوا: ما اسم أبيك؟!

قال: عبد الله.

قالوا: ما اسم هذه؟! ـ وأشاروا بأيديهم إلى الأرض ـ

قال: الأرض.

قالوا: فما اسم هذه؟ ـ وأشاروا بأيديهم إلى السماء ـ

قال: السماء.

قالوا: فمن ربهما؟!

قال: الله. ثم انتهرهم وقال: أتشككونني في الله عز وجل؟!

ويحك يا يهودي لقد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله عز وجل مع كفر قومه إذ هو بينهم يستقسمون بالأزلام، ويعبدون الأوثان، وهو يقول: لا إله إلا الله.

قال اليهودي: فإن إبراهيم «عليه السلام» حجب عن نمرود بحجب ثلاثة.

فقال علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» حجب عمن أراد قتله بحجب خمس، فثلاثة بثلاثة، واثنان فضل، قال الله عز وجل وهو يصف أمر محمد «صلى الله عليه وآله» فقال: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا**﴾ فهذا الحجاب الأول ﴿**وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا**﴾ فهذا الحجاب الثاني ﴿**فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ**﴾ فهذا الحجاب الثالث.

ثم قال: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾ فهذا الحجاب الرابع، ثم قال: ﴿**فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ**﴾ فهذه حجب خمسة.

قال له اليهودي: فإن إبراهيم «عليه السلام» قد بَهَتَ الذي كفر ببرهان نبوته.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أتاه مكذب بالبعث بعد الموت، وهو أبي بن خلف الجمحي، معه عظم نخر، ففركه، ثم قال: يا محمد ﴿**مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ فأنطق الله محمداً «صلى الله عليه وآله» بمحكم آياته، وبهته ببرهان نبوته، فقال: ﴿**يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾ فانصرف مبهوتاً.

قال له اليهودي: فإن إبراهيم جذ أصنام قومه غضباً لله عز وجل.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» قد نكس عن الكعبة ثلاث مائة وستين صنماً، ونفاها من جزيرة العرب، وأذل من عبدها بالسيف.

قال له اليهودي: فإن إبراهيم «عليه السلام» قد أضجع ولده وتله للجبين.

فقال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ولقد أعطي إبراهيم «عليه السلام» بعد الإضجاع (الإضجاع خ ل) الفداء، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أصيب بأفجع منه فجيعة، إنه وقف عليه وآله الصلاة والسلام على عمه حمزة، أسد الله وأسد رسوله، وناصر دينه، وقد فرق بين روحه وجسده، فلم يبين عليه حرقة، ولم يفض عليه عبرة، ولم ينظر إلى موضعه من قلبه وقلوب أهل بيته، ليرضي الله عز وجل بصبره، ويستسلم لأمره في جميع الفعال، وقال «صلى الله عليه وآله»: لولا أن تحزن صفية لتركته حتى يحشر من بطون السباع، وحواصيل الطير، ولولا أن يكون سنة بعدي لفعلت ذلك.

قال له اليهودي: فإن إبراهيم «عليه السلام» قد أسلمه قومه إلى الحريق فصبر، فجعل الله عز وجل النار عليه برداً وسلاماً، فهل فعل بمحمد شيئاً من ذلك؟!

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك ومحمد «صلى الله عليه وآله» لما نزل بخيبر سمته الخيبرية، فستر [فصير] الله السم في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله، فالسم يحرق إذا استقر في الجوف، كما أن النار تحرق، فهذا من قدرته لا تنكره.

قال له اليهودي: فإن يعقوب «عليه السلام» أعظم في الخير نصيبه، إذ جعل الأسباط من سلالة صلبه، ومريم ابنة عمران من بناته.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أعظم في الخير نصيباً منه، إذ جعل فاطمة «عليها السلام» سيدة نساء العالمين من بناته، والحسن والحسين من حفدته.

قال له اليهودي: فإن يعقوب «عليه السلام» قد صبر على فراق ولده حتى كاد يحرض من الحزن.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، وكان حزن يعقوب حزناً بعده تلاق، ومحمد «صلى الله عليه وآله» قبض ولده إبراهيم قرة عينه في حياة منه، وخصه بالاختبار ليعظم له الادخار، فقال «صلى الله عليه وآله»: تحزن النفس، ويجزع القلب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون، ولا نقول ما يسخط الرب. في كل ذلك يؤثر الرضا عن الله عزَّ ذكره، والاستسلام له في جميع الفعال.

فقال له اليهودي: فإن هذا يوسف «عليه السلام» قاسى مرارة الفرقة [لعل الصحيح: الغربة] وحبس في السجن توقياً للمعصية، فألقي في الجب وحيداً.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» قاسى مرارة الغربة، وفارق الأهل والأولاد والمال، مهاجراً من حرم الله تعالى وأمنه، فلما رأى الله عز وجل كآبته، واستشعاره الحزن أراه تبارك وتعالى اسمه رؤيا توازي رؤيا يوسف «عليه السلام» في تأويلها، وأبان للعالمين صدق تحقيقها، فقال: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ**﴾.

ولئن كان يوسف «عليه السلام» حبس في السجن، فلقد حبس رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه في الشعب ثلاثة سنين، وقطع منه أقاربه وذووا الرحم، وألجؤوه إلى أضيق المضيق، فلقد كادهم الله عز ذكره له كيداً مستبيناً، إذ بعث أضعف خلقه، فأكل عهدهم الذي كتبوه بينهم في قطيعة رحمه.

ولئن كان يوسف «عليه السلام» ألقي في الجب فلقد حبس محمد «صلى الله عليه وآله» نفسه مخافة عدوه في الغار، حتى قال لصاحبه: ﴿**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**﴾، ومدحه الله بذلك في كتابه.

فقال له اليهودي: فهذا موسى بن عمران «عليه السلام» آتاه الله التوراة التي فيها حكم [حكمه].

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه

وآله» أعطي ما هو أفضل منه، أعطى محمداً «صلى الله عليه وآله» سورة البقرة، والمائدة، بالإنجيل.

وطواسين، وطه ونصف المفصل، والحواميم، بالتوراة.

وأعطي نصف المفصل والتسابيح، بالزبور.

وأعطي سورة بني إسرائيل وبراءة، بصحف إبراهيم «عليه السلام» وصحف موسى.

وزاد الله عز ذكره محمداً «صلى الله عليه وآله» السبع الطوال، وفاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم وأعطي الكتاب والحكمة.

قال له اليهودي: فإن موسى «عليه السلام» ناجاه الله عز وجل على طور سيناء.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ولقد أوحى الله عز وجل إلى محمد «صلى الله عليه وآله» عند سدرة المنتهى، فمقامه في السماء محمود، وعند منتهى العرش مذكور.

قال له اليهودي: فلقد ألقى على موسى «عليه السلام» محبة منه.

قال له علي «عليه السلام» لقد كان كذلك، ولقد أعطى الله محمداً «صلى الله عليه وآله» ما هو أفضل منه، لقد ألقى الله عز وجل عليه محبة منه، فمن هذا الذي يشركه في هذا الاسم إذ تم من الله عز وجل به الشهادة، فلا تتم الشهادة إلا أن يقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، ينادى به على المنابر، فلا يرفع صوت بذكر الله عز وجل إلا رفع بذكر محمد «صلى الله عليه وآله» معه.

قال له اليهودي: لقد أوحى الله إلى أم موسى لفضل منزلة موسى «عليه السلام» عند الله عز وجل.

قال علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ولقد لطف الله جل ثناؤه لأم محمد «صلى الله عليه وآله» بأن أوصل إليها اسمه حتى قالت: أشهد والعالمون أن محمداً «صلى الله عليه وآله» منتظر، وشهد الملائكة على الأنبياء أنهم أثبتوه في الأسفار، وبلطف من الله عز وجل ساقه إليها، ووصل إليها اسمه منزلته حتى رأت في المنام أنه قيل لها: إنما في بطنك سيد فإذا ولدته فسميه محمداً «صلى الله عليه وآله»، فاشتق الله له اسماً من أسمائه، فالله محمود وهذا محمد «صلى الله عليه وآله».

قال له اليهودي: فإن هذا موسى بن عمران قد أرسله الله إلى فرعون، وأراه الآية الكبرى.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أرسله إلى فراعنة شتى، مثل أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة، وأبي البختري، والنضر بن الحارث، وأبي بن خلف، ومنبه ونبيه ابني الحجاج، وإلى الخمسة المستهزئين: والوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب، والحارث بن الطلاطلة. فأراهم الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى تبين لهم أنه الحق.

قال له اليهودي: لقد انتقم الله لموسى «عليه السلام» من فرعون.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ولقد انتقم الله جل اسمه

لمحمد «صلى الله عليه وآله» من الفراعنة، فأما المستهزئون، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ فقتل الله كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه في يوم واحد.

فأما الوليد بن المغيرة فمر بنبلٍ لرجل من خزاعة قد راشه ووضعه في الطريق، فأصابه شظية منه، فانقطع أكحله حتى أدماه فمات وهو يقول: قتلني رب محمد ـ «صلى الله عليه وآله» ـ.

وأما العاص بن وائل، فإنه خرج في حاجة له إلى موضع، فتدهده تحته حجر، فسقط فتقطع قطعة قطعة، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد ـ «صلى الله عليه وآله» ـ.

وأما الأسود بن عبد يغوث فإنه خرج يستقبل ابنه زمعة، فاستظل بشجرة، فأتاه جبرائيل «عليه السلام» فأخذ رأسه فنطح به الشجرة.

فقال لغلامه: أمنع عني هذا.

فقال: ما أرى أحداً يصنع بك شيئاً إلا نفسك، فقتله وهو يقول: قتلني رب محمد.

وأما الأسود بن المطلب فإن النبي «صلى الله عليه وآله» دعا عليه أن يعمي الله بصره، وأن يثكله ولده. فلما كان في ذلك اليوم خرج حتى صار إلى موضع، فأتاه جبرائيل بورقة خضراء، فضرب بها وجهه فعمي، وبقي حتى أثكله الله عز وجل ولده.

وأما الحارث بن الطلاطلة، فإنه خرج من بيته في السموم، فتحول حبشياً فرجع إلى أهله فقال: أنا الحارث. فغضبوا عليه، فقتلوه وهو يقول:

قتلني رب محمد ـ «صلى الله عليه وآله» ـ.

وروي: أن الأسود بن الحارث أكل حوتاً مالحاً، فأصابه العطش، فلم يزل يشرب الماء حتى انشق بطنه، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد.

كل ذلك في ساعة واحدة، وذلك أنهم كانوا بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقالوا له: يا محمد ننتظر بك إلى الظهر، فإن رجعت عن قولك وإلا قتلناك.

فدخل النبي «صلى الله عليه وآله» في منزله، فأغلق عليه بابه مغتماً لقولهم، فأتاه جبرائيل «عليه السلام» عن الله فقال له: يا محمد السلام يقرأ عليك السلام وهو يقول: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ يعني أظهر أمرك لأهل مكة، وادعهم إلى الإيمان.

قال: يا جبرائيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدوني؟! قال له: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.

قال: يا جبرائيل كانوا الساعة بين يدي.

قال: قد كفيتهم، فأظهر أمره عند ذلك.

وأما بقيتهم من الفراعنة، فقتلوا يوم بدر بالسيف، وهزم الله الجميع وولوا الدبر.

قال له اليهودي: فإن هذا موسى بن عمران قد أعطي العصا فكانت تتحول ثعباناً.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أعطي ما هو أفضل من هذا، إن رجلاً كان يطالب أبا جهل بن هشام

بدين ثمن جزور قد اشتراه، فاشتغل عنه وجلس يشرب، فطلبه الرجل فلم يقدر عليه.

فقال له بعض المستهزئين: من تطلب؟!

قال: عمرو بن هشام ـ يعني أبا جهل ـ لي عليه دين.

قال: فأدلك على من يستخرج الحقوق؟!

قال: نعم، فدله على النبي «صلى الله عليه وآله». وكان أبو جهل يقول: ليت لمحمد إلي حاجة فأسخر به وأرده.

فأتى الرجل النبي «صلى الله عليه وآله» فقال له: يا محمد بلغني أن بينك وبين عمرو بن هشام حسن [صداقة]، وأنا أستشفع بك إليه.

فقام معه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأتى بابه، فقال له: قم يا أبا جهل، فأد إلى الرجل حقه، وإنما كناه أبا جهل ذلك اليوم.

فقام مسرعاً حتى أدى إليه حقه.

فلما رجع إلى مجلسه قال له بعض أصحابه: فعلت ذلك فرقاً من محمد.

قال: ويحكم أعذروني، إنه لما أقبل رأيت عن يمينه رجالاً بأيدهم حراب تتلألأ، وعن يساره ثعبانان تصطك أسنانهما، وتلمع النيران من أبصارهما، لو امتنعت لم آمن من أن يبعجوا بالحراب بطني، ويقضمني الثعبانان.

هذا أكبر مما أعطي [موسى] ثعبان بثعبان موسى عيه السلام، وزاد الله محمداً «صلى الله عليه وآله» ثعباناً وثمانية أملاك معهم حراب.

ولقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» يؤذي قريشاً بالدعاء، فقام يوماً فسفه أحلامهم، وعاب دينهم، وشتم أصنامهم، وضلل آبائهم.

فاغتموا من ذلك غماً شديدا، فقال أبو جهل: والله للموت خير لنا من الحياة. فليس فيكم معاشر قريش أحد يقتل محمداً فيقتل به؟!

فقالوا له: لا.

قال: فأنا أقتله، فإن شاءت بنو عبد المطلب قتلوني به، وإلا تركوني.

قالوا: إنك إن فعلت ذلك اصطنعت إلى أهل الوادي معروفاً، ولا تزال تذكر به.

قال: إنه كثير السجود حول الكعبة، فإذا جاء وسجد أخذت حجراً فشدخته به، فجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» فطاف بالبيت أسبوعاً، ثم صلى وأطال السجود، فأخذ أبو جهل حجراً فأتاه من قبل رأسه، فلما أن قرب منه أقبل فحل من قبل رسول الله فاغراً فاه نحوه، فلما أن رآه أبو جهل فزع منه وارتعدت يده، وطرح الحجر، فشدخ رجله، فرجع مدمى، متغير اللون يفيض عرقا.

فقال له أصحابه: ما رأينا كاليوم.

قال: ويحكم اعذروني فإنه أقبل من عنده فحل فاغراً فاه فكاد يبتلعني، فرميت بالحجر فشخدت رجلي.

قال له اليهودي: فإن موسى «عليه السلام» قد أعطي اليد البيضاء، فهل فعل بمحمد شيء من هذا؟!

قال له «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله»

أعطي ما هو أفضل من هذا، إن نوراً كان يضيء عن يمينه حيثما جلس، وعن يساره أينما جلس، وكان يراه الناس كلهم.

قال له اليهودي: فإن موسى «عليه السلام» قد ضرب له في البحر طريق، فهل فعل بمحمد شيء من هذا؟!

فقال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أعطي ما هو أفضل من هذا، خرجنا معه إلى حنين فإذا نحن بواد يشخب، فقدرناه فإذا هو أربع عشرة قامة، فقالوا: يا رسول الله، العدو من ورائنا، والوادي أمامنا، كما قال أصحاب موسى: إنا لمدركون.

فنزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم قال: «اللهم إنك جعلت لكل مرسل دلالة فأرني قدرتك»، وركب «صلى الله عليه وآله» فعبرت الخيل لاتندى حوافرها، والإبل لا تندى أخفافها، فرجعنا فكان فتحنا فتحاً.

قال له اليهودي: فإن موسى «عليه السلام» قد أعطي الحجر، فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» لما نزل الحديبية وحاصره أهل مكة قد أعطي ما هو أفضل من ذلك، وذلك أن أصحابه شكوا إليه الظماء، وأصابهم ذلك حتى التفت خواصر الخيل.

فذكروا له «صلى الله عليه وآله» ذلك، فدعا بركوة يمانية ثم نصب يده المباركة فيها، فتفجرت من بين أصابعه عيون الماء، فصدرنا وصدرت الخيل رواء، وملأنا كل مزادة وسقاء.

ولقد كنا معه بالحديبية، وإذا ثم قليب جافة، فأخرج «صلى الله عليه وآله» سهماً من كنانته، فناوله البراء بن عازب فقال له: اذهب بهذا السهم إلى تلك القليب الجافة فأغرسه فيها، ففعل ذلك، فتفجرت منه اثنتا عشر عيناً من تحت السهم.

ولقد كان يوم الميضأة عبرة، وعلامة للمنكرين لنبوته، كحجر موسى حيث دعا بالميضأة فنصب يده فيها ففاضت بالماء وارتفع حتى توضأ منه ثمانية آلاف رجل، وشربوا حاجتهم، وسقوا دوابهم، وحملوا ما أرادوا.

قال له اليهودي: فإن موسى «عليه السلام» قد أعطي المن والسلوى، فهل أعطي محمد «صلى الله عليه وآله» نظير هذا؟!

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أعطي ما هو أفضل من هذا، إن الله عز وجل أحل له الغنائم ولأمته، ولم تحل لأحد قبله، فهذا أفضل من المن والسلوى.

ثم زاده أن جعل النية له ولأمته عملاً صالحاً، ولم يجعل لأحد من الأمم ذلك قبله، فإذا همَّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له عشرة.

قال له اليهودي: فإن موسى «عليه السلام» قد ظلل عليه الغمام

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، وقد فعل ذلك لموسى في التيه، وأعطي محمد «صلى الله عليه وآله» أفضل من هذا، إن الغمامة كانت تظلله من يوم ولد إلى يوم قبض، في حضره وأسفاره، فهذا أفضل مما أعطي موسى «عليه السلام».

قال له اليهودي: فهذا داود قد ألان الله عز وجل له الحديد، فعمل منه الدروع.

قال له «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أعطي ما هو أفضل من هذا، إنه ليَّن الله عز وجل له الصم الصخور الصلاب، وجعلها غاراً، ولقد غارت الصخرة تحت يده ببيت المقدس لينة حتى صارت كهيئة العجين، قد رأينا ذلك، والتمسناه تحت رايته.

قال له اليهودي: فإن هذا داود بكى على خطيئته، حتى سارت الجبال معه لخوفه.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أعطي ما هو أفضل من هذا، إنه كان إذا قام إلى الصلاة سمع لصدره وجوفه أزيز كأزيز المرجل على الأثافي من شدة البكاء، وقد أمنه الله عز وجل من عقابه، فأراد أن يتخشع لربه ببكائه، ويكون إماماً لمن اقتدى به.

ولقد قام عليه وآله السلام عشر سنين على أطراف أصابعه، حتى تورمت قدماه، واصفر وجهه، يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك فقال الله عز وجل ﴿**طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾ بل لتسعد به.

ولقد كان يبكي حتى يغشى عليه، فقيل له: يا رسول الله، أليس الله عز وجل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!

قال: بلى، أفلا أكون عبداً شكورا؟!

ولئن سارت الجبال وسبحت معه، لقد عمل محمد «صلى الله عليه وآله» ما هو أفضل من هذا، إذ كنا معه على جبل حراء إذ تحرك الجبل فقال

له: قر فليس عليك إلا نبي وصديق شهيد. فقر الجبل مجيباً لأمره، ومنتهياً إلى طاعته.

ولقد مررنا معه بجبل وإذا الدموع تخرج من بعضه، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: ما يبكيك يا جبل؟!

فقال: يا رسول الله كان المسيح مربي وهو يخوف الناس بنار وقودها الناس والحجارة، فأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة.

قال له: لا تخف تلك حجارة الكبريت.

فقر الجبل وسكن وهدأ، وأجاب لقوله «صلى الله عليه وآله».

قال له اليهودي: فإن هذا سليمان، أعطي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.

فقال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أعطي ما هو أفضل من هذا، إنه هبط إليه ملك لم يهبط إلى الأرض قبله وهو ميكائيل؟!

فقال له: يا محمد عش ملكاً منعماً، وهذه مفاتيح خزائن الأرض معك، وتسير معك جبالها ذهباً وفضة، لا ينقص لك فيما ادخر لك في الآخرة شيء، فأومأ إلى جبرائيل «عليه السلام» ـ وكان خليله من الملائكة ـ فأشار إليه: أن تواضع.

فقال: بل أعيش نبياً عبداً، آكل يوماً ولا آكل يومين، وألحق بإخواني من الأنبياء من قبلي، فزاده الله تعالى الكوثر، وأعطاه الشفاعة، وذلك أعظم من ملك الدنيا من أولها إلى آخرها سبعين مرة، ووعده المقام المحمود، فإذا

كان يوم القيامة أقعده الله تعالى على العرش، فهذا أفضل مما أعطي سليمان بن داود «عليه السلام».

قال له اليهودي: فإن هذا سليمان قد سخرت له الرياح فسارت به في بلاده، غدوها شهر ورواحها شهر.

فقال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أعطي ما هو أفضل من هذا، إنه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين عام (كذا) في أقل من ثلث ليلة، حتى انتهى إلى ساق العرش، فدنا بالعلم فتدلى، فدلي له من الجنة رفرف أخضر، وغشى النور بصره، فرأى عظمة ربه عز وجل بفؤاده ولم يرها بعينه. فكان كقاب قوسين بينها وبينه أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى.

فكان فيما أوحى إليه الآية التي في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿**لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

وكانت الآية قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم «عليه السلام» إلى أن بعث الله تبارك اسمه محمداً «صلى الله عليه وآله». وعرضت على الأمم، فأبوا أن يقبلوها من ثقلها، وقبلها رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعرضها على أمته فقبلوها.

فلما رأى الله تبارك وتعالى منهم القبول علم أنهم لا يطيقونها، فلما أن صار إلى ساق العرش كرر عليه الكلام ليفهمه فقال: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا**

﴿أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾. فأجاب «صلى الله عليه وآله» مجيباً عنه وعن أمته فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فقال جل ذكره: لهم الجنة والمغفرة علي إن فعلوا ذلك.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: أما إذا فعلت بنا ذلك فـ ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ يعني المرجع في الآخرة.

قال: فأجابه الله جل ثناؤه: «وقد فعلت ذلك بك وبأمتك».

ثم قال عز وجل: أما إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها، وقد عرضتها على الأمم فأبوا أن يقبلوها وقبلتها أمتك، فحق علي أن أرفعها عن أمتك. فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من شر.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لما سمع ذلك: أما إذ فعلت ذلك بي وبأمتي فزدني.

قال: سل.

قال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾

قال الله عز وجل: «لست أؤاخذ أمتك بالنسيان والخطأ لكرامتك علي».

وكانت الأمم السالفة إذا نسوا ما ذكروا به فتحت عليهم أبواب العذاب، وقد رفعت ذلك عن أمتك.

وكانت الأمم السالفة إذا أخطأوا أخذوا بالخطأ وعوقبوا عليه، وقد رفعت ذلك عن أمتك لكرامتك علي.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: اللهم إذا أعطيتني ذلك فزدني.

فقال الله تعالى له: سل.

قال: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ يعني: بالإصر الشدائد التي كانت على من كان قبلنا.

فأجابه الله إلى ذلك، فقال تبارك اسمه: قد رفعت عن أمتك الآصار التي كانت على الأمم السالفة، كنت لا أقبل صلاتهم إلا في بقاع من الأرض معلومة اخترتها لهم وإن بعدت، وقد جعلت الأرض كلها لأمتك مسجداً وطهوراً.

فهذه من الآصار التي كانت على الأمم قبلك فرفعتها عن أمتك.

وكانت الأمم السالفة إذا أصابهم أذى من نجاسة قرضوها من أجسادهم، وقد جعلت الماء لأمتك طهوراً، فهذه من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمتك.

وكانت الأمم السالفة تحمل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس، فمن قبلت ذلك منه أرسلت عليه ناراً فأكلته، فرجع مسروراً، ومن لم أقبل ذلك منه رجع مثبوراً وقد جعلت قربان أمتك في بطون فقرائها ومساكينها، فمن قبلت ذلك منه أضعفت ذلك له أضعافاً مضاعفة، ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا، وقد رفعت ذلك عن أمتك وهي من الآصار التي كانت على من كان قبلك.

وكانت الأمم السالفة صلاتها مفروضة عليها في ظلم الليل وأنصاف النهار، وهي من الشدائد التي كانت عليهم، فرفعتها عن أمتك وفرضت

عليهم صلواتهم في أطراف الليل والنهار، وفي أوقات نشاطهم.

وكانت الأمم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتاً. وهي من الآصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن أمتك وجعلتها في خمسة أوقات وهي إحدى وخمسون ركعة، وجعلت لهم أجر خمسين صلاة.

وكانت الأمم السالفة حسنتهم بحسنة وسيئتهم بسيئة. وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمتك. وجعلت الحسنة بعشرة والسيئة بواحدة.

وكانت الأمم السالفة إذا نوى أحدهم حسنة ثم لم يعملها لم تكتب له، وإن عملها كتبت له حسنة، وإن أمتك إذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له عشراً، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمتك.

وكانت أمم سالفة إذا هم أحدهم بسيئة ثم لم يعملها لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت عليه سيئة، وإن أمتك إذا هم أحدهم بسيئة ثم لم يعملها كتبت لهم حسنة. وهذه من الآصار التي كانت عليهم، فرفعت ذلك عن أمتك.

وكانت الأمم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم، وجعلت توبتهم من الذنوب أن حرمت عليهم بعد التوبة أحب الطعام إليهم، وقد رفعت ذلك عن أمتك، وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم، وجعلت عليهم ستوراً كثيفة، وقبلت توبتهم بلا عقوبة، ولا أعاقبهم بأن أحرم عليهم أحب الطعام إليهم.

وكانت الأمم السالفة يتوب أحدهم من الذنب الواحد مائة سنة أو ثمانين سنة أو خمسين سنة، ثم لا أقبل توبته دون أن أعاقبه في الدنيا بعقوبة، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمتك، وإن الرجل من أمتك ليذنب عشرين سنة أو ثلاثين سنة أو أربعين سنة أو مائة سنة ثم يتوب طرفة العين فأغفر له ذلك كله.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: اللهم إذ أعطيتني ذلك كله فزدني.

قال: سل.

قال: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾.

فقال تبارك اسمه: قد فعلت ذلك بأمتك، وقد رفعت عنهم عظم بلايا الأمم، وذلك حكمي في جميع الأمم أن لا أكلف خلقاً فوق طاقتهم. فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: ﴿**وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا**﴾.

قال الله عز وجل: قد فعلت ذلك بتائبي (بناجي خ ل) أمتك، ثم قال: ﴿**فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ قال الله عز اسمه: إن أمتك في الأرض كالشامة البيضاء في الثور الأسود، هم القادرون، وهم القاهرون، يستخدمون ولا يستخدمون لكرامتك علي، وحق علي أن أظهر دينك على الأديان لا يبقى في شرق الأرض وغربها دين إلا دينك، أو يؤدون إلى أهل دينك الجزية.

قال له اليهودي: فإن هذا سليمان «عليه السلام» سخرت له الشياطين، يعملون له ما يشاء: من محاريب، وتماثيل؟!

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ولقد أعطي محمد «صلى الله عليه وآله» أفضل من محاريب وتماثيل.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ولقد أعطي محمد «صلى الله عليه وآله» أفضل من هذا، إن الشياطين سخرت لسليمان وهي مقيمة على كفرها، وقد سخرت لنبوة محمد «صلى الله عليه وآله» الشياطين بالإيمان، فأقبل إليه الجن التسعة من أشرافهم: [واحد] من جن نصيبين واليمن [والثمان] من بني عمرو بن عامر من الأحجة منهم: شضاة، ومضاة، والهملكان، والمرزبان، والمازمان، ونضاة، وهاصب، وعمرو، وهم الذين يقول الله تبارك اسمه فيهم: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ وهم التسعة ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ فأقبل إليه الجن والنبي «صلى الله عليه وآله» ببطن النخل، فاعتذروا بأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً.

ولقد أقبل إليه أحد وسبعون ألفاً منهم فبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة، والحج والجهاد، ونصح المسلمين، فاعتذروا بأنهم قالوا على الله شططاً.

وهذا أفضل مما أعطي سليمان، سبحان من سخرها لنبوة محمد «صلى الله عليه وآله» بعد أن كانت تتمرد وتزعم أن لله ولداً، فلقد شمل مبعثه من الجن والإنس ما لا يحصى.

قال له اليهودي: فهذا يحيى بن زكريا يقال: إنه أوتى الحكم صبياً، والحلم والفهم، وإنه كان يبكي من غير ذنب، وكان يواصل الصوم.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه

وآله» أعطي ما هو أفضل من هذا، إن يحيى بن زكريا كان في عصر لا أوثان فيه ولا جاهلية، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أوتى الحكم والفهم صبياً بين عبدة الأوثان وحزب الشيطان، ولم يرغب لهم في صنم قط، ولم ينشط لأعيادهم، ولم يرمنه كذب قط «صلى الله عليه وآله»، وكان أميناً صدوقاً حليماً، وكان يواصل صوم الأسبوع والأقل والأكثر، فيقال له في ذلك فيقول: إني لست كأحدهم، إني أظل عند ربي فيطعمني ويسقيني.

وكان يبكي «صلى الله عليه وآله» حتى يبتل مصلاه خشية من الله عز وجل من غير جرم.

قال له اليهودي: فإن هذا عيسى بن مريم يزعمون أنه تكلم في المهد صبياً.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» سقط من بطن أمه واضعاً يده اليسرى على الأرض، ورافعاً يده اليمنى إلى السماء يحرك شفتيه بالتوحيد، وبدا من فيه نور رأى أهل مكة منه قصور بصرى من الشام وما يليها، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من إصطخر وما يليها.

ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبي «صلى الله عليه وآله» حتى فزعت الجن والإنس والشياطين، وقالوا: حدث في الأرض حدث.

ولقد رئيت الملائكة ليلة ولد تصعد وتنزل وتسبح وتقدس، وتضرب النجوم وتتساقط علامة لميلاده.

ولقد هم إبليس بالظعن في السماء لما رأى من الأعاجيب في تلك

الليلة، وكان له مقعد في السماء الثالثة، والشياطين يسترقون السمع، فلما رأوا الأعاجيب أرادوا أن يسترقوا السمع فإذا هموا قد حجبوا من السماوات كلها ورموا بالشهب دلالة لنبوته «صلى الله عليه وآله».

قال له اليهودي: فإن عيسى يزعمون أنه قد أبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله عز وجل.

فقال له «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أعطي ما هو أفضل من ذلك، أبرأ ذا العاهة من عاهته، فبينما هو جالس «صلى الله عليه وآله» إذ سأل عن رجل من أصحابه فقالوا: يا رسول الله إنه قد صار من البلاء كهيئة الفرخ لا ريش عليه، فأتاه «عليه السلام» فإذا هو كهيئة الفرخ من شدة البلاء، فقال: قد كنت تدعو في صحتك دعاءً؟.

قال: نعم، كنت أقول: يا رب أيما عقوبة معاقبي بها في الآخرة فاجعلها لي في الدنيا.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: ألا قلت: اللهم ﴿**آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾.

فقالها فكأنما نشط من عقال، وقام صحيحاً وخرج معنا.

ولقد أتاه رجل من جهينة أجذم يتقطع من الجذام، فشكا إليه «صلى الله عليه وآله»، فأخذ قدحاً من الماء فتفل فيه ثم قال: امسح به جسدك، ففعل فبرئ حتى لم يوجد فيه شيء.

ولقد أتى أعرابي أبرص فتفل من فيه عليه، فما قام من عنده إلا صحيحاً.

ولئن زعمت أن عيسى «عليه السلام» أبرأ ذوي العاهات من عاهاتهم، فإن محمداً «صلى الله عليه وآله» بينما هو في بعض أصحابه إذا هو بامرأة فقالت: يا رسول الله إن ابني قد أشرف على حياض الموت، كلما أتيته بطعام وقع عليه التثاؤب.

فقام النبي «صلى الله عليه وآله» وقمنا معه، فلما أتيناه قال له: جانب يا عدو الله ولي الله فأنا رسول الله، فجانبه الشيطان فقام صحيحاً وهو معنا في عسكرنا.

ولئن زعمت أن عيسى «عليه السلام» أبرأ العميان فإن محمداً «صلى الله عليه وآله» قد فعل ما هو أكثر [أكبر] من ذلك، إن قتادة بن ربعي كان رجلاً صبيحاً فلما أن كان يوم أحد أصابته طعنة في عينه، فبدرت حدقته، فأخذها بيده، ثم أتى بها النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، إن امرأتي الآن تبغضني.

فأخذها رسول الله «صلى الله عليه وآله» من يده ثم وضعها مكانها، فلم تكن تعرف إلا بفضل حسنها وفضل ضوئها على العين الأخرى.

ولقد جرح عبد الله بن عتيك، وبانت يده يوم [حنين] ابن أبي الحقيق، فجاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليلاً فمسح عليه يده، فلم تكن تعرف من اليد الأخرى:

ولقد أصاب محمد بن مسلمة يوم كعب بن الأشرف مثل ذلك في عينه ويده، فمسحه رسول الله فلم تستبينا.

ولقد أصاب عبد الله بن أنيس مثل ذلك في عينه فمسحها فما عرفت

من الأخرى. فهذه كلها دلالة لنبوته «صلى الله عليه وآله».

قال له اليهودي: فإن عيسى بن مريم يزعمون أنه قد أحيا الموتى بإذن الله تعالى.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» سبحت في يده تسعة حصيات تسمع نغماتها في جمودها ولا روح فيها لتمام حجة نبوته.

ولقد كلمته الموتى من بعد موتهم، واستغاثوه مما خافوا من تبعته.

ولقد صلى بأصحابه ذات يوم، فقال: ما هنا من بني النجار أحد، وصاحبهم محتبس على باب الجنة بثلاثة دراهم لفلان اليهودي؟! وكان شهيداً.

ولئن زعمت أن عيسى «عليه السلام» كلم الموتى فلقد كان لمحمد «صلى الله عليه وآله» ما هو أعجب من هذا، إن النبي «صلى الله عليه وآله» لما نزل بالطائف وحاصر أهلها بعثوا إليه بشاة مسلوخة مطلية (مطبوخة خ ل) بسم، فنطق الذراع منها فقالت: يا رسول الله لا تأكلني فإني مسمومة.

فلو كلمته البهيمة وهي حية لكانت من أعظم حجج الله عز وجل على المنكرين لنبوته، فكيف وقد كلمته من بعد ذبح وسلخ وشي؟!

ولقد كان «صلى الله عليه وآله» يدعو بالشجرة فتجيبه، وتكلمه البهيمة، وتكلمه السباع، وتشهد له بالنبوة، وتحذرهم عصيانه. فهذا أكثر مما أعطي عيسى «عليه السلام».

قال له اليهودي: إن عيسى يزعمون أنه أنبأ قومه بما يأكلون وما

يدخرون في بيوتهم.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» فعل ما هو أكثر من هذا، إن عيسى «عليه السلام» أنبأ قومه بما كان من وراء حائط، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أنبأ عن مؤتة وهو عنها غائب، ووصف حربهم ومن استشهد، وبينه وبينهم مسيرة شهر.

وكان يأتيه الرجل يريد أن يسأله عن شيء فيقول «صلى الله عليه وآله»: تقول أو أقول؟!

فيقول: بل قل يا رسول الله.

فيقول: جئتني في كذا وكذا حتى يفرغ من حاجته.

ولقد كان «صلى الله عليه وآله» يخبر أهل مكة بأسرارهم بمكة حتى لا يترك من أسرارهم شيئاً.

منها ما كان بين صفوان بن أمية وبين عمير بن وهب إذا أتاه عمير فقال: جئت في فكاك ابني.

فقال له: كذبت بل قلت لصفوان وقد اجتمعتم في الحطيم وذكرتم قتلى بدر: [وقلم] والله للموت خير [أهون] لنا من البقاء مع ما صنع محمد «صلى الله عليه وآله» بنا، وهل حياة بعد أهل القليب؟

فقلت أنت: لولا عيالي ودين علي لأرحتك من محمد

فقال صفوان: علي أن أقضي دينك، وأن أجعل بناتك مع بناتي، يصيبهن ما يصيبهن من خير أو شر.

فقلت أنت: فاكتمها علي، وجهزني حتى أذهب فأقتله.

فجئت لتقتلني.

فقال: صدقت يا رسول الله، فانا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. وأشباه هذا مما لا يحصى.

قال له اليهودي: فإن عيسى يزعمون أنه خلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله عز وجل.

فقال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» قد فعل ما هو شبيه بهذا، أخذ يوم حنين حجراً، فسمعنا للحجر تسبيحاً وتقديساً، ثم قال «صلى الله عليه وآله» للحجر: انفلق. فانفلق ثلاث فلق، نسمع لكل فلقة منها تسبيحاً لا يسمع للأخرى.

ولقد بعث إلى شجرة يوم البطحاء، فأجابته ولكل غصن منها تسبيح وتهليل وتقديس.

ثم قال لها: انشقي فانشقت نصفين.

ثم قال لها: التزقي قالتزقت.

ثم قال لها: اشهدي لي بالنبوة فشهدت.

ثم قال لها: ارجعي إلى مكانك بالتسبيح والتهليل والتقديس ففعلت، وكان موضعها بجنب الجزارين بمكة.

قال له اليهودي: فإن عيسى يزعمون أنه كان سياحاً.

فقال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه

وآله» كانت سياحته في الجهاد، واستنفر في عشر سنين ما لا يحصى من حاضر وباد، وأفنى فئاماً عن العرب من منعوت بالسيف، لا يداري بالكلام ولا ينام إلا عن دم، ولا يسافر إلا وهو متجهز لقتال عدوه.

قال له اليهودي: فإن عيسى يزعمون أنه كان زاهداً.

قال له علي «عليه السلام»: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» أزهد الأنبياء «عليهم السلام». كان له ثلاث عشرة زوجة سوى من يطيف به من الإماء، ما رفعت له مائدة قط وعليها طعام، وما أكل خبز برقط، ولا شبع من خبز شعير ثلاث ليال متواليات قط، توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة دراهم، ما ترك صفراء ولا بيضاء، مع ما وطئ له من البلاد، ومكن له من غنائم العباد.

ولقد كان يقسم في اليوم الواحد ثلاث مائة ألف وأربعمائة ألف، ويأتيه السائل بالعشي فيقول: والذي بعث محمداً بالحق ما أمسى في آل محمد صاع من شعير، ولا صاع من بر، ولا درهم ولا دينار.

قال له اليهودي: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً «صلى الله عليه وآله» رسول الله، وأشهد أنه ما أعطى الله نبياً درجةً، ولا مرسلاً فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد «صلى الله عليه وآله»، وزاد محمداً «صلى الله عليه وآله» على الأنبياء صلوات الله عليهم أضعاف درجة.

فقال ابن عباس لعلي بن أبي طالب «عليه السلام»: أشهد يا أبا الحسن أنك من الراسخين في العلم.

فقال: ويحك وما لي لا أقول ما قلت في نفس من استعظمه الله تعالى في

عظمته جلت فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾..»(١).

وقال العلامة المجلسي: إرشاد القلوب بالإسناد يرفعه إلى الإمام موسى بن جعفر «عليه السلام» قال: قال: حدثني أبي جعفر، عن أبيه، قال: حدثني أبي علي، قال: حدثني أبي الحسين بن علي بن أبي طالب «عليه السلام» قال: بينما أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» جلوس في مسجده بعد وفاته «عليه السلام» يتذاكرون فضل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذ دخل علينا حبر من أحبار يهود أهل الشام قد قرأ التوراة والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم والأنبياء، وعرف دلائلهم، فسلم علينا وجلس، ثم لبث هنيئة، ثم قال: يا أمة محمد، ما تركتم لنبي درجة ولا لمرسل فضيلة إلا وقد تحملتموها [لعل الصحيح: جعلتموه] لنبيكم، فهل عندكم جواب إن أنا سألتكم؟!

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: سل يا أخا اليهود ما أحببت، فإني أجيبك عن كل ما تسأل بعون الله تعالى ومنه، فوالله ما أعطى الله عز وجل نبياً ولا مرسلاً درجة ولا فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد «صلى الله عليه وآله»، وزاده على الأنبياء والمرسلين أضعافاً مضاعفة، ولقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا ذكر لنفسه فضيلة قال: «ولا فخر»، وأنا أذكر لك

(١) الاحتجاج ج١ ص٤٩٧ ـ ٥٣٦ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣١٤ ـ ٣٣٥ وبحار الأنوار ج١٠ ص٢٨ ـ ٤٩ وج١٧ ص٢٧٣ ـ ٢٩٧ وج١١ ص١٣٩ و ٢٧٧ وج١٢ ص٢ باختصار، وحلية الأبرار ج١ ص٢٨٧.

اليوم من فضله من غير إزراء على أحد من الأنبياء ما يقر الله به أعين المؤمنين، شكراً لله على ما أعطى محمداً «صلى الله عليه وآله».

الآن، فاعلم يا أخا اليهود، إنه كان من فضله عند ربه تبارك وتعالى وشرفه ما أوجب المغفرة والعفو لمن خفض الصوت عنده، فقال جل ثناؤه في كتابه : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾(١). ثم قرن طاعته بطاعته فقال: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾(٢). ثم قربه من قلوب المؤمنين وحببه إليهم، وكان يقول «صلى الله عليه وآله»: «حبي خالط دماء أمتي فهم يؤثروني على الآباء وعلى الأمهات وعلى أنفسهم». ولقد كان أقرب الناس وأرؤفهم، فقال تبارك وتعالى : ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾(٣) وقال عز وجل : ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾(٤). والله لقد بلغ من فضله «صلى الله عليه وآله» في الدنيا ومن فضله «صلى الله عليه وآله» في الآخرة ما تقصر عنه الصفات، ولكن أخبرك بما يحمله قلبك، ولا يدفعه عقلك، ولا تنكره بعلم إن كان عندك.

---

(١) الآية ٣ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٨٠ من سورة النساء.

(٣) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

(٤) الآية ٦ من سورة الأحزاب.

لقد بلغ من فضله «صلى الله عليه وآله»: أن أهل النار يهتفون ويصرخون بأصواتهم ندماً أن لا يكونوا أجابوه في الدنيا، فقال الله عز وجل : ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا**﴾(١).

ولقد ذكره الله تبارك وتعالى مع الرسل فبدأ به وهو آخرهم لكرامته «صلى الله عليه وآله»، فقال جل ثناؤه: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ**﴾(٢).

وقال : ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**﴾(٣). والنبيون قبله، فبدأ به وهو آخرهم، ولقد فضله الله على جميع الأنبياء، وفضل أمته على جميع الأمم، فقال عز وجل: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾(٤).

فقال اليهودي: إن آدم «عليه السلام» أسجد الله عز وجل له ملائكته، فهل فضل لمحمد «صلى الله عليه وآله» مثل ذلك؟!

فقال «عليه السلام»: قد كان ذلك، ولئن أسجد الله لآدم ملائكته فإن ذلك لما أودع الله عز وجل صلبه من الأنوار والشرف، إذ كان هو الوعاء،

---

(١) الآية ٦٦ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ٧ من سورة الأحزاب.

(٣) الآية ١٦٣ من سورة النساء.

(٤) الآية ٧ من سورة الأحزاب.

ولم يكن سجودهم عبادة له، وإنما كان سجودهم طاعة لأمر الله عز وجل وتكرمة وتحية، مثل السلام من الانسان على الانسان، واعترافاً لآدم «عليه السلام» بالفضيلة، وقد أعطى الله محمد «صلى الله عليه وآله» أفضل من ذلك، وهو أن الله صلى عليه، وأمر ملائكته أن يصلوا عليه، وتعبد جميع خلقه بالصلاة عليه إلى يوم القيامة، فقال جل ثناؤه: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾(١). فلا يصلي عليه أحد في حياته ولا بعد وفاته إلا صلى الله عليه بذلك عشراً، وأعطاه من الحسنات عشراً، بكل صلاة صلى عليه، ولا يصلي عليه أحد بعد وفاته إلا وهو يعلم بذلك ويرد على المصلي والمسلم مثل ذلك، ثم إن الله عز وجل جعل دعاء أمته فيما يسألون ربهم جل ثناؤه موقوفاً عن الإجابة حتى يصلوا فيه عليه «صلى الله عليه وآله»، فهذا أكبر وأعظم مما أعطى الله آدم «عليه السلام»، ولقد أنطق الله عز وجل صم الصخور والشجر بالسلام والتحية له، وكنا نمر معه «صلى الله عليه وآله» فلا يمر بشعب ولا شجر إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله، تحية له، وإقرار بنبوته «صلى الله عليه وآله».

وزاده الله عز وجل تكرمة بأخذ ميثاقه قبل النبيين، وأخذ ميثاق النبيين بالتسليم والرضا والتصديق له، فقال جل ثناؤه: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ**

---

(١) الآية ٥٦ من سورة الأحزاب.

مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ﴾(١). وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾(٢).

وقال الله عز وجل: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾(٣).

وقال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(٤). فلا يرفع رافع صوته بكلمة الإخلاص: بشهادة أن لا إله إلا الله حتى يرفع صوته معها بأن محمداً رسول الله في الأذان، والإقامة، والصلاة، والأعياد، والجمع ومواقيت الحج وفي كل خطبة حتى في خطب النكاح وفي الأدعية.

ثم ذكر اليهودي مناقب الأنبياء وأمير المؤمنين «عليه السلام» يثبت للنبي «صلى الله عليه وآله» ما هو أعظم منها، تركنا ذكرها طلباً للاختصار.

إلى أن قال: قال اليهودي: فإن الله عز وجل ألقى على موسى محبة منه.

فقال «عليه السلام» له: لقد كان كذلك، ومحمد «صلى الله عليه وآله» ألقى عليه محبة منه، فسماه حبيباً، وذلك أن الله تعالى جل ثناؤه أرى إبراهيم

---

(١) الآية ٧ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ٨١ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ٦ من سورة الأحزاب.

(٤) الآية ٤ من سورة الشرح.

صورة محمد وأمته، فقال: يا رب ما رأيت من أمم الأنبياء أنور ولا أزهر من هذه الأمة، فمن هذا؟

فنودي هذا محمد حبيبي، لا حبيب لي من خلقي غيره، أجريت ذكره قبل أن أخلق سمائي وأرضي، وسميته نبياً، وأبوك آدم يومئذ من الطين، وأجريت فيه روحه ، ولقد ألقيت أنت معه في الذروة الأولى، وأقسم بحياته في كتابه، فقال جل ثناؤه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(١). أي وحياتك يا محمد، وكفى بهذا رفعة وشرفاً من الله عز وجل ورتبة.

قال اليهودي: فأخبرني عما فضل الله به أمته على سائر الأمم.

قال «عليه السلام»: لقد فضل الله أمته «صلى الله عليه وآله» على سائر الأمم بأشياء كثيرة أنا أذكر لك منها قليلاً من كثير. من ذلك: قول الله عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٢). ومن ذلك: أنه إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلق في صعيد واحد سأل الله عز وجل النبيين: هل بلغتم؟!

فيقولون: نعم.

فيسأل الأمم، فيقولون: ما جاءنا من بشير ولا نذير.

فيقول الله جل ثناؤه، وهو أعلم بذلك للنبيين: من شهداءكم اليوم؟!

فيقولون: محمد وأمته.

---

(١) الآية ٧٢ من سورة الحجر.

(٢) الآية ٧ من سورة الأحزاب.

فتشد لهم أمة محمد بالتبليغ، وتصدق شهادتهم، وشهادة محمد «صلى الله عليه وآله»، فيؤمنون عند ذلك، وذلك قوله تعالى: ﴿**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾(١).

يقول: يكون محمد عليكم شهيداً أنكم قد بلغتم الرسالة.

ومنها: أنهم أول الناس حساباً، وأسرعهم دخولاً إلى الجنة قبل سائر الأمم كلها.

ومنها أيضاً: أن الله عز وجل فرض عليهم في الليل والنهار خمس صلوات في خمسة أوقات: اثنتان بالليل، وثلاث بالنهار، ثم جعل هذه الخمس صلوات تعدل خمسين صلاة، وجعلها كفارة خطاياهم، فقال عز وجل: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾(٢).

يقول: صلاة الخمس تكفر الذنوب ما اجتنبت الكبائر.

ومنها أيضاً: أن الله تعالى جعل لهم الحسنة الواحدة التي يهم بها العبد ولا يعملها حسنة واحدة يكتبها له، فإن عملها كتبت له عشر حسنات وأمثالها إلى سبعمائة ضعف فصاعداً.

ومنها: أن الله عز وجل يدخل الجنة من أهل هذه الأمة سبعين ألفاً بغير حساب، ووجوههم مثل القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أحسن ما يكون الكوكب الدري في أفق السماء، والذين يلونهم على أشد كوكب في

---

(١) الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١١٤ من سورة هود.

السماء إضاءة، ولا اختلاف بينهم ولا تباغض بينهم.

ومنها: أن القاتل منهم عمداً إن شاء أولياء المقتول أن يعفوا عنه فعلوا، وإن شاؤوا قبلوا الدية، وعلى أهل التوراة وهم أهل دينك يقتل القاتل ولا يعفى عنه، ولا تؤخذ منه دية، قال الله عز وجل: ﴿**ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ**﴾(١)..

ومنها: أن الله عز وجل جعل فاتحة الكتاب نصفها لنفسه، ونصفها لعبده، قال الله تعالى: «قسمت بيني وبين عبدي هذه السورة، فإذا قال أحدهم: ﴿**الْحَمْدُ للهِ**﴾ فقد حمدني، وإذا قال: ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ فقد عرفني، وإذا قال: ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ فقد مدحني، وإذا قال: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ فقد أثنى علي، وإذا قال: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ فقد صدق عبدي في عبادتي بعد ما سألني، وبقية هذه السورة له.

ومنها: أن الله تعالى بعث جبرائيل «عليه السلام» إلى النبي «صلى الله عليه وآله»: أن بشر أمتك بالزين والسناء والرفعة والكرامة والنصر.

ومنها: أن الله سبحانه أباحهم صدقاتهم يأكلونها، ويجعلونها في بطون فقرائهم يأكلون منها ويطعمون، وكانت صدقات من قبلهم من الأمم المؤمنين يحملونها إلى مكان قصي، فيحرقونها بالنار.

ومنها: أن الله عز وجل جعل الشفاعة لهم خاصة دون الأمم، والله تعالى يتجاوز عن ذنوبهم العظام لشفاعة نبيهم «صلى الله عليه وآله».

---

(١) الآية ١٧٨ من سورة البقرة.

ومنها: أن يقال يوم القيامة: ليتقدم الحامدون، فتقدم أمة محمد «صلى الله عليه وآله» قبل الأمم، وهو مكتوب أمة محمد الحامدون، يحمدون الله عز وجل على كل منزلة، ويكبرونه على كل نجد[١]، مناديهم في جوف السماء له دوى كدوي النحل.

ومنها: أن الله لا يهلكهم بجوع، ولا يجمعهم علي ضلالة، ولا يسلط عليهم عدواً من غيرهم، ولا يساخ ببقيتهم، وجعل لهم الطاعون شهادة.

ومنها: أن الله جعل لمن صلى على نبيه عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورد الله سبحانه عليه مثل صلاته على النبي «صلى الله عليه وآله».

ومنها: أنه جعلهم أزواجاً ثلاثة أمماً، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات، والسابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يحاسب حساباً يسيراً، والظالم لنفسه مغفور له إن شاء الله.

ومنها: أن الله عز وجل جعل توبتهم الندم والاستغفار والترك للاصرار، وكانت بنو إسرائيل توبتهم قتل النفس.

ومنها: قول الله عز وجل لنبيه «صلى الله عليه وآله»: «أمتك هذه مرحومة، عذابها في الدنيا الزلزلة والفقر.

ومنها: أن الله عز وجل يكتب للمريض الكبير من الحسنات على حسب ما كان يعمل في شبابه وصحته من أعمال الخير، يقول الله سبحانه

---

(١) النجد: المرتفع من الأرض.

للملائكة: «استكتبوا لعبدي مثل حسناته قبل ذلك ما دام في وثاقي».

ومنها: أن الله عز وجل ألزم أمة محمد «صلى الله عليه وآله» كلمة التقوى، وجعل بدؤ الشفاعة لهم في الآخرة.

ومنها: أن النبي «صلى الله عليه وآله» رأى في السماء ليلة عرج به إليها ملائكة قياماً وركوعاً منذ خلقوا، فقال: يا جبرئيل هذه هي العبادة.

فقال جبرئيل: صدقت يا محمد، فاسأل ربك أن يعطي أمتك القنوت والركوع والسجود في صلاتهم.

فأعطاهم الله تعالى ذلك، فأمة محمد «صلى الله عليه وآله» يقتدون بالملائكة الذين في السماء.

قال النبي «صلى الله عليه وآله»: إن اليهود يحسدونكم على صلاتكم وركوعكم وسجودكم[1].

ونقول:

إن لنا مع هذا الحوار وقفات، فيها دلالات وبيانات، نوردها في الفصل التالي إن شاء الله تعالى..

(١) راجع: إرشاد القلوب ج٢ ص٢١٧ ـ ٢٢٦ وبحار الأنوار ج١٦ ص٣٤١ ـ ٣٥٢.

الفصل الرابع:
علي وفضائل الرسول صلى الله عليه وآله:
دلالات، وتوضيحات..

بداية:

إن النصوص المتقدمة في الفصل السابق، وإن كانت في نفسها غنية عن البيان، والإيضاح، ولكننا بسبب بعدنا عن عصر النص، وعدم إلمامنا بكثير من الأمور وملابساتها، بالاضافة إلى قلة معرفتنا بالضوابط والحقائق التي ينبغي لنا أن نعرفها.. وضآلة اطلاعنا على خصائص ومفردات لغتنا ـ إن كل ذلك ـ جعلنا بحاجة إلى المزيد من التوضيح والبيان لكثير من الأمور التي تضمنها أو أشار إليها هذا النص كما هو الحال في غيره من النصوص أيضاً.

فمن أجل أن نقترب من وعي المضامين التي وردت في الفصل السابق نقول، ونتوكل على خير مأمول ومسؤول..

إيضاحات للعلامة المجلسي:

ذكر العلامة المجلسي «رحمه الله» الإيضاحات التالية:

المقة بكسر الميم: المحبة.

والتهافت: التساقط.

والشيح بالكسر: نبت تنبت بالبادية.

قوله «صلوات الله عليه»: (ومراتع البقع) البقع بالضم جمع الأبقع، وهو ما خالط بياضه لون آخر. ولعل المراد الغراب الأبقع، فإنه يفر من الناس ويرتع في البوادي. ويحتمل أن يكون في الأصل البقيع أو لفظ آخر، والظاهر: أن فيه تصحيفاً.

قوله: «بحجب ثلاثة»: لعل المراد: البطن، والرحم، والمشيمة. حيث أخفى حمله عن نمرود. أو في الغار بثلاثة حجب، أو أحدها عند الحمل، والثاني في الغار، والثالث في النار.

والمقمح: الغاض بصره بعد رفع رأسه، واختلف في تفسير الآية فقيل: مثل ضربه الله تعالى للمشركين في إعراضهم عن الحق، فمثلهم كمثل رجل غلت يداه إلى عنقه لا يمكنه أن يبسطهما إلى خير، ورجل طامح برأسه لا يبصر موطئ قدميه.

وقيل: إن المعني بذلك ناس من قريش هموا بقتل النبي «صلى الله عليه وآله» فصاروا هكذا، وهذا الخبر يدل على الأخير.

والسبع الطوال: على المشهور، من البقرة إلى الأعراف، والسابعة سورة يونس، أو الأنفال وبراءة جميعاً، لأنهما سورة واحدة عند بعض.

والمراد هنا ما يبقى عند إسقاط البقرة والمائدة وبراءة.

وقوله: «والقرآن العظيم» أريد به بقية القرآن، أو المراد به الفاتحة أيضاً.

وقوله: «وأعطي الكتاب» إشارة إلى البقية.

قوله «عليه السلام»: «في هذا الاسم»: يحتمل أن يكون المعنى أن اسمه «صلى الله عليه وآله» يدل أن الله تعالى ألقى محبته على العباد، لدلالته على

كونه محموداً في السماء والأرض.

أو يكون المراد بالاسم الذكر، فكثيراً ما يطلق عليه مجازاً.

أو أن قوله: «إذتم» في قوة البدل من الاسم، والحاصل أنه من الذي يشركه في أن لا يتم الشهادة لله بالوحدانية إلا بذكر اسمه والشهادة له بالنبوة.

كل هذا إذا قرئ (من) بالفتح، ويمكن أن يقرأ بالكسر، فيوجه بأحد الوجهين الأخيرين.

والنبل: السهام العربية. ويقال: رشت السهم: إذا ألزقت عليه الريش.

والشظية: الفلقة من العصا ونحوها. والأكحل: عرق في اليد يفصد.

قوله: (وروي) الظاهر: أنه كلام الطبرسي «رحمه الله» أدخله بين الخبر.

قوله: أن يبعجوا بفتح العين أي أن يشقوا. والشدخ: كسر الشيء الأجوف، أي شدخت رأسه به. ويقال: فغر فاه، أي فتحه.

قوله: «وحتى التفت خواصر الخيل» أي جنبتاها من شدة العطش.

قوله «عليه السلام»: «وجعلها غاراً» يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» ليلة الغار أحدث الغار ودخل فيه ولم يكن ثمة غار، و أما صخرة بيت المقدس فكان ليلة المعراج.

وأما قوله: «قد رأينا ذلك والتمسناه تحت رايته». أي رأينا تحت رايته «عليه الصلاة والسلام» أمثال ذلك كثيراً، والمراد بالراية العلامة، أي رأى بعض الصحابة ذلك تحت علامته في بيت المقدس.

ويلوح لي أن فيه تصحيفاً، وكان في الأصل «وجعلها هاراً» فيكون إشارة إلى ما سيأتي في أبواب معجزاته «صلى الله عليه وآله» أنّ في غزوة الأحزاب بلغوا إلى أرض صلبة لا تعمل فيها المعاول، فصبّ «صلى الله عليه وآله» عليها ماء فصارت هائرة متساقطة،فقوله: «قد رأينا ذلك» إشارة إلى هذا.

وقال الجزري: **فيه**: «إنه كان يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء» أي خنين من الجوف بالخاء المعجمة وهو صوت البكاء، وقيل: هو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء انتهى..[١].

والمرجل كمنبر: القدر.

والأثافيّ: الأحجار يوضع عليها القدر.

والرفرف: ثياب خضر يتخذ منها المحابس وتبسط، وكسر الخباء، وجوانب الدرع. وما تدلى منها، وما تدلى من أغصان الأيكة[٢].

وفضول المحابس، والفرش، وكل ما فضل فثنى والفراش، ذكرها الفيروزآبادي.

قوله «عليه السلام»: «فكان فيما أوحى إليه». لعل المعنى: أنه كانت تلك الآية فيما أوحى الله إليه قبل تلك الليلة ليتأتى تبليغها أمته وقبولهم لها، فيكون ذكرها لبيان سبب ما أوحى «صلى الله عليه وآله» في هذا الوقت.

---

(١) النهاية: باب الهمزة مع الزاي. والقاموس المحيط : فصل الراء من الفاء.

(٢) في المصدر: وما تهدل من أغصان الأيكة.

ويحتمل: أن يكون التبليغ إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» من ذلك المكان في تلك الليلة قبل الوصول إلى ساق العرش.

ويحتمل: أن يكون التبليغ بعد النزول ويكون قوله: «فلما رأى الله تعالى منهم القبول» أي علم الله منهم أنهم سيقبلونها. والأول أظهر. والثبور: الهلاك والخسران.

قوله «عليه السلام»: «من الأحجة»: جمع حجيج بمعنى مقيم الحجة على مذهبه، وفي بعض النسخ: من الأجنحة، أي الرؤساء، أواسم قبيلة منهم. قوله «عليه السلام»: «وشي». أي بعد ما كان مشوياً مطبوخاً. ومؤتة بضم الميم وسكون الهمزة وفتح التاء: إسم موضع قتل فيه جعفر بن أبي طالب، وستأتي قصته وكيف أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عن شهادته وغيرها، والفئام بالكسر مهموزاً: الجماعة الكثيرة كما ذكره اللغويون، وقد فسر في بعض أخبارنا بمائة ألف.

قوله «عليه السلام»: «مع ما وطئ له من البلاد» على بناء المجهول من باب التفعيل، أي مهد وذلل ويسر له فتحها والاستيلاء عليها، من قولهم: فراش وطيء أي لا يؤذي جنب النائم.

قوله «عليه السلام»: «جلت» معترضة ثنائية، أي جلت عظمته عن البيان، والأظهر أنه كان في الأصل «حيث قال» فصحف، وكذا الأظهر أن قوله: «نفس» تصحيف نعت أو وصف.

انتهى كلام العلامة المجلسي «رحمه الله».

ونضيف نحن إلى ما تقدم، ما يلي:

معنى سجود الإعتراف والرحمة:

تقدم: أن علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» ذكر أن السجود لآدم «عليه السلام» كان سجود اعتراف لآدم بالفضيلة.

ونقول:

إن أفضلية آدم على الملائكة لا تعني عدم أفضلية غيره عليهم..

كما أن رحمة الله لآدم لا تمنع من رحمته لغيره بمثل ما رحمه به، أو بما هو أزيد منه..

وإنما كان هذا السجود رحمة من الله لآدم، لأن الملائكة يعرفون فضله، وأن عليهم أن يكونوا معه وإلى جانبه في كل ما ينوبه. لأنه موضع عناية الله ورعايته، ولولا هذا الأمر بالسجود لكان آدم بالنسبة إليهم كأي موجود آخر، لا يجدون فيه ما يعنيهم أمره، ولا يجدون الدافع لإحاطته باهتمامهم..

أما صلاة الله وملائكته على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتعبد المؤمنين بالصلاة عليه، ففيه تشريف وتكريم، وتبجيل وتعظيم، ابتدأه الله تعالى به، ليبين فضله، ويظهر مقامه..

خطيئة آدم:

أما الحديث عن خطيئة آدم، وذنبه، فقد أوضحنا المراد منه في كتابنا الموسوم بـ: براءة آدم «عليه السلام».

وقلنا: إن هذا الذي جرى كان فضيلة لآدم.. فإنه قد طلب نيل أعلى مراتب القرب الإلهي.. ولم يدر أنه غير قادر على نيلها، وقد اصطفاه الله

وحباه بالنبوة بعد هذا الذي جرى له، لأنه «عليه السلام» قد نجح في الامتحان. فهو إنما خالف صورة الأمر ولم يخالف أمراً مولوياً فيه جرأة على الله تعالى. ولكنه أراد أن يصل إلى مقام عظيم من القرب والزلفى، وإذ به عجز عن الوصول إليه..

أما آية: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾. فقد دلنا: أن المقصود هو ما رآه المشركون ذنباً لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. مع أنه كان أعظم درجات الطاعة لله، وغاية التضحية في سبيله سبحانه..

ولأجل ذلك حباه الله تعالى بأعظم الكرامات، وكافأه عليه بأن فتح له فتحاً مبيناً. فدلنا ذلك على أنه لم يكن ذنباً بالمعنى يستحق عليه العقوبة، فإن من يذنب ويتمرد على مولاه، لا يكافئه بهذا العطاء العظيم..

هل يتصرف النبي صلى الله عليه وآله من عند نفسه:

وذكر «عليه السلام» أن جبريل «عليه السلام» جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بتحفة من الجنة، وهي جام فيه طعام: «فهم أن يناولها بعض أصحابه، فتناولها جبريل «عليه السلام»..». وأخبره أنها لا تصلح إلا لنبي، أو وصي نبي.

فيرد سؤال:

إن أخذ جبريل للتحفة حين همَّ النبي «صلى الله عليه وآله» أن يناولها بعض أصحابه، يدل على أن تصرف النبي «صلى الله عليه وآله» كان في غير محله، بل كان خطأ، مع أنه «صلى الله عليه وآله» معصوم من الخطأ!!

ويمكن أن يجاب:

بأن عصمته «صلى الله عليه وآله» عن الخطأ وكونه لا ينطق ولا يفعل إلا بدلالة إلهية يدلنا على أنه «صلى الله عليه وآله» كان مأموراً بهذه المناولة. كما كان جبرائيل مأموراً بأخذها منه توطئة وتمهيداً لإظهار هذه الخصوصية لأهل البيت، وهي أنهم أوصياء لرسول الله وأن لهم ميزات حباهم الله بها لأجل هذه الخصوصية بالذات.

فيكون هذا الحدث بمثابة نص آخر على إمامتهم، وعلى خصوصيتهم وامتيازهم على الخلق أجمعين.. وإعلان بفاقدية غيرهم لهذه الخصوصيات والميزات.

الرقة والشفقة.. أم القسوة والشدة؟!:

١ ـ وحين ذكر «عليه السلام»: مشاهدة نوح غرق قومه قال: إنه رق عليهم رقة القرابة، وأظهر عليهم شفقة، وقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾.

وأما النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه شهر سيف النقمة على قومه المعاندين، ولم تدركه رقة القرابة..

فيرد سؤال: ألا يتنافى هذا مع قوله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله»: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾؟![1].

أو قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ

(١) من الآية ٨ من سورة فاطر.

أَسَفًا﴾[١].

ويجاب:

بالنسبة لابنه نقول:

أولاً: لعل ابن نوح كان يخفي عن ابيه انحرافه، ويظهر له الإيمان والصلاح، فكشف الله تعالى له في هذا المقام، فسلم ورضي ولم يعترض.

ثانياً: لعله كان عالماً بانحراف ابنه، ولكنه أراد أن يسمع الناس أن غرقه لم يكن إخلالاً بالوعد الإلهي، بل كان لأل استحقاقه الهلاك، ولأنه لم يكن مشمولاً للوعد، فإن الوعد إنما بإنجاء أهله المؤمنين دون سواهم.

وأما بالنسبة لعاطفة نوح على قومه، فنقول:

لعل تحسره عليهم كان قبل ظهور استحقاقهم لنزول العذاب بسبب طغيانهم وعنادهم، وجحودهم، وعدوانهم على من آمن، فهو من قبيل قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لله تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾**[٢].

ثانياً: إن حسرة النبي «صلى الله عليه وآله» وأسفه على قومه لم تكن لأجل هلاكهم وموتهم، أو لمصيبة حلت بهم، بل كانت حسرته في الآية الأولى لأجل ضلالهم، فهي تقول: **﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾**.

(١) الآية ٦ من سورة الكهف.

(٢) الآية ١١٤ من سورة التوبة.

والآية الثانية بينت: أن سبب أسفه وحزنه «صلى الله عليه وآله» عليهم، هو عدم إيمانهم بهذا الحديث ـ وهو الإسلام ـ الذي جاءهم به من عند الله تعالى..

فلا مانع من الجمع بين الأمرين في موردين مختلفين غير متناقضين ولا متضادين، بل يناسب كل منهما الحالة الخاصة به.

٢ ـ قد يقال: إن ما ذكر من رقة النبي نوح على قومه لأجل القرابة، وإظهار الشفقة على ابنه لا يمكن قبوله.. لأن الأنبياء لا يشفقون على الكفرة، ولو كانوا من أقربائهم..

ونجيب أيضاً:

بأن الخلجات والانفعالات غير الإرادية ليست مورداً للتكليف، ولا تنافي العصمة، ما لم تتحول إلى نية وعزم، وإرادة وتخطيط، وحركة وعمل. وهذا هو ما تعرض له نوح، ولكنه في مجال النية والإرادة، وفي المجال العملي لم يخرج عن دائرة الطاعة والرضا الإلهي..

ولعل هذا هو الفرق بين نبينا وسائر الأنبياء والمعصومين، فإنه «صلى الله عليه وآله» مصون حتى من مثل هذه الخلجات والانفعالات والمشاعر، فإنها وإن لم تكن إرادية بالنسبة لسائر الأنبياء، ولكنها بالنسبة إليه «صلى الله عليه وآله» كانت إرادية، يتحكم بها كيف يشاء ويهيمن على ذاته، ويوجهها كيفما أراد، ويجعلها كلها تصب في الرضا الإلهي. ليرتفع بها مقامه على مقامات سائر الأنبياء الذين لم يصلوا إلى هذه الدرجة.

وهذا ما أشار إليه «عليه السلام»، ولم يكن غرضه الطعن في عصمة

نوح «عليه السلام».

كيف رضي اليهودي باحتجاجات علي عليه السلام؟!:

وقد يتعجب الناظر في هذا الحوار، وهو يرى علياً «عليه السلام» يؤكد عظمة نبينا، وتقدمه على سائر الأنبياء بالاعتماد على روايات يتداولها المسلمون، ولا يعترف بها اليهود.

وقد يزداد عجبه وهو يرى اليهودي يصدق بما يخبره به «عليه السلام»، ولا يناقش فيه..

ولكن الحقيقة هي:

ألف: إن اليهودي نفسه لا يملك إلا روايات ونُقولٍ لا قيمة لها في مجال الإثبات إلا إذا اعترف له بها المسلمون، من خلال ما بلغهم من الوحي الإلهي على لسان نبيهم.

ب: إن ما يستدل به «عليه السلام» ليس مجرد روايات وأخبار آحاد لا يعرفها غير المسلمين، بل هو يستدل بوقائع رآها وعرفها القريب والبعيد، والذكي والغبي، والمسلم وغير المسلم.

وكان اليهود يعيشون بين المسلمين، ويشاهدون الكثير الكثير منها. كما أنه بإمكانهم التأكد من صحة ما يسمعونه من المسلمين أو من المشركين، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» بينهم، ولا توجد حواجز تمنعهم من الوصول إليه، والسؤال والطلب منهم أن يريهم ما سمعوه..

ج: إنهم لم يكونوا بحاجة إلى تأكيد صحة ما يبلغهم عن النبي «صلى

الله عليه وآله» عن طريق المنافقين والمشركين الذين هم أيضاً كاليهود من أشد الناس عداوة للذين آمنوا.. وكان كل همهم هو طمس معالم هذا الدين، والقضاء على رموزه، واستئصال كل من يؤمن به، وينسب نفسه إليه..

د: إنما صارت هذه الوقائع روايات، تقبل أسانيدها أو ترد بعد مرور الأحقاب والأزمان. وانشغال أكثر الناس بما هو خارج هذا النطاق، وبعد أن صرفوا نظرهم عن تداول كرامات وفضائل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته، خدمة منهم لأهداف الحكام الذين لم يكن رفع ذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» يروق لهم..

وقد بدأت هذه السياسة الظالمة للحق والحقيقة في وقت مبكر، بصورة تخفى وتظهر بأنحاء ومستويات مختلفة، ومتفاوتة..

ثم جاء معاوية بعد ذلك وأعلن بل أقسم على أن يدفن ذكر النبي «صلى الله عليه وآله» وقال: «لا والله إلا دفناً دفنا»[1].

يقظة إبراهيم ومحمد عليهما السلام على التوحيد:

وذكر النص المتقدم في الفصل السابق: أنه «عليه السلام» قال: إن يقظة إبراهيم على معرفة الله تعالى كانت وهو ابن خمس عشرة سنة. أما يقظة نبينا

---

(١) الموفقيات ص٥٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج٥ ص١٢٩ و١٣٠ ومروج الذهب ج٣ ص٤٥٤ وكشف الغمة للأربلي ج٢ ص٤٤ وكشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين ص٤٧٤ وقاموس الرجال ج٩ ص٢٠ وبهج الصباغة ج٣ ص١٩٣.

على ذلك فكانت ـ وهو ابن سبع سنين.

والسؤال هنا: إن هذا ينافي القول: بأنه «صلى الله عليه وآله» كان نبياً منذ صغره، بل ورد عنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»، أو «بين الروح والجسد»[1].. فما هو الحل؟!

---

(١) راجع: الإحتجاج ج٢ ص٢٤٨ والفضائل لابن شاذان ص٣٤ والبحار ج١٥ ص٣٥٣ وج٥٠ ص٨٢ والغدير ج٧ ص٣٨ وج٩ ص٢٨٧ ومسند أحمد ج٤ ص٦٦ وج٥ ص٥٩ و ٣٧٩ وسنن الترمذي ج٥ ص٢٤٥ ومستدرك الحاكم ج٢ ص٦٠٩ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢٢٣ وتحفة الأحوذي ج٧ ص١١١ وج١٠ ص٥٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٤٣٨ والآحاد والمثاني ج٥ ص٣٤٧ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص١٧٩ والمعجم الأوسط ج٤ ص٢٧٢ والمعجم الكبير ج١٢ ص٧٣ وج٢٠ ص٣٥٣ والجامع الصغير ج٢ ص٢٩٦ وكنز العمال ج١١ ص٤٠٩ و ٤٥٠ وتذكرة الموضوعات للفتني ص٨٦ وكشف الخفاء ج٢ ص١٢٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص٢٦٤ عن ابن سعد، ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٩٢ و ٥٢٢ عن كتاب النكاح، وعن فيض القدير ج٥ ص٦٩ وعن الدر المنثور ج٥ ص١٨٤ وفتح القدير ج٤ ص٢٦٧ والطبقات الكبرى ج١ ص١٤٨ وج٧ ص٥٩ والتاريخ الكبير للبخاري ج٧ ص٢٧٤ وضعفاء العقيلي ج٤ ص٣٠٠ والكامل لابن عدي ج٤ ص١٦٩ وج٧ ص٣٧ وعن أسد الغابة ج٣ ص١٣٢ وج٤ ص٤٢٦ وج٥ ص٣٧٧ وتهذيب الكمال ج١٤ ص٣٦٠ وسير أعلام النبلاء

وهل لم يكن إبراهيم «عليه السلام» يعرف الله قبل الخامسة عشرة، وكذلك نبينا الأعظم قبل سن السابعة؟!

ونجيب:

بأنه «عليه السلام» إنما يتحدث عن زمان جهر إبراهيم ومحمد «صلى الله عليهما وآلهما» لقومهما بهذا الأمر وإعلانهما به..

ويدل على ذلك: أن القصة التي ساقها «عليه السلام» شاهداً على ذلك، وهي قصته مع تجار النصارى ليس فقط لا تدل على زمان معرفته بالله سبحانه وتعالى.. بل هي تدل: على أن يقينه بهذا الأمر كان ثابتاً، وقد اعترض «صلى الله عليه وآله» عليهم لأنهم يريدون تشكيكه في الله عز وجل..

كما أن قصة إبراهيم «عليه السلام» حين رأى كوكباً بازغاً فقال: هذا

ج٧ ص٣٨٤ وج١١ ص١١٠ وج١٣ ص٤٥١ ومن له رواية في مسند أحمد ص٤٢٨ وتهذيب التهذيب ج٥ ص١٤٨ وعن الإصابة ج٦ ص١٨١= = والمنتخب من ذيل المذيل ص٦٦ وتاريخ جرجان ص٣٩٢ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص٢٢٦ وعن البداية والنهاية ج٢ ص٢٧٥ و ٢٧٦ و ٣٩٢ وعن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص١٦٦ وعن عيون الأثر ج١ ص١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص٢٨٨ و ٢٨٩ و ٣١٧ و ٣١٨ ودفع الشبه عن الرسول ص١٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٧٩ و ٨١ و ٨٣ وج٢ ص٢٣٩ وعن ينابيع المودة ج١ ص٤٥ وج٢ ص٩٩ و ٢٦١.

ربي، ثم رأى القمر بازغاً، ثم رأى الشمس بازغة.. لم تكن للدلالة على أنه «عليه السلام» قد عرف الله في تلك اللحظات، وبهذه الطريقة، بل هي حجة إلهية آتاه الله إياها على قومه.. فقد قال تعالى بعد الآيات التي تضمنت هذه القصة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾(١)..

فالمراد: أن تحمل مسؤولية الدعوة إلى الله، والتعريف به قد بدأ لدى نبينا «صلى الله عليه وآله» وهو في سن السابعة.

أما إبراهيم الخليل فقد بدأ ذلك لديه وهو في سن الخامسة عشرة.

ويمكن تأييد ذلك بقوة في قوله «عليه السلام» أخيراً: «ويحك يا يهودي، لقد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله عز وجل مع كفر قومه، إذ هو بينهم يستقسمون بالأزلام، ويعبدون الأوثان، وهو يقول: لا إله إلا الله».

ثلاث مئة وستون صنماً على الكعبة:

وقد يروق لبعض الناس أن يشكك في صحة الرقم الذي ذكر في الفصل السابق لعدد الأصنام التي على الكعبة، باعتبار أن ظهرها ـ أعزها الله ـ لا تسع ثلاث مئة وستين صنماً..

ويجاب:

بأن تلك الأصنام كان منها الصغير والكبير، ومنها ما كان على ظهر الكعبة، ومنها ما علق على جدرانها الخارجية، وكان بعضها في داخلها، إما

(١) من الآية ٨٣ من سورة الأنعام.

على الأرض أو على الجدران أيضاً. فلا مانع من أن يبلغ عدد الأصنام على الكعبة هذا المقدار، فإن المساحات شاسعة في الاتجاهات الخمس، وهي تسع أكثر من ذلك..

النبي صلى الله عليه وآله، وجثة حمزة عليه السلام:

وورد في نصوص الفصل السابق وصفاً لموقف رسول الله «صلى الله عليه وآله» مما جرى على عمه حمزة «عليه السلام»، فقال: «فلم يبين عليه حرقة، ولم يفض عليه عبرة». فهل هذه قسوة منه «صلى الله عليه وآله»؟! أو هي نضوب أو شح في العاطفة.!

ونجيب: بأن الأمر على عكس ذلك، بل هو يبين عظمة صبره على المكاره في سبيل الله، حيث إن المشركين أرادوا كسر إرادته بالفجائع التي ينزلونها به، وبالفظائع التي يمارسونها بحق أهل بيته، وأعز الناس عليه.

فكان لا بد من التجلد، وإظهار القوة على تحمل المكاره على قاعدة:

وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع

وفرق كبير بين قسوة القلب، والشح في العاطفة، وبين التجلد على المصائب في سبيل هدف أسمى، وأعز، فإن هذا التجلد إنما يأتي للحفاظ على الدماء الزكية بدلاً من تضييعها وهدرها وهو غاية الوفاء لها.

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» استسلم للعاطفة وانهار أمام طغيانها، لكان قد ضيع القضية. وضيع معها هذا الدم الزاكي. ويزيد بذلك أعدائه إصراراً على إنزال أفدح الضربات فيه.

أما إذا صبر، وتجلد وتحمل، فإن ذلك يغيظ أعداءه ويكبتهم، ويزرع اليأس في قلوبهم، ويفلّ عزمهم، ويجعلهم يترددون كثيراً في متابعة نهجهم الإجرامي هذا..

فظهر: أن هذا التجلد هو عين الوفاء للأرواح التي أزهقت، والدماء التي أريقت، وأن إظهار الجزع قد يكون خيانة لها، وترغيباً للمجرم لارتكاب المزيد من العدوان والإصرار على الفتك في حق أبرياء آخرين.

ويؤكد هذه المعاني هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قال عن حمزة: «لولا أن تحزن صفية لتركته حتى يحشر من بطون السباع»، فلاحظ ما يلي:

لولا أن تحزن صفية:

ورد في النص المتقدم في الفصل السابق قوله «عليه السلام»: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال عن حمزة: «لولا أن تحزن صفية لتركته حتى يحشر من بطون السباع، وحواصيل الطير!! ولولا أن يكون سنة لفعلت ذلك».

فقد يسأل المرء، فيقول: إن دفن الميت واجب، وهو إكرام له، ومنع من ظهور المنفرات منه، بسبب تفسخ جثته، وانتشار الروائح، فكيف إذا كان إبقاؤه بلا دفن يعرضه للتمزيق بأنياب السباع، ومخالب الطيور الكواسر، لتملأ منه بطونها وحواصلها. فما معنى أن يجعل «صلى الله عليه وآله» هذا خياراً له، كان سيفعله لولا وجود المانع، وهو حزن صفية، وأن يصبح سنة من بعده؟!

ونجيب:

أولاً: إذا كان هذا الواجب مزاحماً بواجب أهم منه، وهو حفظ الدين،

فإن العقل يحكم بلزوم التخلي عنه لمصلحة ما هو أهم منه.

ثانياً: قد تكون المصلحة هنا هي نفس هذا الإعلان عن هذه القاعدة، لأن إعلانها يسهم في بث اليأس في نفوس الأعداء، من أن يتمكنوا من إلحاق الهزيمة الروحية بالمسلمين. فأن من يرضى بأن يترك هذه الجثث الطواهر والزواكي لتحشر من بطون السباع وحواصل الطير، لن يستسلم، ولن يستكين دون تحقيق هدفه الأقصى. مما يعني: أن هذه الحروب ستكون عبثية وبلا معنى، ولن يكون حصادها إلا خسائر مادية وضحايا تنال الأصدقاء والأولياء تارة، وينال الأعداء منها مثل ذلك، أو ما يزيد عليه أو يقل عنه تارة أخرى.

ونلاحظ أيضاً ما يلي:

١ ـ إن جعل حزن صفية مانعاً من اتخاذ هذا الإجراء القاسي، يدلل على مدى رهافة الحس النبوي، وعلى أنه يحمل في داخل نفسه أعلى درجات العطف والرحمة للضعفاء، وأن هذا الإجراء يعبر عن مسؤولية والتزام تجاه الواجب الإلهي من جهة، وعن أن ثمة نفساً تفيض عطفاً وحناناً ورقة، تجاه الأهل والأحبة من جهة أخرى.

٢ ـ إن المانع الآخر الذي ذكره «صلى الله عليه وآله» هو: أنه لا يريد لهذا الإجراء أن يفهم على غير وجهه، بأن يصبح سنة يعمل بها في الشهداء الذين ترتفع أرواحهم في ساحات الجهاد، فإن هذا الإجراء، وإن كان صحيحاً في نفسه، ولكن صيرورة ذلك سنة يعد تضييعاً لحقهم، وتفريطاً بكرامتهم وعزتهم. وهذا ما لا يرضى رسول الله «صلى الله عليه وآله»

بالإسهام فيه، ولو بمستوى الاستفادة مما هو مشروع له، إذا كان سيفهمه الآخرون على غير وجهه الصحيح، إما بسبب تقصيرهم في فهم الأمور، أو بسبب تعمدهم اختيار هذا السبيل الخاطئ، انقياداً مع أهوائهم..

فآثر «صلى الله عليه وآله» أن يتحمل المزيد من الأذى من أجل أن لا يفسح المجال لهذا التعدي من الغير على الحق والحقيقة..

وهذا يشير إلى مزيد من الرفق منه «صلى الله عليه وآله» بالناس، والسعي في مصالحهم، ولو بقيمة المزيد من التعب والألم لنفسه «صلى الله عليه وآله»..

الحسنان سبطان أم حفيدان؟!

ورد في النص المتقدم في الفصل السابق، قوله «عليه السلام»:

«والحسن والحسين من حفدته»..

مع أن أبناء البنت يوصفون عادة بالأسباط.

وقد ورد هذا الوصف لهما على لسان الرسول «صلى الله عليه وآله» أيضاً..(١).

---

(١) راجع: كمال الدين ص٢٦٣ وكفاية الأثر ص١٣ و ١٧ و ٤٢ و ١٠٠ و ١١٧ وكتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص١٣٣ وأوائل المقالات للمفيد ص٢٨٤ والإرشاد للمفيد ج١ ص٣٧ وعيون المعجزات لابن عبد الوهاب ص٥٥ والفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي ص١١٩ وحلية الأبرار ج٢

ويمكن أن يجاب:

بأن الحفدة كما تطلق على أبناء البنين كذلك هي تطلق على أبناء البنات، بدليل:

ما رواه العياشي، عن عبد الرحمان الأشل، قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن قول الله عز وجل: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً**﴾.

قال: الحفدة بنو البنت. ونحن حفدة رسول الله «صلى الله عليه وآله»[(١)].

وقد أطلق لفظ الحفيد على ابن الابن في ما روى عن الإمام الصادق «عليه السلام»: يقتل من حفدتي بأرض خراسان[(٢)].

ص٤٠١ ومدينة المعاجز ج٢ ص٣٩١ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٥٣ وج٣٦ ص٢٨٤ و ٢٨٦ و ٣٢٥ وج٣٨ ص١٨٩ وج٤٠ ص١٧ وطرق حديث الأئمة الإثنا عشر ص١٠ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٣٨٦ وج٤ ص٤٤٤ وفضائل أمير المؤمنين لابن عقدة ص١٦٨ وإعلام الورى ج١ ص٣١٧ وينابيع المودة ج٣ ص٢٨٢.

(١) تفسير العياشي ج٢ ص٢٦٤ وبحار الأنوار ج١٠١ ص١٠٦ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٢٤ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٦٨ وتفسير الميزان ج١٢ ص٣٠٩.

(٢) بحار الأنوار ج٩٩ ص٣٥ والأمالي للصدوق ص١٨٣ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٢٩٠ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٥٨٤ وروضة الواعظين ص٢٣٥

كما أن السبط يطلق على أبناء الأبناء وأبناء البنات، كما عن ابن سيده[١]. فراجع..

حزن يعقوب وحزن محمد صلى الله عليه وآله:

وقد تقدم في الفصل السابق: مقايسة وتقديم حزن نبينا «صلى الله عليه وآله» على ولده إبراهيم بحزن يعقوب على يوسف، مع أن إبراهيم لم يكن نبياً كيوسف، فكيف يكون الحزن عليه أعظم؟!

ونجيب:

أولاً: بأنه قد روى بسند صحيح عن أبي عبد الله: أن إبراهيم لو بقي كان صديقاً نبياً[٢]، وذلك يعني: أنه لم يكن يقصر في ميزاته وخصائصه عن يوسف «عليه السلام»..

ثانياً: إن الكلام إذا كان عن الصبر على المصاب العظيم الذي يحل بمن

ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٢٤ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص١٤٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٤ ص٤٢٨ .

(١) راجع: لسان العرب ج٦ ص١٥٤.

(٢) بحار الأنوار ج٥ ص٢٩٤ وج٢٢ ص٤٥٨ و ٤٥٩ وج٢٤ ص٢٦٤ وج٦٥ وتفسير فرات ص٥٥٦ وكتاب المحتضر ص١٢٦ وكنز الفوائد ص٤٠٠ و ٤٠١ والتوحيد للصدوق ص٣٩٥ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٤٩٠ ونور البراهين ج٢ ص٣٨٩ وشجرة طوبى ج١ ص٣٢ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص١٤١ ومنتقى الجمان ج١ ص٣١٨.

فقد ولداً. فإن حزن من يفقد ولده بالموت أعظم وأشد من حزن من يفقد ولده بغيابه عنه، مع علمه ببقائه على قيد الحياة. فيحتاج من يفقد ولده بالموت إلى صبر أشد، فإذا ظهر أن هذا الصبر قد كان إيثاراً لرضا الله تعالى واستسلاماً له في جميع الفعال كان ثوابه أعظم..

الحصر في الشعب أعظم من حبس يوسف:

وقد ذكر «عليه السلام»: أن حبس النبي «صلى الله عليه وآله» في شعب أبي طالب في مقابل حبس يوسف في السجن.

ونقول:

إن حبس النبي «صلى الله عليه وآله» في الشعب كان أشد على نفسه، وآلم لروحه من حبس يوسف في السجن، فقد كان سبب الحبس في الشعب قطيعة الأقارب وذوي الرحم. وقد ضايقوه «صلى الله عليه وآله»، وألجأوه إلى أضيق المضيق.

أضعف خلق الله:

وقد ذكر في النص السابق: أن الله عز وجل بعث أضعف خلقه ـ وهي الإرضة ـ فأكل عهد المشركين في قطيعة رحمه «صلى الله عليه وآله»..

فهل صحيح: أن الإرضة هي أضعف خلق الله تبارك وتعالى؟!

ونجيب:

بأن أحداً لا يستطيع نفي ذلك بصورة قاطعة، فإن الضعف والقوة يختلفان ويتفاوتان بحسب ما يلاحظ فيهما.. فلعل ما هو أصغر من الإرضة

يستطيع أن يحدث أثراً كبيراً وخطيراً في بعض المجالات، وإن لم نستطع نحن اكتشاف ذلك..

وعلينا أن نطلب المعرفة بذلك من الخالق الحكيم، والمدبر العليم، عالم الغيب والشهادة.. فإن عدم علمنا بالشيء لا يعني عدم وجوده..

وإذا كان علي «عليه السلام» لا يقول بغير علم، ولا يطلق أحكامه جزافاً، فعلينا أن نأخذ بها يخبرنا به من أحوال المخلوقات.. وإن الأرضة وإن كانت تملك القدرة على أكل العهد الذي كتبوه، فذلك لا يعني أنها أقدر من غيرها، فلعل سائر المخلوقات تملك قدرات أكبر تمكنها من إحداث آثار أخطر وأهم، وتمكنها من التأثير في هذا المجال، أو في غيره، وإن لم نعرف ذلك بالتفصيل.

سورتا البقرة والمائدة، بالإنجيل:

ورد في النص المتقدم في الفصل السابق: أن الله أعطى محمداً «صلى الله عليه وآله» سورة البقرة والمائدة بالإنجيل. وأعطاه طواسين، وطه، ونصف المفصل والحواميم بالتوراة، وأعطاه إلخ.

فلعل المراد بهذا الإعطاء، هو أن ما ورد في هذه السور المباركة من أحكام وسياسات، وقضاء، وأخلاق، وعبر.. و.. و.. يوازي ما ورد في الإنجيل، أو التوراة، أو الزبور، أو صحف إبراهيم وموسى.

الكتاب.. والقرآن:

وقد ذكر النص المتقدم: أنه تعالى قد زاد محمداً السبع الطوال، والسبع

المثاني، وهي الفاتحة والقرآن العظيم. وأعطي الكتاب والحكمة..

والظاهر: أن المراد هو أن للسبع الطوال بمجموعها خصوصية وعظمة وأهمية جعلت اجتماع هذا المجموع لنبينا «صلى الله عليه وآله» من مظهرات عظمته، وكرامته، ومقامه عند الله تعالى..

الجمع بين الكتاب والقرآن:

ولكن السؤال هنا: هو عن سبب الجمع بين الكتاب والقرآن، فهل الكتاب غير القرآن؟! أم أن ثمة خصوصية يراد توجيه النظر إليها؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن المراد بالقرآن العظيم هو نفس هذا المجموع كله، فإن إعطاءه لرسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه مزيد من تفضيل، وتشريف وتكريم.. ثم استأنف الكلام إلى أن هذا التفضيل لم يقتصر على إعطاء القرآن الذي هو الكتاب كله، تشريفاً وتعظيماً، بل أعطاه الحكمة معه أيضاً..

أين هي الحكمة في كتب المسلمين؟!:

وقد دل الكلام المتقدم في الفصل السابق: على أن الحكمة تحتاج إلى تعليم إلهي، ولولا ذلك لم يمكن الوصول إليها والحصول عليها، بحيث تكون سليمة عن النقص، أو الزيادة المضرة، أو سليمة عن الخلط بالأغيار، ووضع بعضها في غير موضعه، ونحو ذلك مما يكون مسيئاً للحياة، وعدواناً على المخلوقات.

وقد ورد ما دل على أن الحكمة الناقصة، ربما تكون مضرة في حياة

الناس، ولعله لأجل أن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، ولا يحسن تقدير الشيء الذي يحتاج إليه في موضعه وسنخه، وخصوصياته في الكم والكيف، وغير ذلك إلا العالم بالحقائق، والمطلع على أسرار الخلقة ودقائقها، وهو الله القادر الخالق، تبارك وتعالى.. وإنما نصل إليها عن طريق الأنبياء وأوصيائهم.

ولا تقتصر الحكمة على مجال دون آخر، بل هي تشمل كل ما في هذه الحياة من حقائق ودقائق، وهي حياة الأرواح، وشفاء لما في الصدور، وانسجام مع كل هذه المنظومة في دقيق صنعها، وبديع خلقها، ولذلك كانت الحكمة منزلة من عند الله كالقرآن، قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ**﴾[١].

وقال: ﴿**وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ**﴾[٢].

وقال: ﴿**ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ**﴾[٣]. وآيات أخرى..

وفسرت الحكمة بولاية أمير المؤمنين «عليه السلام»[٤]، ومعرفة الإمام

---

(١) الآية ١١٣ من سورة النساء.

(٢) الآية ٢٣١ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٣٩ من سورة الإسراء.

(٤) بحار الأنوار ج٣٦ ص١٤٤ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٥٢ وتفسير فرات ص٤٨٣ وشواهد التنزيل ج٢ ص٣٤٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٤ ص٦٦٧.

واجتناب الكبائر(١).

وعقد في بحار الأنوار باباً بعنوان: أن الحكمة معرفة الإمام(٢).

وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن الحكمة المعرفة والتفقه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم(٣).

وعنه «عليه السلام»: الحكمة ضياء المعرفة وميراث التقوى، وثمرة الصدق الخ..(٤).

وعنه «عليه السلام»: كثرة النظر في الحكمة تلقح العقل(٥).

---

(١) بحار الأنوار ج٢٤ و٨٦ وج٢٧ ص١٢٦ وتفسير العياشي ج١ ص١٥١ والكافي ج٢ ص٢٨٤ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٣٥٤ والتفسير الأصفى ج١ ص١٢٨ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٢٨٧.

(٢) بحار الأنوار ج٢٤ ص٨٦.

(٣) بحار الأنوار ج١ ص٢١٥ وج٢٤ ص٨٦ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٥٣ وتفسير العياشي ج١ ص١٥١ وتفسير كنز الدقائق ج١ ص٦٥٣ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٢٨٧ والتفسير الأصفى ج١ ص١٢٨ والتفسير الصافي ج١ ص٢٩٨.

(٤) بحار الأنوار ج١ ص٢١٥ ومصباح الشريعة ص١٩٨ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٥٣ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٢٨٨ وتفسير كنز الدقائق ج١ ص٦٥٥ وتفسير الميزان ج٢ ص٤٠٤.

(٥) بحار الأنوار ج٧٥ ص٢٤٧ وتحف العقول ص٣٦٤ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٥٣ ونهج السعادة ج٧ ص٣٤٦.

وعن الإمام الهادي«عليه السلام»:الحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة(١).

وفي الحديث القدسي: يا أحمد، الصوم يورث الحكمة، والحكمة تورث المعرفة، والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح، بعسر أم بيسر الخ.. (٢).

وعن أمير المؤمنين «عليه السلام»: اعلموا أنه ليس من شيء إلا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله، إلا الحياة فإنه لا يجد في الموت راحة، وإنما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة القلب الميت، وبصر العين العمياء، وسمع للأذن الصماء، وري للظمآن، وفيها الغنى كله، والسلامة إلخ..(٣).

---

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص٣٧٠ والأنوار البهية ص٢٨٧ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٥٣ ونهج السعادة ج٧ ص٣٤٧ وأعلام الدين في صفات المؤمنين ص٣١١.

(٢) بحار الأنوار ج٢٤ ص٢٧ والجواهر السنية للحر العاملي ص١٩٧ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٥٣ وج٦ ص٤٠٣.

(٣) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٨ ص٢٨٧ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٥٤ ونهج السعادة ج٧ ص٣٤٤ وبحار الأنوار ج٨٩ ص٢٢ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٣ ص٢٤٦.

والروايات حول الحكمة، وأهميتها وما يرتبط بها كثيرة، وتوضيح بيان ما ورد فيها من حقائق ودقائق يحتاج إلى توفر تام، وتأليف مستقل..

السور البدائل عن الكتب السماوية:

وقد يرى البعض: أن ثمة روايات لا تتوافق في مضامينها مع ما أوردته الرواية المذكورة في الفصل السابق.. فيما يرتبط بالسور التي هي في موازاة الإنجيل، والأخرى التي هي بموازاة غيره من الكتب السماوية التي نزلت للأمم السالفة:

١ ـ فعن أبي إسحاق الثقفي، عن محمد بن مروان، عن أبان بن عثمان، عمن ذكره، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: «إن الله تبارك وتعالى أعطى محمداً شرائع نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى: التوحيد، والإخلاص، وخلع الأنداد، والفطرة، والحنيفية السمحة، لا رهبانية ولا سياحة.

أحل فيها الطيبات، وحرم فيها الخبائث، ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم.

فعرف فضله بذلك. ثم افترض عليها فيه الصلاة والزكاة، والصيام، والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحلال والحرام، والمواريث، والحدود، والفرائض، والجهاد في سبيل الله.

وزاده الوضوء.

وفضله بفاتحة الكتاب، وبخواتيم سورة البقرة، والمفصل.

وأحل له المغنم، والفيء، ونصره بالرعب.

وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً.

وأرسله كافة إلى الأبيض والأسود، والجن والإنس.

وأعطاه الجزية، وأسر المشركين، وفداهم.

ثم كُلِّف ما لم يكلف أحداً من الأنبياء، أنزل عليه سيفاً من السماء في غير غمد. وقيل له: ﴿..**قَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ**﴾[(١)]».

عباس بن عامر، وزاد فيه بعضهم: «فأخذ الناس بأربع، وتركوا هذه. يعني الولاية»[(٢)]. وزيادة عباس بن عامر هذه لم ترد في الكافي، فراجع.

وفي هذه الرواية أمور كثيرة وإشارات تحتاج إلى بيان، وقد تكفل العلامة المجلسي «رحمه الله» والمعلق على كتاب البحار ببعض ذلك، فراجع كلامهما[(٣)].

---

(١) من الآية ٨٤ من سورة النساء.

(٢) بحار الأنوار ج٦٥ ص٣١٧ و ٣١٨ و ٣٢٩ وج١٦ ص٣٣٠ وج٧٨ ص٥٤ وج٨٠ ص٥٧٨ والمحاسن ص٢٨٦ و ٢٨٧ و جامع أحاديث الشيعة ج١ ص٤٦١ وغاية المرام ج٦ ص١٨٣ ومعجم المحاسن والمساوئ للتبريزي ص١٤٥ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج١٢ ص٢٢٧ والكافي ج٢ ص١٨. ولم يذكر قوله: عباس بن عامر.. وزاد فيه بعضهم الخ..

وراجع: شرح الأخبار ج١ ص٢٢٨ وج٢ ص٢٧٧ ونهج السعادة ج٨ ص٦٣.

(٣) بحار الأنوار ج٦٥ ص٣١٨ ـ ٣٢٦.

٢ ـ عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الإنجيل المثاني، ومكان الزبور المئين، وفضلت بالمفصل[1].

٣ ـ في رواية واثلة بن الأسقع: «وأعطيت مكان الإنجيل المئين، ومكان الزبور المثاني. وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش، لم يعطها نبي قبلي، وأعطاني المفصل نافلة»[2].

٤ ـ عن سعد الإسكاف قال: «سمعت أبا جعفر «عليه السلام» يقول: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أعطيت الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور. وفضلت بالمفصل ثمان (سبع) وستين سورة»[3].

---

(١) بحار الأنوار ج٦٥ ص٣٢٣ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٤٨٦ ومسند أحمد ج٤ ص١٠٧ ومجمع الزوائد ج٧ ص١٥٨ ومسند أبي داود ص١٣٦ والجامع الصغير للسيوطي ج١ ص١٧٦ وكنز العمال ج١ ص٥٧٢ وتفسير مجمع البيان ج١ ص٤١ وجامع البيان للطبري ج١ ص٦٨ و ٦٩ والبرهان للزركشي ج١ ص٢٥٨ والإتقان في علوم القرآن ج١ ص١٥٨ والدر المنثور ج٦ ص١٠١ وإمتاع الأسماع ج٣ ص٣١٨ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٢٩٩.

(٢) بحار الأنوار ج٦٥ ص٣٢٣ وتفسير مجمع البيان ج١ ص٤١ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٤٨٦ والمعجم الكبير ج٢٢ ص٧٥ وتفسير الثعلبي ج٩ ص٦٨ وتفسير البغوي ج٣ ص٥٧ وزاد المسير ج٧ ص١٧٦.

(٣) تفسير العياشي ج١ ص٢٥ والكافي ج٢ ص٦٠١ والتفسير الأصفى ج١

قال الطبرسي «روح الله روحه»: «فالسبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة، والأنعام، والأعراف والأنفال مع التوبة، لأنهما تدعيان القرينتين، ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة».

وقيل: إن السابعة سورة يونس.

والطوال: جمع طولى، تأنيث الأطول.

وإنما سميت هذه السور الطوال، لأنها أطول سور القرآن.

وأما المثاني فهي السور التالية للسبع الطول، أولها يونس وآخرها النحل.

وإنما سميت المثاني، لأنها ثنت الطول، أي تلتها، وكان الطول هي المبادي، والمثاني لها ثواني، وواحدها مثنى مثل المعنى والمعاني.

وقال الفراء: واحدها مثناة.

وقيل: المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها، من قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾(١).

وأما المئون فهي كل سورة تكون نحواً من مائة آية، أو فويق ذلك، أو دوينه. وهي سبع سور، أولها سورة بني إسرائيل، وآخرها المؤمنون.

ص٢٥٢ والتفسير الصافي ج١ ص١٧ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٢٥ وج١ ص٥٧٣ وج٣ ص٢٩ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٦٨٥ وبحار الأنوار ج٨٩ ص٢٧ وراجع ج١٦ ص٣٣٧ عن المناقب ج١ ص١٥٩.

(١) من الآية ٢٣ من سورة الزمر.

وقيل: إن المئين ما ولي السبع الطول، ثم المثاني بعدها، وهي التي تقصر عن المئين، وتزيد على المفصل.

وسميت المثاني لأن المئين مبادٍ لها.

وأما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن، سميت مفصلاً لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم»[١].

قال المجلسي «رحمه الله»:

أقول: واختلف في أول المفصل، فقيل: من سورة ق. وقيل: من سورة محمد «صلى الله عليه وآله». وقيل: من سورة الفتح.

وعن النووي: مفصل القرآن محمد إلى آخر القرآن. وقصاره من الضحى إلى آخره، ومطولاته إلى عم، ومتوسطاته إلى الضحى.

في الخبر: المفصل ثمان وستون سورة[٢].

وفي الخبر المتقدم أنها سبع وستون سورة..

حل إشكال اختلاف الروايات:

ويمكن حل هذا الإشكال ـ أعني إشكال إختلاف الروايات فيما هو بديل عن الكتب السماوية ـ بأن يقال:

يحتمل أن يكون سبب هذا الاختلاف هو الإختلاف في الخصوصية

---

(١) بحار الأنوار ج٦٥ ص٣٢٣ و ٣٢٤ ومجمع البيان ج٤ ص٤٨٧.

(٢) بحار الأنوار ج٦٥ ص٣٢٣.

الموجبة للبدلية، التي لوحظت في كل مورد.

فاختلف هذا البدل عن ذاك بسبب ذلك..

وقد تكون الخصوصية التي لاحظها «عليه السلام» بالنسبة لمعارف ذلك اليهودي هي أنه أراد أن يعينه على فهم الأمور من خلال تمكينه من إدراك ميزة وفضيلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» على سائر الأنبياء. وذلك إذا قارن بين الإنجيل في سورة أو سور بعينها، وهذا ما فرض لفت نظر ذلك اليهودي إلى مضامين هذه السور، دون سواها، ليقوم بمقايستها مع مضامين ما جعلت بديلاً عنه، وفقاً للتكوين الفكري الذي لديه.

أما بالنسبة لأهل الإسلام، والفائزين بنعمة الإيمان، فإن إدراكهم لهذا التفضيل، إنما هو بمقايسة الإنجيل بسورة أخرى من سور القرآن، وكذلك التوراة والزبور..

فراعنة قريش:

ذكرت الرواية المتقدمة في الفصل السابق: أن الله قد أرسل رسوله محمداً «صلى الله عليه وآله» إلى فراعنة شتى.. وأن موسى «عليه السلام» إنما ابتلي بواحد من الفراعنة..

فقد يقال: إن فراعنة قريش كانوا مجرد أناس عاديين، لا يقاسون في جبروتهم، وجرائمهم بفرعون موسى، الذي ادعى الربوبية، وقد تسلط على بني إسرائيل، فكان يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم..

ويجاب:

بأن ما كان يعني موسى من فرعون، إنما هو ما يمكن أن يوصله إليه وإلى الناس من أذى، بالإضافة إلى حجم وطبيعة الموانع التي يستطيع أن يقيمها في طريق الدعوة إلى الله تعالى.

كما أن هذا هو بعينه ما كان يعني نبينا الأكرم «صلى الله عليه وآله» فيما يرتبط بهؤلاء المجرمين والمستكبرين.

مع ملاحظة: أنهم يحملون السمات والمواصفات، والروح الفرعونية في داخل ذواتهم، من الاستكبار، والاستعلاء، وفقدان الرادع الوجداني والإيماني والإنساني والأخلاقي، والمانع الإجتماعي من ارتكاب أية جريمة يروق لهم ارتكابها.

كما أن لديهم كل الإمكانات والقدرات التي تمكنهم من الفعل، وتثير لديهم الشهية له، والرغبة فيه، وتحبب لهم الإقدام عليه.

كما أنهم سيلاقون المعونة، والرضا، والتشجيع، والمشاركة من الآخرين: بالفعل، وبالقول، وبالجاه والمقام والمال، وكل شيء..

فإذا كان موسى «عليه السلام» قد ابتلي بواحد له هذه المواصفات، فإن نبينا «صلى الله عليه وآله» قد ابتلي بالكثير من الذين يقدرون على إلحاق نفس الأذى به وبدعوته، وبنفس المستوى في مقاديره وأشكاله، الذي كان يقدر فرعون على إيصاله إليه..

الأفضل من المن والسلوى:

وقد اعتبر «عليه السلام» حسبما ورد في النص المتقدم في الفصل

السابق: أن إحلال الغنائم للنبي «صلى الله عليه وآله» ولأمته أفضل من المن والسلوى..

إنما صار ذلك أفضل من المن والسلوى، من حيث أن المطلوب هو تذوق حلاوة النصر ـ المعنوية والروحية ـ الذي هو أحب وأحلى من اللذائذ الحسية، فكيف إذا تمازجت هذه اللذة الروحية مع لذة الكسب، والمتعة الدنيوية؟! لتصبح هذه الغنائم بمثابة حافزٍ لاستمرار التلذذ الروحي بهذا النصر..

تليين الصخر حتى أصبح غاراً:

وقد ذكر النص المتقدم في الفصل السابق: أن الله تعالى لين لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الصخور الصلاب، حتى جعلها غاراً..

ونقول:

إننا لم نقرأ في كتب التاريخ: أن غار ثور قد حدث حين الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة.. بل قد تشير التعابير التاريخية إلى أنه كان موجوداً ومعروفاً، ولا سيما النصوص التي صرحت باسم غار ثور في سياق مسير النبي «صلى الله عليه وآله» نحوه، وقبل وصوله «صلى الله عليه وآله» إليه..

ويمكن أن يجاب عن ذلك: بأن المتأمل في هذا الغار لا يحسب أنه يستطيع أن يخفي رجلين، بل قيل: كان الداخل إليه لا يمكنه الدخول إليه إلا زحفاً، مع ما ذكرته الروايات من نبات الشجرة على بابه، ووضع الحمامة الوحشية بيضها، ونسج العنكبوت على بابه أيضاً..

من أجل ذلك نقول:

لعل الله سبحانه قد لين تلك الصخور الصلاب، حتى اتسعت وتعمقت، فوجد النبي «صلى الله عليه وآله» وصاحبه فسحة فيه، ثم جاءت الحمامة الوحشية فباضت على بابه، واحتضنت بيضها، ثم نسجت العنكبوت، ووجد المشركون في هذا المظهر ما يكفي لصرف نظرهم عنه إلى غيره..

غارت الصخرة في بيت المقدس:

وذكر النص المتقدم أيضاً: أن الصخور غارت تحت يد رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بيت المقدس، ونلفت نظر القارئ إلى أمرين:

أحدهما: أنه ليس في هذا النص ما يدل على أن المقصود هو صخرة بيت المقدس، المعروفة بأنها قبلة اليهود القديمة[١]. بل المقصود هو أن إحدى الصخور في بيت المقدس قد حدث لها ذلك..

الثاني: لم نجد أيضاً في كتب التاريخ ما يشير إلى سفر النبي «صلى الله عليه وآله» مع أصحابه إلى بيت المقدس، ولا سيما بملاحظة قوله «عليه السلام»: قد رأينا ذلك والتمسناه تحت رايته..

غير أن من الواضح: أن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، فربما يكون «صلى الله عليه وآله» قد حضر مع بعض أصحابه بصورة إعجازية، تماماً كما تحدثت الروايات عن أنه قد أسري به «صلى الله عليه وآله» من المسجد الحرام إلى مسجد الكوفة، ثم إلى طور سيناء ثم إلى بيت لحم، ثم إلى

(١) مقدمة ابن خلدون ص٣٥٤ و ٣٥٥.

بيت المقدس، ثم إلى السماء(١).

وفي بعضها: أنه صلى أيضاً في مسجد الكوفة في ليلة الإسراء(٢).

غير أننا لا نجد ضرورة لأن يكون الصعود إلى السماء من خصوص بيت المقدس، فإن أبواب السماء مفتوحة في كل بقاع الأرض.

قام على أطراف أصابعه:

في النص المتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قام على أطراف أصابعه عشر سنين، حتى تورمت قدماه..

والسؤال هو: كيف يمكن أن نتصور أن قيامه للعبادة كان على أطراف أصابعه؟!

وقد احتمل المجلسي «رحمه الله»: أن تكون الصلاة على هيئة القيام على أطراف

(١) راجع: البرهان (ط سنة ١٤٢٩هـ) ج٦ ص٦ و ١٢ وتفسير القمي ج٢ ص٣ وراجع: بحار الأنوار ج١٤ ص٢٠٨ وج١٨ ص٣١٩ و ٣٢٠ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص١٤٧ وسنن النسائي ج١ ص٢٢١ و ٢٢٢ ومسند الشاميين ج١ ص١٩٤ والتفسير الصافي ج٣ ص١٦٧ .

(٢) راجع: البرهان (ط سنة ١٤٢٩هـ) ج٦ ص٢٣ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٣١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٢٥٧ و (الإسلامية) ج٣ ص٥٢٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٤ ص٥٢٦ ولسان الميزان ج٦ ص٢٧٥ وتاريخ الكوفة للبراقي ص٣١ و ٥٢.

الأصابع مشروعة، فنسخت.. أي فلا يجوز الصلاة مع القيام على الأصابع(١).

ولنا أن نحتمل أيضاً: أن يكون القيام على أطراف الأصابع كان مشروعاً لخصوص نبينا الأكرم «صلى الله عليه وآله» دون سواه، وأن لا يكون قد عرض النسخ لهذا الحكم..

على الجبل نبي وصديق شهيد:

وذكر في النص المتقدم: أن علياً «عليه السلام» كان مع النبي «صلى الله عليه وآله»، فتحرك الجبل، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: قر، فليس عليك إلا نبي وصديق شهيد..

وهذا النص يدل على عدم صحة ما زعموه من أن المقصود بالصديق: أبو بكر، لأنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل: نبي وشهيد، ليكون المقصود بالصديق: أبا بكر، وبالشهيد علياً «عليه السلام». بل جعل وصف شهيد قيداً للصديق، أي أن على الجبل اثنان فقط، هما: نبي، ورجل آخر له وصفان هما صديق شهيد.

فكلمة شهيد قيد لكلمة صديق، ولم يكن أبو بكر من الشهداء، بل مات حتف أنفه.

هذا عدا عن أن وصف الصديق خاص بعلي «عليه السلام»، كما ذكرناه في موضع آخر من هذا الكتاب..

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٨١ ص٣٤٢.

الفصل الخامس:

فضائل الرسول:

المزيد من التوضيحات والدلالات..

بداية:

لأن استكمال جميع البيانات والوقفات في فصل واحد سيرهق القارئ، فقد آثرنا أن نجعلها في فصلين، فلاحظ المطالب المذكورة بياناً لبعض ما ورد في الفصل الذي تقدم بعنوان: اليهودي وفضائل الرسول «صلى الله عليه وآله»، وذلك فيما يلي من صفحات..

جبرائيل يقول للنبي صلى الله عليه وآله: تواضع:

وقد ذكر النص المتقدم في الفصل السابق: أن الله تعالى عرض على نبيه «صلى الله عليه وآله»، بأن يعيش ملكاً منعماً، ولا ينقص في الآخرة شيء مما ادخر له. فأومأ «صلى الله عليه وآله» إلى جبرائيل «عليه السلام»، فأشار إليه جبرائيل: أن تواضع إلخ..

فيرد سؤال: هل يعقل أن لا يكون «صلى الله عليه وآله» قادراً على اختيار ما هو أجدر به وأمثل؟!!

وهل يعقل: أن لا يكون «صلى الله عليه وآله» عارفاً بالأوامر الإلهية للأنبياء السابقين بالزهد بالدنيا، وصرف النظر عنها وعن زبرجها؟!

وهل كان جبرئيل أعرف منه «صلى الله عليه وآله» بمثل هذه الأمور؟!

وألم يكن «صلى الله عليه وآله» يعلم أن الأنبياء «عليهم السلام» أسوة وقدوة لقومهم؟! فكيف يتأسى الفقراء بنبيهم؟!

وعلي «عليه السلام» هو الذي يقول: «أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش. فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها، تكترش من أعلافها، وتلهو عما يراد بها الخ..[1].

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إن جبرئيل هو رسول الله إليه «صلى الله عليه وآله». وهو إنما يخبره عن الله تعالى، فأراد «صلى الله عليه وآله» أن يسأله ليعلم الناس أن

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٧٣ و (تحقيق صبحي الصالح ـ ط سنة ١٣٨٧ هـ ق) ص٤١٧ من كتاب له «عليه السلام» إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة حين بلغه أنه دعي إلى وليمة. وراجع: الأمالي للصدوق المجلس رقم ٩٠ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص٣٠١ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٤٧٤ وج٤٠ ص٣٤١ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٣ ص٢٧٣ وألف حديث في المؤمن للشيخ هادي النجفي ص٢٤ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٦١٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٧ ص١٦٥ وج٨ ص٤٢٦ ونهج السعادة ج٤ ص٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢٨٦ و ٢٨٧ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص٣٠٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٢٨٨ عن ربيع الأبرار للزمخشري (مخطوط) ص٣٤٠.

عليهم تحري أوامر الله، وأن يكون الورد والصدر عنها، ولذلك أراد «صلى الله عليه وآله» هنا أن يختار ما يختاره على أساس التعبد بأمر الله سبحانه، ولا يريد أن يفعل ما يفعل بالاستناد إلى نفسه، حتى في مثل هذا الأمر البديهي، والمعلوم ليعرف الناس أن المطلوب هو نيل ثواب الطاعة لله بأكمل الوجوه وأتمها.

وليكون بذلك أسوة لغيره في تحري طاعة الله في كل شيء، ليكن هذا التخيير الإلهي يهدف إلى إظهار هذه الخصوصية فيه «صلى الله عليه وآله»..

ثانياً: من الذي قال: إنه لم تكن هناك مصلحة للناس في أن يروا أحد أنبياء الله تعالى، ولا سيما أفضلهم وخاتمهم يعيش متنعماً، وقد سخرت له خيرات الأرض كما كان الحال بالنسبة لسليمان «عليه السلام»؟! فعلى النبي «صلى الله عليه وآله» أن يحتمل مثل هذا الأمر. لا سيما مع سريان قانون البداء حتى على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثالثاً: إنه تعالى لا يريد أن يعطي الشفاعة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ابتداء، بل يريد أن يظهر أهلية النبي «صلى الله عليه وآله» لهذا التفضل، بإظهار هذا الزهد بالدنيا، والتواضع لديه، بالإضافة إلى إظهار مدى حرصه «صلى الله عليه وآله» على رضا الله سبحانه، وانقياده ومراعاته حتى للاحتمالات في هذا السياق..

بين مكة والقدس وبين مكة والعرش:

وجاء في النص المتقدم في الفصل السابق: أنه أسرى بالنبي «صلى الله عليه وآله» من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وعرج به في

ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام في أقل من ثلث ليلة، حتى انتهى إلى ساق العرش..

وهنا يطرح سؤالان، فإن أجيب عنهما سقطت سائر الأسئلة، لأنها تتفرع عنهما، والسؤالان هما:

هل المسجد الأقصى في القدس في فلسطين حقاً؟!

وهل المسافة بين مكة وساق العرش مسيرة خمسين ألف عام؟!

الإجابة على السؤال الأول:

ونجيب على السؤال الأول بما يلي:

إننا لا ننكر أن الله تعالى قد أسرى برسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى بيت المقدس فقد أسري بالنبي «صلى الله عليه وآله» وعرج به مئة وعشرون مرة..

ولكننا نقول:

ألف: إنه لا دليل على أن هذا هو المقصود بقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**﴾[1].

ب: تقول بعض الروايات: إن رجلاً سأل الإمام الصادق «عليه السلام» عن المساجد التي لها الفضل، فقال: المسجد الحرام، ومسجد

---

(١) من الآية ١ من سورة الإسراء.

الرسول.

قلت: والمسجد الأقصى؟! جعلت فداك!

فقال: ذاك في السماء، إليه أسري برسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فقلت: إن الناس يقولون: إنه بيت المقدس.

فقال: مسجد الكوفة أفضل منه[1].

ج: إن بيت المقدس هو بقعة تبلغ مساحتها مئة وخمسة وأربعين ألف متر، وفيها محاريب الأنبياء، وباب حطة، وغير ذلك، ولم يكن فيها مسجد قائم في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنما بنيت القبة على الصخرة في زمن الوليد بن عبد الملك، بعد أن كان عبد الملك قد منع الناس من الحج إلى مكة، وأمرهم بالحج إلى بيت المقدس، وأمرهم بالطواف حول الصخرة التي هي قبلة اليهود القديمة، وجعل لهم مسعى، ومنى وعرفات، وحولت القبلة إلى بيت المقدس أيضاً ـ ولا سيما في مساجد العراق، الذي حكمه الحجاج والقسري، وغيرهما من الطغاة والجبارين..

أما المسجد الآخر، وهو ذو القبة الخضراء، فقد أسسه عمر بن الخطاب

---

(١) تفسير العياشي ج٢ ص٢٧٩ والبرهان ج٢ ص٤٠١ و (ط سنة ١٤٢٩ هـ) ج٦ ص٢٤ وكنز الدقائق ج٧ ص٢٩٩ ونور الثقلين ج٣ ص٩٧ وبحار الأنوار ج١٨ ص٣٨٥ وج٩٧ ص٤٠٥ والتفسير الصافي ج٣ ص١٦٦ وراجع التفسير الأصفى ص٣٧٠ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٤٠٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٤ ص٥٣٩ وتاريخ الكوفة ص٢٤ و ٢٥.

حين زار بيت المقدس لمصالحة أهلها ـ وقد سأل عمر كعب الأحبار، عن الموضع الذي يضع فيه المحراب.

فقال له كعب: اجعله خلف الصخرة، حتى تكون القدس كلها بين يديك.

فقال له: ضاهيت اليهودية يا كعب(١).

ولم يكن يطلق عليها اسم المسجد الأقصى قبل ذلك، لا في عهد الرسول ولا في عهد أبي بكر. بل كان يعبر عنها ببيت المقدس.

د: لعلنا لا نجد إطلاق اسم المسجد الأقصى على هذه البقعة على لسان أحد من المعصومين، منذ بعثة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإلى حين الغيبة لصغرى وبدء الغيبة الكبرى إلا في بضعة روايات يسيرة جداً، تحدثنا عنها في كتابنا: «المسجد الأقصى أين»؟!

وقلنا: إن هذا يضع علامات استفهام كبيرة حول هذا الموضوع، الذي كان هناك موضع اهتمام شديد، وحرص ظاهر على تكريسه كمسجد

---

(١) راجع: الأنس الجليل في أخبار القدس والخليل ج١ ص٢٥٦ والأموال لأبي عبيد ص٢٢٥ والإصابة ج٤ ص١٠٥ والأسرار المرفوعة ص٤٥٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص٦٥ و ٦٨ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٩ ومسند أحمد ج١ ص٣٨ ومجمع الزوائد ج٤ ص٦ وراجع: كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٥ ص٧٠٣ وج١٤ ص١٤٨ و ١٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٧١ ومعجم ما استعجم ج٣ ص٨٢٧.

يضاهي المسجد الحرام، ومسجد النبي «صلى الله عليه وآله».

هـ: غير أننا بغض النظر عما تقدم نقول:

إن بيت المقدس نفسه مكان مقدس، تعدل الصلاة فيه ألف صلاة[١]، ولكنه لا يمكن أن يضاهي مسجد الكوفة، فضلاً عن مسجد النبي «صلى الله عليه وآله»، والمسجد الحرام..

و: إن الآية المباركة التي في سورة الإسراء صرحت بالقول: ﴿**الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾. ولا نجد فيما نعرفه من نصوص ما يدل على مباركة المناطق المحيطة ببيت المقدس، أو ما يدل على خصوصية تميزها على سائر البقاع..

---

(١) راجع: النهاية للشيخ الطوسي ص١٠٨ والجامع للشرايع للحلي ص١٠٣ وجواهر الكلام ج١٤ ص١٥١ والمبسوط للسرخسي ج٣ ص١٣٢ والمحاسن للبرقي ج١ ص٥٥ ودعائم الإسلام ج١ ص١٤٨ وثواب الأعمال للصدوق ص٣٠ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٣٣ وتهذيب الأحكام ج٣ ص٢٥٣ وروضة الواعظين ص٣٣٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٢٨٩ و (الإسلامية) ج٣ ص٥٥١ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٤٣١ وبحار الأنوار ج٨٠ ص٣٨٠ وج٨١ ص١٥ وج٩٩ ص٣٧٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٤ ص٥٦٢ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٤٤٠ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٩ ص٦٣ وفلاح السائل لابن طاوس ص٩١ ومعارج اليقين في أصول الدين للسبزواري ص١٧٩.

أما إذا كان المسجد الأقصى هو مصلى الملائكة في السماء الرابعة[1]، فإن ما حوله يكون مباركاً، لأنه موضع ترتاده الملائكة، وتتواجد فيه مشغولة بالتسبيح..

ز: لا توجد آيات إلهية وعجائب ربانية، غير عادية فيما بين مكة وبيت المقدس. كما أن الإسراء من مكة إلى السماء الرابعة ليس أمراً عادياً. وسيشاهد النبي «صلى الله عليه وآله» من آيات الله العظيمة في مسيرة ذاك ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى.

ح: إذا كان الإسراء إلى المسجد الأقصى في السماء، فإن التعبير بالأقصى يكون ظاهر الوجه، فإن المراد حينئذ مصلى الملائكة في السماء الرابعة.

أما بيت المقدس:

فأولاً: لم يكن هناك مسجد فعلاً، ولكن كانت هناك مساحة شاسعة ذات حرمة. ولو سلم، فلما بيت المقدس أقصى المساجد في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن وصف الأقصى لا بد أن يكون ظاهر الانطباق بالنسبة لجميع أفراد البشر في أي زمان ومكان وجهة كانوا. ولم يكن الأمر

---

(١) راجع: علل الشرائع ج٢ ص٤٠٦ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٩٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٣ ص٢٩٧ و (الإسلامية) ج٩ ص٣٨٨ و ٤١٤ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٣٢٥ وتصحيح اعتقادات الإمامية للشيخ المفيد ص٧٨ وعوالي اللآلي ج٢ ص٨٣ وبحار الأنوار ج٥ ص٣٣٠ وج٦ ص٩٧ وج١١ ص١١٠ وج٣٦ ص١٥٥ وج٥٥ ص٨ و ٥٥ ـ ٥٩.

كذلك لا في عصر نزول الآية، ولا في سائر الأزمان بعد ذلك إلى يومنا، فهناك مسجد أهل الكهف الذي ورد ذكره في القرآن: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**﴾(١).

وقال تعالى في سياق آخر: ﴿**الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾(٢).

وإن كان المقصود: أنه «أقصى» بالنسبة لغيره من المساجد بعد اتساع رقعة الإسلام، فإن المساجد في أيامنا هذه توجد في أقصى بقاع الأرض على الإطلاق، فلا خصوصية لبيت المقدس.

من أجل ذلك نرجح أن يكون المراد بالمسجد الأقصى: المسجد الذي في السماء الرابعة، وهو مصلى الملائكة، ولعل ما سنورده في الفقرة التالية سيزيد الأمر وضوحاً.

---

(١) الآية ٢١ من سورة الكهف.

(٢) الآيات في أول سورة الروم.

المسافة بين مكة وساق العرش:

وذكرت الرواية المتقدمة في الفصل السابق: أنه قد عرج بالنبي «صلى الله عليه وآله» في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام. حتى انتهى إلى ساق العرش..

فإذا أردنا أن نضع ذلك في سياق حسابات عملية، فإن مسيرة الخمسين ألف عام هي أقل بكثير من مسيرة ساعة ضوئية.. والعلماء يتحدثون عن وجود نجوم يحتاج ضوؤها ليصل إلينا إلى مئات الألوف، بل إلى ملايين السنين الضوئية.

وهذه النجوم هي الزينة للسماء الدنيا، انطلاقاً من قوله تعالى **﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾**[(١)]، وقوله تعالى: **﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ**

---

(١) الآية ١ من سورة فصلت، وراجع الآية ٥ من سورة الملك.

﴿الْكَوَاكِبِ﴾[١]. وهذا يشير إلى أن حجم السماء الدنيا، وهي القريبة والدانية أعظم بكثير من مسيرة خمسين ألف سنة بكثير..

فكيف إذا أضيف إلى ذلك قول بعض الروايات عن الإمام الصادق «عليه السلام»: إن السماء الدنيا في جنب السماء الثانية ليست إلا كحلقة درع ملقاة في أرض فلاة. وكذلك كل سماء بالنسبة إلى التي تليها؟![٢].

فكيف إذا أخذنا بالرواية التي تتحدث عن ملك اسمه خرقائيل، له ثمانية عشر ألف جناح، ما بين الجناح والجناح خمس مئة عام، فخطر له خاطر: هل فوق العرش شيء؟! فزاده الله ثمانية عشر ألف جناح أخرى. ما بين كل جناح وجناح مسيرة خمس مئة عام.

ثم أوحى إليه تعالى: أيها الملك طر.

فطار عشرين ألف عام لم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش، ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة، وأمره أن يطير، فطار مقدار ثلاثين ألف عام، لم ينل أيضاً.

فأوحى الله إليه أيها الملك، لو طرت إلى نفخ الصور، مع أجنحتك

---

(١) الآية ٦ من سورة الصافات.

(٢) الكافي ج٨ ص١٥٣ و ١٥٤ والتوحيد للصدوق ص٢٧٦ و ٢٧٧ ونور البراهين ج٢ ص٩٤ ـ ٩٨ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٣٦٤ و ٣٦٥ وبحار الأنوار ج٥٧ ص٨٣ و ٨٤ وراجع: ج٢٥ ص٣٨٥.

وقوتك لم تبلغ إلى ساق عرشي إلخ..[1].

فهل يمكن بعد هذا وذاك أن تكون المسافة بين مكة وساق العرش مسيرة خمسين ألف سنة؟! ولا سيما إذا كان المقصود بالمسير هو مسير الناس العاديين على أقدامهم، أو إبلهم!!

حل الإشكال:

وإذا أردنا حل هذا الإشكال فلا بد من ملاحظة ما يلي:

١ ـ يمكن أن يقال: إنه «عليه السلام» لم يوضح نوع المسير، الذي قصده، فللبشر مسيرهم، مشياً، أو على الإبل، أو الخيل، أو في السيارات، أو الطائرات.

وللجن مسيرهم الذي يمكِّنهم من الإقتراب واستراق السمع في السماوات، أو يمكِّنهم من التجول في السماوات نفسها.. كما أن فيهم الأقوياء، وفيهم الضعفاء أيضاً..

وللملائكة مسيرهم الأرقى والأسمى، ويختلف حالهم في قدراتهم، وفي الوسائل التي يحبوهم الله تعالى بها نتيجة لأعمالهم الصالحة، أو لغير ذلك.

(١) روضة الواعظين ص٤٧ وبحار الأنوار ج٥٥ ص٣٤ عنه، ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص١٦٢ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٥٥٤ والجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص١٣ .

وقد وجدنا: بأن للملك خرقائيل ستة وثلاثين ألف جناح بين كل جناح وجناح مسيرة خمس مئة عام، فلا بد أن تكون سرعة طيرانه متناسبة مع هذه القدرات.

وفيهم عظماء بلغوا في العظمة إلى الحد الذي استحقوا به أن يكونوا رسل الله تعالى إلى أشرف مخلوقاته، وهو نبينا الأعظم محمد «صلى الله عليه وآله»، مثل جبرائيل «عليه السلام»..

٢ ـ إن الأيام أيضاً تختلف. فقد قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿**ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾(٢).

وقال: ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾(٣).

وربما اختلف حال الأيام باختلاف النشأة التي يراد الحديث عنها، والعالم الذي يقصد منها، فأيام الآخرة ليست كأيام الدنيا، بل إن أيام الدنيا تختلف بسبب اختلاف عوالمها، فيوم الجن غير يوم الملك، ويومهما يختلف عن يوم الإنس..

---

(١) الآية ٤٧ من سورة الحج.

(٢) الآية ٥ من سورة السجدة.

(٣) الآية ٤ من سورة المعارج.

بل إن نفس منازل الآخرة قد تكون سبباً لاختلاف الأيام.. كما أن من الممكن أن تختلف الأيام في إطلاقاتها بالنسبة بالنسبة لاختلاف طوائف الملائكة، وفئات الجن أو الإنس المخاطبين بها.

٣ ـ من أجل هذا وذاك نقول: ربما يكون المقصود بمسير الخمسين ألف عام هو هذه المراتب العالية جداً، كمسير الملك خرقائيل، أو مسير جبرائيل الذي هو أقوى وأسرع، أو البراق الذي هو دابة من الجنة، ولذلك تولى حمل رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى أوصله إلى سدرة المنتهى، وتولى جبرائيل مرافقته.. ثم عادوا في نفس الليلة.. أو في جزءٍ يسير منها.

فكان الإعجاز الذي حبا الله تعالى به نبيه هو قطع مسيرة خمسين ألف عام مما يحتاج إليه أعظم مخلوقات الله، وأقواها على المسير الأسرع ليصل إلى ساق العرش ـ قطعها كلها ـ بلحظات يسيرة، حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى. وأين ساق العرش من سدرة المنتهى؟!

٤ ـ ولعل السماء الرابعة، حيث مصلى الملائكة، وهو المسجد الأقصى، هو الذي يحتاج إلى مسيرة شهر، من أنواع المسير الذي هيأ الله له أهلاً يمارسونه بقدراتهم الخاصة في نطاق هذه السماوات.

٥ ـ وموضوع المسجد الأقصى، والإسراء والمعراج وكل هذا الذي أشرنا إليه مما يكون في نطاق السماوات، وخلقها، وسكانها، يحتاج إلى المزيد من البحث والتدقيق.

وما ذكرناه لا يعدو كونه مجرد أمارات أولية، ولربما إذا حظيت بمزيد من العناية من قبل العلماء تكتسب المزيد من الوضوح والبهاء، والجمال

والسناء، بسبب ما يضفونه عليها من تقليم وتطعيم، وتصحيح وتقويم..

فدنا بالعلم فتدلى:

١ ـ وما أروعه من بيان راصد ورافد، فهو راصد لكل الاحتمالات، والأوهام والشبهات، ليبادئها بما يزيلها، ويقتلعها من جذورها. ورافد للعقول والأفهام بالعلم الذي يشفي الصدور، ويطفح بالهدى والنور.

فها هو «عليه السلام» يضيف كلمة «بالعلم» إلى الدنو والتدلي، لتكون البلسم الشافي، والبيان الكافي لتنزيه الله سبحانه عن أمور كثيرة يتوهمها أهل الباطل: فقد نزهه عن المكان، وعن الجسمية، وعن الجهة، وعن الحاجة، وعن.. وعن.. فإنه «صلى الله عليه وآله» دنا بعلمه إليه سبحانه وتعالى، لا دنوا مكانياً، فإن هذا يفسد الاعتقاد، ويتضمن الجرأة على رب العباد..

٢ ـ وقد ذهبت أوهام الناس في المراد من التدلي في اتجاهات شتى، حيث ظنوا: أن جبريل لما وقف برسول الله «صلى الله عليه وآله» عند سدرة المنتهى فارقه وتقدم «صلى الله عليه وآله»، وتقدم إلى ما هو أبعد من ذلك ـ ظنوا ـ أنه قد زال من مكانه، وتدلى إلى الأرض(١).

فجاء قوله «عليه السلام»: فدنا بالعلم، فدلي له من الجنة رفرف أخضر، كما تقدم في الفصل السابق.

---

(١) البرهان (ط سنة ١٤٢٩هـ) ج٩ ص١٥٥ و (الطبعة الثالثة) المجلد ٤ ص٢٥٠ والاحتجاج ص٣٨٦ و (ط دار النعمان ـ النجف) ج٢ ص١٥٧ وبحار الأنوار ج٣ ص٣١٣ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص١٥١.

وقد ورد في رواية أخرى ما يوضح ذلك، فعن محمد بن همام، عن محمد بن إسماعيل، عن عيسى بن داود، عن الإمام الكاظم، عن أبيه، عن جده، عن علي «عليهم السلام»: أنه «صلى الله عليه وآله» قال:

«ثم صعد بي إلى تحت العرش، فدلي إليَّ رفرف أخضر، ما أحسن وصفه، فرفعني بإذن ربي فصرت عنده، وانقطع عني أصوات الملائكة ودويهم، وذهبت المخاوف والروعات، وهدأت نفسي واستبشرت، وجعلت أمتد وأنقبض، ووقع علي السرور والاستبشار، وظننت أن جميع الخلائق قد ماتوا، ولم أر غيري أحداً من خلقه.

فتركني ما شاء الله، ثم رد علي روحي، فأفقت. وكان توفيقاً من ربي أن غمضت عيني، وكل بصري، وغشي عن النظر، فجعلت أبصر بقلبي كما أبصر بعيني، بل أبعد وأبلغ، وذلك قوله تعالى: ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾.

وإنما كنت أبصر مثل مخيط الإبرة نوراً بيني وبين ربي، لا تطيقه الأبصار. فناداني ربي فقال: ..

إلى أن قال «صلى الله عليه وآله»:

ثم إن ربي أمرني بأمور وأشياء، وأمرني أن أكتمها، ولم يأذن لي في إخبار أصحابي بها.

ثم هوي بي إلى الرفرف، فإذا بجبرائيل «عليه السلام» فتناولني حتى صرت إلى سدرة المنتهى، فوقف بي تحتها، ثم أدخلني جنة المأوى

إلخ..»(١).

رأى نور عظمته بفؤاده:

وذكر النص المتقدم في الفصل السابق أنه «عليه السلام» قال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» رأى نور عظمة ربه بفؤاده، ولم يرها بعينه. فكان قاب قوسين بينها وبينه أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى.

وقد ورد هذا المعنى أيضاً في آخر الرواية المذكورة آنفاً، ففيها عن الإمام الكاظم «عليه السلام»: أنه «صلى الله عليه وآله» وهو في الجنة: بينا جبرائيل يكلمه إذ علاه نور من نور الله .. فنظرت إلى مثل مخيط الإبرة مثلما كنت نظرت إليه في المرة الأولى..

إلى أن قال:

«وقد كنت قريباً إليه (أي إلى نور عظمة الله) مثل ما بين كبد القوس إلى سيته، فذلك قوله تعالى: ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾ من ذلك»(٢).

---

(١) تأويل الآيات ج٢ ص٦٢٥ ـ ٦٢٨ والبرهان (ط سنة ١٤٢٩هـ) ج٩ ص١٥٦ و ١٥٧ و (الطبعة الثالثة) المجلد ٤ ص٢٥٠ و ٢٥١ وبحار الأنوار ج٣٦ ص١٦٢ ـ ١٦٤.

(٢) تأويل الآيات ج٢ ص٦٢٥ ـ ٦٢٨ والبرهان (ط سنة ١٤٢٩هـ) ج٩ ص١٥٦ و ١٥٧ و (الطبعة الثالثة) المجلد ٤ ص٢٥٠ و ٢٥١ وراجع: اليقين لابن طاوس ص٢٩٨ ـ ٣٠١ وبحار الأنوار ج١٨ ص٣٩٥ ـ ٣٩٧ وج٣٧ ص٣١٩ ـ ٣٢١.

الإمام الرضا عليه السلام: والروايات المخالفة للقرآن:

غير أن ثمة رواية صحيحة السند تذكر: أن الإمام الرضا «عليه السلام»، وهو حفيد علي ووارثه قد تعرض لهذا الأمر، فيجدر بنا أن نستفيد من دروسها النافعة، والحقائق الناصعة، ونستضيء بأنوارها، فقد روى الكليني عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، قال:

سألني أبو قرة المحدث: أن أدخله على أبي الحسن الرضا «عليه السلام»، فاستأذنته في ذلك، فأذن لي، فدخل عليه، فسأله عن الحلال والحرام، حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال أبو قرة: إنا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسم الكلام لموسى، ولمحمد الرؤية؟!

فقال أبو الحسن «عليه السلام»: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[1].

و ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[2].

و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؟![3]. أليس محمداً «صلى الله عليه وآله»؟!

قال: بلى.

---

(١) الآية ١٠٣ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ١١٠ من سورة طه.

(٣) الآية ١١ من سورة الشورى.

قال: كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً، فيخبرهم أنه جاء من عند الله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ و ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ثم يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر؟!

أما تستحيون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون يأتي من عند الله بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

قال أبو قرة: فإنه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾؟!

فقال أبو الحسن «عليه السلام»: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى، حيث قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ يقول: ما كذب فؤاده ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾، فآيات الله غير الله.

وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، فإذا رأته الأبصار، فقد أحاط به العلم، ووقعت المعرفة.

فقال أبو قرة: فتكذب بالروايات؟!

فقال أبو الحسن «عليه السلام»: إذا كانت الروايات مكذبة للقرآن كذبتها.

وما أجمع المسلمون عليه: أنه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شيء(١).

---

(١) الكافي ج١ ص٩٥ و ٩٦ والبرهان (ط سنة ١٤٢٩هـ) ج٩ ص١٥٣ و (الطبعة

فقد دلتنا هذه الرواية على العديد من الحقائق والضوابط، التي نذكر منها ما يلي:

١ ـ إن أبا قرة طلب من صفوان: أن يستأذن له على الإمام «عليه السلام»، فلعل ذلك لأجل أن يجد لدى الإمام اهتماماً بشأنه، من حيث أنه من أهل العلم، ورواة الحديث، وليس من طالبي الحاجات، الذين ينصب الاهتمام على تلبية حاجاتهم، ولا من المتطفلين على بيوت الناس.

٢ ـ إنه «عليه السلام» لم يتعامل مع أبي قرة على أساس حسن الظن به من ناحية الاعتقاد بالتنزيه الإلهي عن الجسمية، وعن الجهة، والمكان والحاجة، بل فهم من نفس سؤاله أنه يريد إثبات الرؤية البصرية لله بمعناها المعروف والمتداول بين أهل الحديث في ذلك الزمان..

٣ ـ إنه «عليه السلام» لم يبادره بالتكذيب المباشر، كما أنه لم يورد له استدلالاً حاسماً على الطريقة العقلية التجريدية، المتداولة لدى الفلاسفة والمتكلمين.. بل استدرجه إلى الإعتراف بما يمهد لصدمة وجدانية، من حيث أنه يعترف بما يثبت صدور المتناقضات من رسول الله «صلى الله عليه

الثالثة) المجلد ٤ ص٢٤٨ والتوحيد للصدوق ص١١٠ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص١٧٨ و ١٧٩ وبحار الأنوار ج٤ ص٣٦ وج١٠ ص٣٤٥ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٣٩٥ ومسند الإمام الرضا ج١ ص١٥ ونور البراهين ج١ ص٢٨٣ ـ ٢٨٧ وراجع: الاحتجاج للطبرسي ج٢ ص١٨٦ و ١٨٧.

وآله».

وهذه قاعدة صحيحة ومؤثرة، ولا بد من اعتمادها في الموازنة بين ما يصدر عن الأنبياء والأوصياء، وسائر العقلاء..

بل هو لم يقل له: إن الرؤية مستحيلة،لقوله تعالى: لا تدركه الأبصار، ولقوله: .. إلخ. بل طلب منه أن يعترف أولاً بأن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي بلغ هذه الآيات. فلا يمكن أن يبلغهم ما يناقضها، لأن هذا التناقض يدل على اختلال أساسي في معاييره، وتفكيره، وفي تعقله للأمور، مع أن من المتسالم عليه أنه معصوم عن ذلك، بل العقلاء كلهم معصومون عن مثله.

على أن قبول الناس للمتناقضات أيضاً غير معقول، لأنهم سيرون ذلك إهانة لهم، واستهزاءً بهم، واستخفافاً بعقولهم.

٤ ـ إنه «عليه السلام» قد جسد لمخاطبه مدى خطورة وشناعة وقباحة هذا الاعتقاد، حين أخبره أن الزنادقة قد عجزوا عن رمي الله بهذا، وبذلك يكون قد جعل القضية تعني نفس الشخص الذي أثارها، وتمس توازنه العقلي، وسلامته الفكرية والإيمانية، وصحة اعتقاده..

٥ ـ إنها تدل على حجية السياق القرآني.. وهذه قاعدة أخرى ستكون مفيدة في الكثير من الموارد، حيث إنه «عليه السلام» قد أحال في معرفة المراد على الآية الأخرى الآتية بعد آية الرؤية..

٦ ـ كما أن هذه الرواية تدل على حجية ظواهر القرآن، حيث يزعم بعضهم أن وجود المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ قد أسقط ظواهر

القرآن عن الحجية.

ويزعمون أيضاً: أنه إنما يفهم القرآن من خوطب به، وهم النبي والأئمة «عليهم السلام».

ونحن وإن كنا نسلم بصحة هذه المقولة الأخيرة، ولكننا نقول:

إن المقصود هو: فهم محكمه، ومتشابهه، وحقائقه، ودقائقه، وإشاراته، ولطائفه.

أما ظواهره، فهي مفهومة للناس، وهي حجة عليهم.

٧ ـ ودل الخبر أيضاً على حجية الظواهر للمشافهين والغائبين..

٨ ـ ودل على حجية اللوازم العقلية للخطاب.

٩ ـ والأهم من ذلك كله: دلالته على لزوم عرض الحديث على الكتاب، وأن هذا ليس من فعل الزنادقة كما زعمه بعضهم(١).

وعلى أنه لا صحة لقولهم: السنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاضٍ على السنة(٢).

---

(١) راجع: عون المعبود (الطبعة الحجرية) ج٤ ص٣٢٩ و (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٥هـ) ج١٢ ص٢٣٢.

(٢) راجع: تأويل مختلف الحديث ص١٩٩ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٨٦ والكفاية في علم الرواية ص١٤ و (ط دار الكتاب العربي) ص٣٠ وجامع بيان العلم وفضله ج٢ ص٢٣٤ و ٢٣٣ و (ط دار الكتب العلمية) ج٢ ص١٩١ والجامع لأحكام القرآن ج١ ص٣٨ و ٣٩ والإصابة (ط دار الكتب

١٠ ـ ثم أعطى «عليه السلام» قاعدة لتمييز المحكم من المتشابه، والذي لم يتعرض للنسخ من غيره، وهو إجماع جميع المسلمين على الأخذ والعمل بمضمون الآية، ولذلك قال «عليه السلام»: إن المسلمين قد أجمعوا على الأخذ بمضامين الآيات الثلاثة التي استدل «عليه السلام» بها على أبي قرة، وهي قوله تعالى: ولا يحيطون به علما، وقوله تعالى: لا تدركه الأبصار، وقوله تعالى: ليس كمثله شيء..

آيات سورة البقرة متى نزلت:

وذكر النص المتقدم في الفصل السابق أن آيات آخر سورة البقرة قد نزلت حين المعراج، وهي قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ**﴾.

فقد يقال: كيف يصح ذلك، والحال: أن الإسراء كان في مكة، وسورة البقرة نزلت في المدينة؟!

ويجاب:

أولاً: إن المعراج والإسراء قد حصل مرات كثيرة، وفي بعض

العلمية) ج١ ص٣٥ وسنن الدارمي ج ١ ص ١٤٥ ومقالات الاسلاميين ج٢ ص٣٢٤ وج١ ص٢٥١ وعون المعبود ج١٢ ص٣٥٦ وميزان الاعتدال ج١ ص١٠٧ ولسان الميزان ج١ ص١٩٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج١ ص٢٦ وراجع: المعتصر من المختصر من مشكل الآثار ج٢ ص٢٥١ ونهاية السؤل للأسنوي ج٢ ص ٥٧٩ و ٥٨٠ وبحوث مع أهل السنة والسلفية ص٦٧ و ٦٨ عن بعض ما تقدم.

الروايات: أنها تصل إلى مئة وعشرين مرة[1]، وقد ذكر القرآن مرتين منها:

إحداها: الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، سواء قلنا: إن المقصود به هو بيت المقدس، أو قلنا: إنه مصلى الملائكة في السماء الرابعة.

والثانية: الإسراء الذي بلغ فيه النبي «صلى الله عليه وآله» إلى سدرة المنتهى. وهي المذكورة في سورة النجم..

فمن الذي قال: إنه «عليه السلام» قد قصد في كلامه هنا خصوص الإسراء والمعراج الذي حصل في مكة..

ثانياً: إن نزول سورة البقرة بعد الهجرة إنما هو النزول الآخر، الذي أريد به تبليغها للناس. ولكن قد كان للقرآن نزولات أخرى على قلب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قبل هذا النزول التدريجي.

فلعل هذا الذي أوحاه إلى عبده، لم يكن لأجل تبليغه للناس في تلك الفترة.. بل سيكون له نزول تبليغي ثانٍ أو ثالث بعد الهجرة في ضمن سورة البقرة.

ثالثاً: صرح النص المتقدم في الفصل السابق: بأن هذه الآية كانت قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم وعلى أممهم، فأبوا أن يقبلوها، إلى أن بعث

---

(١) راجع: بصائر الدرجات ص٩٩ والخصال ص٦٠٠ و ٦٠١ وبحار الأنوار ج١٨ ص٣٨٧ وج٢٣ ص٦٩ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص١٤٩ وتأويل الآيات ج١ ص٢٧٥ والإيقاظ من الهجعة ص٣٨٣ وبيت الأحزان ص١٩ والصراط المستقيم ج٢ ص٤٠ والمحتضر ص٤٤ و ٢٤٤ وحلية الأبرار ج١ ص٤٢١.

الله تعالى محمداً «صلى الله عليه وآله» فقبلها وقبلتها أمته..

فلعل المقصود: هو أنها كانت قد عرضت على الأنبياء وأممهم، ثم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلى أمته في عالم الذر، أو في غيره من العوالم، وقبلها النبي «صلى الله عليه وآله» وعرضها على أمته فقبلوها في ذلك العالم.

فلما ولد النبي «صلى الله عليه وآله» وبعث، وكان المعراج، ـ وكان الله يعلم أنهم لا يطيقونها ـ فلما بلغ إلى ساق العرش كرر عليه الكلام إلخ.. وجرى ما جرى..

عرض الآية وعدم القبول:

١ ـ وهنا سؤال يقول: لماذا لم يقبل الأنبياء وأممهم آية: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ**﴾؟!

وقد أجابت الرواية المتقدمة: بأن الذي منعهم من ذلك هو ثقلها عليهم، وصعوبة الوفاء بها، ولا سيما فيما يرتبط بالعقوبة على النوايا الفاسدة وإن لم تقترن بعمل الجوارح.. وقد عاقب الله الأمم السالفة لأجل عدم قبولها ما عرضه عليها، فوضع الله عليها أموراً ثقيلةً أخرى. وبما أن هذه الأمة قد قبلت ذلك، فإنه تعالى رفع عنها تلك الأمور الثقيلة كما رفع عنها نفس هذه الآية رغم قبولها بها، كما سنوضحه.

٢ ـ إن عرض هذه الآية على الأمم السالفة يعطي: أن إلزامهم بها مرهون بقبولهم لها، فلما لم يقبلوها لم يفرضها عليهم..

٣ ـ وفي مقابل ذلك، فإن قبول رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأمته بها وبحمل ثقلها قد جعلهم مستحقين لرفعها عنهم، وأهلاً لتخفيفات في نواحٍ أخرى كانت هي الأخرى ثقيلة عليهم.

وقد حباهم الله تعالى بهذا التخفيف بالفعل.. ولو أن الأمم الأخرى قبلت ما قبلته هذه الأمة لكانت قد فازت بالتخفيف الذي فازت به هذا الأمة، ولكان الله تعالى قد وضعها عنهم أيضاً.

٤ ـ إن الإصر والثقل الذي كان في الأمم السالفة لم يكن إلى حد يمنع من التكليف. لأنه لم يتجاوز حدود الوسع. فلا مجال للسؤال الذي يقول: كيف يحمل الله الناس ما لا يطيقون؟! وهو الذي يقول: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾؟![1].

وقد جاءت هذه الآية المباركة على سبيل ضرب القاعدة، وإعطاء الضابطة، وهي لا تختص بأمة دون أمة، ولا بنبي دون نبي. وسيأتي في هذه الرواية نفسها التي ذكرناها في الفصل السابق أن الله تعالى قال لنبيه: «وذلك حكمي في جميع الأمم أن لا أكلف خلقاً فوق طاقتهم».

المؤاخذة بالخطأ والنسيان:

وبعد، فإن ظاهر النص المتقدم في الفصل السابق: أن الله سبحانه قد رفع عن أمة محمد المؤاخذة بالنسيان والخطأ، وكانت الأمم السالفة يعذبون إذا نسوا ما ذكروا به، ويعاقبون إذا أخطأوا.

---

(١) الآية ٦٢ من سورة المؤمنون.

ونقول:

إن النسيان والخطأ إن كانا ناشئين عن تقصير، بسبب عدم الاكتراث، وعدم الاهتمام بحفظ غرض المولى سبحانه وتعالى، فهما مما يستحق الإنسان العقوبة عليهما، وإن كانا ناشئين عن قصور: بأن يكون النسيان قد فاجأه ووقع في الخطأ بصورة قاهرة، مع شدة تحفظه واهتمامه بالبعد عنه، فهما من النسيان والخطأ الناشئين عن القصور، وعدم وجدان الحيلة والمخرج منه، فهذا مما لا عقوبة عليه..

وهذان الحكمان لا يزالان ثابتين في هذا الأمة كما كانا كذلك في الأمم السالفة.

غير أن من الممكن جداً أن يكون المقصود: هو أن النسيان عن تقصير في الأمم السالفة، كان يستتبع العقاب الفوري والمباشر، كما قال «عليه السلام» في الرواية التي نتحدث عنها: «إذا نسوا ما ذكروا به، فتحت عليهم أبواب العذاب، وقد رفعت عن أمتك». أي أن هذه الأمة لا تعذب بالخطأ والنسيان الناشئين عن التقصير مباشرةً، بل تمهل إلى الآخرة، وتعطى فرصة للتوبة والندم، والإنابة والاستغفار.

أما إذا كان المقصود هو: أن الأمم السابقة كانت تعاقب على مطلق النسيان والخطأ، كان من التكليف بغير المقدور، ومن الظلم الذي يقبح صدوره من العادل الحكيم.

الآصار المرفوعة عن هذه الأمة:

وقلنا: إن الرواية المتقدمة في الفصل السابق أفادت أن الله سبحانه

وتعالى قد كلف الأمم السابقة ببعض الأمور الشديدة ـ لأنها لم تقبل بحمل الآية التي عرضها الله سبحانه عليها، في بعض مراتب وجودها، مما يعني: أنها كانت موجودات عاقلة ومختارة، ويتوجه إليها التكليف الإلهي في كل مرتبة بما يناسبها.

ولعصيان وطاعة هذا التكليف وقبوله ورفضه آثار وتبعات، ربما تظهر في المراحل الوجودية اللاحقة..

والآصار التي حملتها تلك الأمم هي مجرد تشديدات في بعض التكاليف لا تصل إلى حد الحرج، وتبقى في دائرة الطاقة والقدرة، مثل تحديد أمكنة لهم لأداء صلواتهم، وحمل قرابينهم إلى بلد بعيد، وفرض الصلاة عليهم في ظلم الليل وأنصاف النهار، ونحو ذلك.

قرض النجاسات:

قد يتوهم البعض: أن قرض النجاسات عن البدن تكليف حرجي، بل هو تكليف بغير المقدور في بعض مفرداته.

غير أننا نقول:

إننا نلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يقل: إنه كلفهم بقرض أجسادهم التي لامست النجاسة، بل نسب القرض إلى النجاسة نفسها[1]، وقرض

(١) راجع الرواية المتقدمة، وراجع أيضاً: إرشاد القلوب ج٢ ص٢٢٢ وبحار الأنوار ج٧٧ ص١٠ و ١٥٠ وج١٦ ص٣٤٦ والاحتجاج ج١ ص٣٢٨ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٣٠٦ وتفسير كنز الدقائق ج١ ص٦٩٦.

النجاسة يتحقق بإزالتها بحك قوي، بخزف أو حجر أونحوه، بحيث لا يبقى لها أثر، ولا يكفي الغسل بالماء..

ولو كان المراد: قرض الأجساد لم يمكن تحقق ذلك، فإن التبول والتغوط، والجماع يحمل معه ملامسة النجاسة لأجزاء حساسة وأساسية، ولا يمكن قرضها، فكيف إذا كان المطلوب هو قرضها كلما لا مستها النجاسة، فإن ذلك من الجسم. يضاف إلى ذلك: أن قرض الأجساد يستدعي إدماء الجسد، فإذا زالت النجاسة بالقرض ابتلي بنجاسة أخرى بالدم، إلا إذا قيل: إن الدم لم يكن محكوماً بالنجاسة في شرعهم. قد يودي بحياة أكثر الناس.. أو يدخلهم في دائرة العصاة، الذين يستحقون نزول العقوبة بهم. فكيف إذا كانت العقوبة دنيوية ومباشرة، ومن دون إمهال؟!

فالتعبير بالقرض لعله لأجل إظهار إلزامهم بالمبالغة في حكها لإزالتها، ولو لزم من ذلك بعض المشقة..

حمل القربان إلى بيت المقدس:

أما الإلزام بحمل القربان إلى بيت المقدس، فلعله كان لبعض الأمم دون بعض، ولعلهم بنو إسرائيل..

ليظهره على الدين كله:

وفي النص المتقدم في الفصل السابق وعد إلهي للنبي «صلى الله عليه وآله»: «بأن لا يبقى في شرق الأرض وغربها دين إلا دينك، أو يؤدون إلى أهل دينك الجزية».

والروايات التي فسرت قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، قد ذكرت: أن المقصود بهذه الآية: هو يوم خروج القائم «عليه السلام»، حيث لا يبقى كافر بالله، ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه، حتى لو كان كافر أو مشرك في بطن صخرة قالت: يا مؤمن، في بطني كافر، فاكسرني واقتله(١).

وفي روايات أخرى: لا يبقى كافر إلا أقر بمحمد، أو نحو ذلك(٢).

وفسرت الآية: بأن ذلك يكون في الرجعة(٣).

---

(١) البرهان (ط سنة ١٤٢٩هـ) ج٤ ص٢٦٣ وج٩ ص٢٨٩ وتفسير فرات الكوفي ص٤٨١ و ٤٨٢ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢١١ وكمال الدين وتمام النعمة ص٦٧٠ وينابيع المودة ص٤٢٣ و (ط دار الأسوة) ج٣ ص٢٤٠ وتأويل الآيات ج٢ ص٦٨٨ و ٦٨٩ وبحار الأنوار ج٥٢ ص٣٢٤ وج٥١ ص٦٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٥٦ وربما يقال: إن هذه الروايات تشير إلى ما أصبح من شؤون الحرب، فيما يرتبط ببناء الإستحكامات، والاستفادة من الكهوف الصخرية لحفظ المقاتلين.

(٢) البرهان (ط سنة ١٤٢٩هـ) ج٤ ص٢٦٣ وج٩ ص٢٩٠ و ٧٥ وتفسير القمي ج٢ ص٣٦٥ وتفسير العياشي ج٢ ص٨٧ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢١٢ ومختصر بصائر الدرجات ص١٧ ومجمع البيان ج٥ ص٣٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٥ ص٤٥ وبحار الأنوار ج٥٢ ص٣٤٦ . وراجع: الاحتجاج ج٢ ص١١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢١ وج٥٢ ص٢٨٠.

(٣) البرهان (ط سنة ١٤٢٩هـ) ج٤ ص٢٦٣ وج٩ ص٢٩٠ وتفسير العياشي ج٢

وعلى هذا فلا مجال لأخذ الجزية من الكفار في ذلك الزمان.. فانحصر مفاد هذا الوعد الإلهي في الفترة التي تمتد من وقت نزول الآية إلى حين ظهور الإمام الحجة «عليه السلام»، فإن لم يكن ذلك قد حصل في السابق، فلا شيء يمنع من تحققه في اللاحق.

في الطائف دس السم للنبي صلى الله عليه وآله:

وذكر النص المتقدم: أنه لما نزل «صلى الله عليه وآله» بالطائف بعثوا إليه بشاة مشوية مطلية بسم، فكلمه الذراع وأخبره بذلك.

والمعروف: أن ذلك كان في خيبر.

ونقول:

لعل ذلك قد حصل أكثر من مرة.

هذا.. ولا بد أن يكونوا قد تلطفوا بإيصال الشاة إليه «صلى الله عليه وآله»، بحيث لا يفطن أحد إلى أنها قد أتت من قبلهم. وإلا، فإن من الواضح: أنه «صلى الله عليه وآله» سوف لن يأكل من شاة مطبوخة يرسلها إليه أعداؤه الذين يحاصرهم، فضلاً عن أنه كان لا يقبل هدية المشرك.

يضاف إلى ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يأكل من ذبيحة

ص٨٧ ومختصر بصائر الدرجات ص١٧ وبحار الأنوار ج٥٢ ص٣٤٦ وج٥٣ ص٣٤ و ٦٤ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٨٤ والإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي ص٢٧١.

المشركين، إذ لا بد من إسلام الذابح، ومن ذكر اسم الله تعالى على الذبيحة حال الذبح، فضلاً عن توجيه الذبيحة إلى القبلة، وفري الأوداج، وغير ذلك.

متى قطعت يد ابن عتيك:

وذكر النص المتقدم: أن عبد الله بن عتيك قد قطعت يده يوم حنين، وهذه هي نسخة الاحتجاج الموجودة بين أيدينا.. ولكن فيه: عبد الله بن عبيد، بدل عتيك(١).

والصحيح: هو نسخة المجلسي، ففيه: عبد الله بن عتيك، وكما أنه قد نقل عنها هكذا: «وبانت يده يوم ابن أبي الحقيق»(٢).

الشهداء وحقوق الناس:

وقد دلت الرواية المتقدمة في الفصل السابق على أن أحد الشهداء كان محتبساً على باب الجنة بثلاثة دراهم ليهودي..

وذلك يعني:

١ ـ أن الشهادة على عظمتها عند الله لا تذهب بحقوق الناس..

٢ ـ إن الحقوق المالية محفوظة لأهلها، حتى لو كانوا من أهل الكتاب، وحتى اليهود الذين هم والمشركون أشد الناس عداوة للذين آمنوا.

٣ ـ إن رحمة الله تعالى واسعة، ولكنه يريد أن يأخذ الحق لصاحبه من

---

(١) راجع: الإحتجاج ج١ ص٥٣١ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣٣٣.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج١٧ ص٢٩٤.

نفس الشخص المدين له، حتى لو كان شهيداً، وإن كان ما أعده الله تعالى من ثواب لأجل شهادة الشهيد هو من الكثرة بحيث لا يؤثر إعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم نقص النعيم الذي أعده الله تعالى له..

٤ ـ بما أنه لا نصيب للكفار من ثواب الآخرة، بل لهم فيها الخزي والعذاب. فإن أمكن تعويضهم عن حقوقهم بما يماثلها في الدنيا، فذاك هو المطلوب.. وإن لم يمكن ذلك بسبب عدم وجود مال للشهيد، وعدم وجود متبرع عنه، أو بسبب عدم الاطلاع على مديونيته لغيره، فإن الله تعالى هو الذي يتولى تعويض ذلك اليهودي عن حقه بنعم دنيوية، كشفاء مرض، أو إعطاء جاه، أو تيسير وجه من وجوه الكسب له، أو ما إلى ذلك..

الفصل السادس:

حوار.. وعلامات استفهام..

لا تصيب أحداً أعلم منا:

حدثنا علي بن أحمد بن محمد رضي الله عنه قال حدثنا محمد بن يعقوب عن علي بن محمد بإسناده رفعه قال:

أتى علي بن أبي طالب «عليه السلام» يهودي، فقال يا أمير المؤمنين: إني أسألك عن أشياء إن أنت أخبرتني بها أسلمت.

قال علي «عليه السلام» سلني يا يهودي عما بدا لك، فإنك لا تصيب أحداً أعلم منا أهل البيت.

فقال له اليهودي أخبرني عن قرار هذه الأرض على ما هو.

وعن شبه الولد أعمامه وأخواله.

وعن أي النطفتين يكون الشعر، والدم، واللحم، والعظم، والعصب.

ولم سميت السماء سماء، ولم سميت الدنيا دنيا، ولم سميت الآخرة آخرة، ولم سمي آدم آدم، ولم سميت حواء حواء، ولم سمي الدرهم درهماً، ولم سمي الدينار ديناراً.

ولم قيل للفرس: أجد، ولم قيل للبغل: عد، ولم قيل للحمار: حر؟!

فقال «عليه السلام»: أما قرار هذه الأرض لا[1] يكون إلا على عاتق ملك، وقدما ذلك الملك على صخرة، والصخرة على قرن ثور، والثور قوائمه على ظهر الحوت في اليم الأسفل، واليم على الظلمة، والظلمة على العقيم، والعقيم على الثرى، وما يعلم تحت الثرى إلا الله عز وجل.

وأما شبه الولد وأعمامه وأخواله.

فإذا سبق نطفة الرجل نطفة المرأة إلى الرحم خرج شبه الولد إلى أعمامه.

ومن نطفة الرجل يكون العظم والعصب.

وإذا سبق المرأة نطفة الرجل إلى الرحم خرج شبه الولد إلى أخواله.

ومن نطفتها يكون الشعر، والجلد، واللحم، لأنها صفراء رقيقة.

وسميت السماء سماء، لأنها وسم الماء، يعني معدن الماء.

وإنما سميت الدنيا دنيا، لأنها أدنى من كل شيء.

وسميت الآخرة آخرة، لأن فيها الجزاء والثواب.

وسمي آدم آدم، لأنه خلق من أديم الأرض، وذلك أن الله تعالى بعث جبرائيل «عليه السلام» وأمره أن يأتيه من أديم الأرض بأربع طينات: طينة بيضاء وطينة حمراء، وطينة غبراء، وطينة سوداء. وذلك من سهلها وحزنها.

ثم أمره أن يأتيه بأربع مياه: ماء عذب، وماء ملح، وماء مر، وماء منتن.

---

(١) كذا. والصحيح: فلا.

ثم أمره أن يفرغ الماء في الطين، وأدمه الله بيده، فلم يفضل شيء من الطين يحتاج إلى الماء، ولا من الماء شيء يحتاج إلى الطين.

فجعل الماء العذب في حلقه، وجعل الماء المالح في عينيه، وجعل الماء المر في أذنيه، وجعل الماء المنتن في أنفه.

وإنما سميت حواء حواء، لأنها خلقت من الحيوان.

وإنما قيل للفرس: أجد، لأن أول من ركب الخيل قابيل يوم قتل أخاه قابيل، وأنشأ يقول:

أجد اليوم وما   ترك الناس دماً

فقيل للفرس: أجد لذلك.

وإنما قيل للبغل: عد، لأن أول من ركب البغل آدم «عليه السلام»، وذلك لأنه كان له ابن يقال معد، وكان عشوقاً للدواب، وكان يسوق بآدم «عليه السلام»، فإذا تقاعس البغل نادى: يا معد، سقها. فألفت البغلة اسم معد، فترك الناس «ميم» معد، وقالوا: عد.

وإنما قيل للحمار: حر، لأن أول من ركب الحمار حواء، وذلك أنه كان لها حمارة، وكانت تركبها لزيارة قبر ولدها هابيل، فكانت تقول في مسيرها: وا حراه فإذا قالت الكلمات سارت الحمارة، وإذا سكتت تقاعست. فترك الناس ذلك وقالوا حر.

وإنما سمي الدرهم درهماً، لأنه دار همٍّ من جمعه ولم ينفقه في طاعة الله أورثه النار.

وإنما سمي الدينار ديناراً، لأنه دار النار، من جمعه ولم ينفقه في طاعة الله

فأورثه النار.

فقال اليهودي: صدقت يا أمير المؤمنين، إنا لنجد جميع ما وصفت في التوراة.

فأسلم على يده، ولازمه حتى قتل يوم صفين(١).

ونقول:

علينا أن نتوقف عند الأمور التالية:

تعهدات اليهودي:

قد تعهد اليهودي لأمير المؤمنين «عليه السلام»: بأن يسلم إذا أجابه الإمام «عليه السلام» على أسئلته، فدلنا بذلك:

١ ـ على أن ذلك اليهودي باحث عن الحقيقة، وأنه صادق مع نفسه، ولم يكن بصدد إثارة الشبهة، أو التعنت طلباً للدنيا..

٢ ـ إن هذا التعهد يشير إلى أن من المعايير التي كان يعتمد عليها الناس في معرفة الحق هو ظهور علم الإمامة والنبوة، أو خصوصياتها المميزة لها عن كل ما عداها.

وقد يتم تلمُّس ذلك من خلال الكشف عن أسرارٍ معرفية لا يعرفها

(١) علل الشرايع (ط سنة١٤٢١هـ ق) ج١ ص١١ ـ ١٢ و (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٨٥هـ) ج١ ص٢ و ٣ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٢ ـ ١٤ وج١١ ص٢٣٥ وراجع: بحار الأنوار ج٧٥ ص٩٣.

إلا الذين لهم صفة النبوة أو الإمامة.

وقد يستعينون على التعرف عليهم بتعمد السؤال عما يحتاج كشفه إلى الاستفادة من عالم الغيب المحجوب عن سائر الناس. ولو بالدفع إلى الكشف عن نوايا السائلين وتوقعاتهم التي كانت تكمن وراء تلك الأسئلة، فإذا استطاعت تلك الأجوبة أن تفي بذلك، عرفوا أن لا مناص لهم من البخوع والتسليم..

وقد لامست أسئلة اليهودي هنا الغيب، الذي لا يُعلِمه الله تعالى إلا لنبي أو لوصي نبي..

لا تصيب أحداً أعلم منا أهل البيت:

وعن قوله «عليه السلام» لذلك اليهودي: لا تصيب أحداً أعلم منا أهل البيت، نقول:

١ ـ إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قبل أن يطرح اليهودي عليه أسئلة قد بادر للإعلان عن أنه لا يوجد أحد أعلم من أهل البيت، ولا بد أن تفهم هذه المبادرة على أنها إدانة للغاصبين لمقامه، كما أنها تحذير لذلك اليهودي ولغيره من التأثر بدعوى أولئك الناس، مهما كانت عريضة، وقوية، ومحمية بهيبة السلطان وبسيف نقمته، وحراب بطشه، فإن ذلك كله لا يغني من الحق شيئاً.. وهذا يمثل تحدياً قوياً لكل من يدعي لنفسه مقاماً علمياً، أياً كانت نحلته ومذهبه.

٢ ـ كما أن إطلاق هذه الدعوى لا يمكن إلا أن يكون عن بصيرة، وخبرة بواقع الناس كلهم، من قرب منهم وبعد.. وهذا بحد ذاته يفسح

المجال لاختبار واقعية هذا الأمر ميدانياً، وبصورة عملية.. ليصبح معنى الإمامة مرهوناً بنتائج ذلك الاختبار، ودائراً مدارها..

٣ ـ إن أسئلة اليهود والنصارى لا بد أن ينظر إليها الباحث من جهتين:

الأولى: تلك الأسئلة التي كان يحملها علماء النصارى الصادقون في بحثهم عن الحق، فكانوا يسألون عن أمور يجدونها في كتبهم، أو عن أسرار وصلت إليهم يداً بيد، من أهل الأسرار منهم، وتصدي الأئمة «عليهم السلام» للإجابة عنهما، من دون أي تحفظ يشير إلى توافق الأديان السماويةً في بياناتها للحقائق.. بالرغم من تفاوت العصور، وامتداد الزمان، وتفاوت المستويات والخلفيات الثقافية في المجتمعات التي نشأت فيها. وهذا يدل على أن الأديان كلها إنما تخرج من مشكاة واحدة..

الثانية: تلك الأسئلة عن أمور مشوهة أو مكذوبة، فكان الأئمة «عليهم السلام» يسجلون عليها تحفظات قوية. ثم يصرحون بكذبها، ويقررون «عليهم السلام» بأن الحق خلافها.

الثالثة: هناك موارد أجاب عنها الأئمة، وأخبروهم عن الأجوبة التي يضمرونها، أو التي يطلبونها، رغم علم الأئمة «عليهم السلام» بأنها أجوبة خاطئة، وأنها جاءت نتيجة للتزوير، فقد كان المطلوب في هذه الموارد نفس كشف الأئمة عما يدور في خلد أولئك السائلين، حتى لو كان باطلاً أو مزوراً.

الوسم معدن الشيء:

ذكرت الرواية المتقدمة: أن السماء سميت سماء، لأنها وسم الماء. يعني: معدن الماء.

الأرض.. والثور والصخرة:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن ملكاً يحمل الأرض، وقدماه على صخرة، وهي على قرن ثور إلخ..

ونقول:

علينا أن نفهم هذا الأمر وفق ما يلي:

المدبرات أمراً:

إننا لا ننكر أن يكون الله تعالى قد أوكل للملائكة القيام بمهمات تدبيرية في كثير من شؤون هذا العالم، فهناك: ملك الرياح، وملك القطر.

ومنهم أيضاً: المدبرات أمراً، وهم: ملك الموت، وجبرائيل وميكائيل، وإسرافيل(١).

والكلام في تفاصيل ذلك، وموارده، وذكر رواياته يطول وليس محله

---

(١) عيون أخبار الرضا ج١ ص٥ و ٦ وبحار الأنوار ج٦٥ ص١٨ والبرهان ج٨ ص٢٠٥ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢٥٤ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٤٩٨ وراجع: الدر المنثور ج٦ ص٣١١ وتفسير ابن أبي حاتم ج١٠ ص٣٣٩٧ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٤٩٠.

هنا، فلا حاجة إلى الإفاضة فيه..

الحديث عند غير الشيعة:

إن هذا المعنى مروي بكثرةٍ عن مسلمة أهل الكتاب، ومن كان يأخذ عنهم، أو يحتمل في حقه ذلك.. فراجع:

ألف: ما رواه السيوطي في الدر المنثور بعدة طرق عن ابن عباس، وابن مسعود، وناس من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»(١).

وراجع ما قاله المسعودي، وابن الأثير، والرازي(٢).

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»: «وسائر كلام المؤرخين جار هذا المجرى. ولا جدوى في إيرادها»(٣).

(١) الدر المنثور ج١ ص٤٣ وبحار الأنوار ج٥٤ ص٢٠٤ و ٢٠٥ والجامع لأحكام القرآن ج١ ص٢٥٦ وفتح القدير ج١ ص٦١ وجامع البيان ج١ ص٢٧٩ وتفسير ابن أبي حاتم ج١ ص٧٤ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٧١ وتاريخ الأمم والملوك ج١ ص٣٥ والكامل في التاريخ ج١ ص١٩ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج١ ص١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص١١٨.
(٢) بحار الأنوار ج٥٤ ص٣١٢ و ٣١٥ وج٥٧ ص٧٠ عن مروج الذهب ج١ ص١٥ ـ ١٧ والكامل لابن الأثير ج١ ص١٦ والتفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ج٢٢ ص٨.
(٣) بحار الأنوار ج٥٤ ص٣١٥.

ب: وروي أيضاً ما يدخل في هذا السياق عن: ابن جريح [١]، وعن ابن عمر[٢]، وعن كعب الأحبار[٣]، وأبي مالك[٤]، وعن ابن عباس[٥].

ج: ما عن كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وابن عباس على ما في رواية أبي الحسن البكري عنهم[٦].

وهناك رواية أخرى للبكري، قال: إنها عن أمير المؤمنين «عليه السلام»[٧].

(١) الدر المنثور ج٦ ص٢٣٨ وبحار الأنوار ج٥٧ ص٩١.

(٢) الدر المنثور ج٦ ص٢٣٨ وبحار الأنوار ج٥٧ ص٩٢ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٥٩٤ والتخويف من النار لابن رجب الحنبلي ص١٣٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٦ ص١٥٧ وتفسير ابن أبي حاتم ج١٠ ص٣٣٦١ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٥٠.

(٣) الدر المنثور ج٦ ص٢٣٩ وبحار الأنوار ج٥٧ ص٩٣.

(٤) الدر المنثور ج٦ ص٢٣٩ وبحار الأنوار ج٥٧ ص٩٣.

(٥) الدر المنثور ج٦ ص٢٥٠ وبحار الأنوار ج٥٧ ص٩٣ و ١٢٧ ورجع: المستدرك للحاكم ج٢ ص٤٩٨ وجامع البيان ج٢٩ ص١٨ وفتح القدير ج٥ ص٢٦٩ وتاريخ الأمم والملوك ج١ ص٣٤.

(٦) بحار الأنوار ج١٥ ص٣٠ عن كتاب الأنوار لأبي الحسن البكري.

(٧) بحار الأنوار ج٥٤ ص٢٠١ و ٢٠٢ عن كتاب الأنوار لأبي الحسن البكري.

من هو أبو حسن البكري؟!:

ذكر العلامة المجلسي «رحمه الله»: أن المقصود بالبكري أستاذ الشهيد الثاني.

وذكر الشيخ عبد الرحيم الرباني ـ المعلق على كتاب البحار ـ ما ملخصه: أن البكري رجلان:

أحدهما: علي بن جلال الدين بن محمد البكري الصديق الشامي، المتوفى بالقاهرة سنة ٩٥٢ هـ. المترجم في شذرات الذهب، ولعله هو أستاذ الشهيد الثاني.

الثاني: أحمد بن عبد الله(١). أو أحمد بن عبد الله بن محمد(٢).

وقد ترجم ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ. أبا الحسن البكري هذا وقال: كان أشعري المذهب(٣).

وترجمه ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، وعد من كتبه: ضياء الأنوار.

فإذا كان من مشايخ الشهيد الثاني المتوفى سنة ٩٦٦ هـ. فكيف يمكن أن يكون سابقاً على ابن حجر العسقلاني، وابن تيمية؟!

---

(١) كما في رياض العلماء، وكشف الظنون.

(٢) كما في لسان الميزان.

(٣) منهاج السنة.

ووصف السمهودي سيرة البكري: بأنها البطلان والكذب[١].[٢].

هذا الحديث في روايات الشيعة:

وقد روي هذا المعنى في مصادر الشيعة الإمامية مرسلاً ومسنداً عن الإمام الصادق «عليه السلام»[٣].

وذكر ذلك أيضاً في دعاء مروي مرسلاً عن النبي «صلى الله عليه وآله»[٤].

وذكر الكيدري خبراً تضمن هذه المعاني، وفيه إضافات وزيادات، ولكنه لم يذكر إن كان يروي ذلك عن المعصوم، أو عن غيره[٥].

---

(١) وفاء الوفاء ص٨٨٨.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج١٥ ص٢٦ هامش. وأرجع إلى الذريعة ج٢ ص٤٠٩ و ٤١٠ وإلى أعيان الشيعة ج٩ ص٣٣ ـ ٣٧.

(٣) الاحتجاج ج٢ ص٢٤٩ و ٢٥٠ و (ط دار النعمان) ج٢ ص١٠٠ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٨٨ وج٥٧ ص٧٨ و ٥٩ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٣٠وج٨٨ ص١٤٨ و ١٤٩ وعلل الشرايع ج٢ ص٢٤١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٥٥٤ و ٥٥٥ عن أحدهما، ومن لا يحضره الفقيه ص١٤١ و ١٤٢ و (ط جماعة المدرسين) ج١ ص٥٤٢ و ٥٤٣ والكافي ج٨ ص٢٥٥.

(٤) البلد الأمين ص٤١١ وبحار الأنوار ج٩٠ ص٢٥٦ و ٢٥٧.

(٥) بحار الأنوار ج٥٤ ص٢٩.

وفي التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري نسب هذه المعاني إلى أمير المؤمنين أيضاً[١].

ووردت هذه المعاني في الرواية التي تحكي ما قاله النبي «صلى الله عليه وآله» لزينب العطارة[٢].

هل الأرض ثابتة:

وما ذكر عن استقرار الأرض على عاتق ملك، وصخرة، وقرن ثور، وحوت و.. و.. يشير إلى ثبات الأرض، وعدم تحركها، مع أن من الثابت أن للأرض تحركات إحداها حول نفسها، والأخرى حول الشمس. وثالثة في ضمن المنظومة الشمسية، في سباحتها في بعض الاتجاهات، وفقاً لما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ**

---

(١) بحار الأنوار ج٥٤ ص٨٧ و ٨٨ والتفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري ص١٤٤ و ١٤٥.

(٢) التوحيد ص١٩٩ و (ط جماعة المدرسين) ص٢٧٥ ـ ٢٧٧ والكافي ج٨ ص١٥٣ وبحار الأنوار ج٥٧ ص٨٣ ـ ٨٥ ونور البراهين ج٢ ص٩٤ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٣٦٤.

(٣) الآية ٣٣ من سورة الأنبياء.

﴿يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1].

وهذا المسير للمنظومة الشمسية يعطي أن العالم في اتساع مستمر، كما أشير إليه في قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[2] والأيد هو القوة.

وهذه الحقيقة هي التي يقول العلماء أنهم اكتشفوها في أواخر القرن العشرين.

كروية الأرض في كلام علي عليه السلام:

ومن المعلوم: أن الأرض كروية تسبح في الفضاء تدور بأكثر من حركة ضمن نظام دقيق. وقد أثبت العلماء هذه الحقيقة بالأدلة والشواهد.

لو كانت الأرض مستقرة على حوت، أو قرن ثور، أو نحو ذلك لما كانت متحركة، لا حول نفسها، ولا حول غيرها..

وذكر المجلسي «رحمه الله» بعض استدلالاتهم وشواهدهم على ذلك، مثل: أن من يسير في البحر يكون أول ما يظهر له رؤوس الجبال الشامخة.

كما أن ظل الأرض على القمر حال الكسوف وحال تبدل أشكاله منذ أن كان هلالاً يشير إلى كرويتها.

وشواهد كثيرة أخرى، فراجع[3].

---

(١) الآيات ٣٨ ـ ٤٠ من سورة يس.

(٢) الآية ٤٧ من سورة الذاريات.

(٣) راجع: بحار الأنوار ج٥٧ ص٩٥ فما بعدها، وراجع ص١٠٤ فما بعدها أيضاً.

وقد وجدنا إشارات، بل تصريحات بهذا الأمر في كلام المعصومين «عليهم السلام»، مثل:

١ ـ ما ورد في خطبة لأمير المؤمنين «عليه السلام»: «..وأنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأود والإعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج، أرسى أوتادها، وضرب أسدادها..»[1].

قوله: من غير اشتغال: أي لم يشغله إمساكها عن غيرها. أو أن إمساكها لا يعني أنه على سبيل الاشتغال بها، بل بمجرد إرادته لذلك يوجد المراد.

وقوله: من غير قرار: أي لم يكن هناك شيء تستقر عليه. والدعامة ـ بكسر الدال ـ عماد البيت الذي يقوم عليه..

والتهافت: التساقط قطعة قطعة.

المنع من الانفراج، لأجل التجاذب المقتضي لعدم انتشار الأجزاء.

والأسداد: جمع السد ـ بالضم والفتح ـ وهو الجبل، أو الحاجز بين الشيئين. وضرب الأسداد: إيجادها وإقامتها ونصبها.

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٢٣ وبحار الأنوار ج٥٤ ص٣٠ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٢ ص١٧٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٨٧ ونهج الإيمان ص٣٥٧ وأعلام الدين في صفات المؤمنين للديلمي ص٦٠.

٢ ـ عن صالح اللفائفي، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: «إن الله عز وجل دحا الأرض من تحت الكعبة إلى منى، ثم دحاها من منى إلى عرفات، ثم دحاها من عرفات إلى منى، فالأرض من عرفات، وعرفات من منى، ومنى من الكعبة»(١).

قال المجلسي «رحمه الله»: «أي دحا السطح الظاهر من الأرض من عرفات إلى منتهاها، ثم ردها من تحت الأرض لحصول الكروية إلى منى. ولم يذكر «عليه السلام» كيفية إتمامه ولظهوره.

أو المعنى: إنه ردها من جهة التحت إلى الجانب الآخر، ثم إلى الكعبة، ثم تمم أطراف الكرة من جهة الفوق إلى منى ليتم كلها(٢).

٣ ـ ومما يدل على عدم استقرار الأرض على قرن ثور، أو حوت، أو غير ذلك، أو كونها سابحة في الفضاء ما رواه الإمام الصادق «عليه السلام» عن آبائه عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله»: علمه دعاء جاء فيه: «نور السماوات والأرضين، وفاطرهما، ومبتدعهما، بغير عمد خلقهما، فاستقرت الأرضون بأوتادها فوق الماء»(٣).

---

(١) الكافي ج٤ ص١٨٩ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٤١ وبحار الأنوار ج٥٤ ص٢٠٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٢ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٥٠٢.

(٢) بحار الأنوار ج٥٤ ص٢٠٣.

(٣) مهج الدعوات ص١٥٢ فما بعدها، وبحار الأنوار ج٨٣ ص٣٣٢ وج٥٤ ص٣٧ عنه.

وورد في دعاء وداع شهر رمضان: «وبسط الأرض على الهواء بغير أركان»(١).

وروى أيضاً عن علي وعن الصادق «عليهما السلام»: بسط الأرض على الهواء بغير أركان(٢).

٤ ـ لو كانت الأرض محمولة، على قرن ثور أو حوت، فلماذا يحصل لها الميدان، والتحرك في الفضاء جيئة وذهاباً؟!

ولماذا تحتاج إلى الجبال لتكون أوتاداً لها؟!

قال تعالى: ﴿**وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**﴾(٣).

وقال: ﴿**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**﴾(٤).

وفي آية أخرى ﴿**أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ**﴾(٥).

وروي عنه «عليه السلام»: «ووتد بالصخور ميدان أرضه»(٦).

---

(١) إقبال الأعمال ج١ ص٤٣٦ وبحار الأنوار ج٥٤ ص١٧٣ و ١٧٤ ج٩٥ ص١٨١ عنه، ومستدرك سفينة البحار ج١ ص١١٠ وج١٠ ص٥٧٣.

(٢) الدروع الواقية ص٩٢ و ١٨٣ وبحار الأنوار ج٩٤ ص ١٤٢ و ١٩٢ عنه.

(٣) الآية ٧ من سورة النبأ.

(٤) من الآية ١٥ من سورة النحل، والآية ١٠ من سورة لقمان.

(٥) من الآية ٣١ من سورة الأنبياء.

(٦) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص١٤ والاحتجاج ج١ ص٢٩٥ وبحار الأنوار ج٤ ص٢٤٧ وج٥٤ ص١٧٦ وج٧٤ ص٣٠٠ وج٨٣ ص١٠٦

وفي نص آخر: فخلق الجبال، فأثبتها على ظهرها أوتاداً من أن تميد بها عليها، فذلت الأرض[(١)].

وعن ابن عباس «فدحا الأرض من تحتها، فمادت ثم مادت، فأوتدها الله بالجبال»[(٢)].

٥ ـ بل إن نفس روايات استقرار الأرض على الحوت تدل على أن الأرض سابحة في الفضاء، فراجع ما رواه في الاحتجاج عن الإمام الصادق «عليه السلام»، من أن الأرض على الحوت، والأرض في الماء، والماء في صخرة مجوفة، والصخرة على عاتق ملك، والملك على الثرى، والثرى على الريح، والريح على الهواء، والهواء تمسكه القدرة[(٣)].

وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٥٧ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٤٩٢ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص١١٧ وج٣ ص٨٨ ومطالب السؤول ص١٥٤ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٩ ص٤١٥ وعن عيون الحكمة.

(١) الكافي ج٨ ص١٤٩ وبحار الأنوار ج١ ص١٢٣ ج٥٤ ص٩٩ وج٥٧ ص١٩٨ وتحف العقول ص٢٤ والفصول المهمة للحر العاملي ج٣ ص٢٧١ والخصال ص٥٨ و (ط جماعة المدرسين) ص٤٤٢ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٤٣.

(٢) الدر المنثور ج١ ص١٢٨ وبحار الأنوار ج٥٤ ص٢٠٧ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص١٤١.

(٣) الاحتجاج ج٢ ص١٠٠ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٨٨ وج٥٧ ص٧٨ وراجع: تفسير علي بن إبراهيم ص٤١٨ والكافي ج٨ ص٨٩.

ويدل عليه أيضاً: حديث آخر يذكر جواب النبي «صلى الله عليه وآله» لزينب العطارة[1].

اختلاف الروايات:

على أن المقارنة بين الروايات تعطي: أن ثمة اختلافات حادة فيما بينها، ولولا أن المقام يطول بذلك، لأوردنا طرفاً منها، وبإمكان القارئ الكريم أن يجمعها من مصادرها، ويقارن بينها.

كما أن هذه الروايات لم تحظ بأسانيد معتبرة تفرض الأخذ بها، بل جاءت على متوافقة مع ما يشيعه أهل الكتاب، الذين شارك بعضهم، أو فقل بعض مسلميهم أهل الكتاب في روايتها، ونشرها بين المسلمين بالفعل. ولعل بعض الصحابة ومن جاء بعدهم قد أخذ ذلك عنهم.

ومهما يكن أمر، فإنه لا ملزم للأخذ بمضمون هذه الأخبار.

وإن احتمل صدور شيء منها عن المعصوم، فلا بد من رد علمه إليهم. إن لم يمكن حملها على الاستعارة التمثيلية، والمجاز.. فإن المجاز في القرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[2].

وقوله: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾[3].

---

(١) تقدمت مصادره.

(٢) الآية ١٠ من سورة الفتح.

(٣) الآية ٦٤ من سورة المائدة.

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[١]. وغير ذلك.

أول من ركب البغل:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن أول من ركب الخيل هو قابيل بعد قتله أخاه هابيل.

ولكن ثمة روايات أخرى تخالف ذلك، مثل:

١ ـ ما رواه محمد بن الحسن بن الوليد، عن الصفار، عن العباس بن معروف، عن محمد بن سنان، عن طلحة بن زيد، عن عبدوس، عن الإمام الرضا «عليه السلام»: «أول من ركب الخيل إسماعيل، وكانت وحشية لا تركب، فحشرها الله عز وجل على إسماعيل من جبل منى.

وإنما سميت الخيل العراب، لأن أول من ركبها إسماعيل»[٢].

قال المجلسي «رحمه الله»:

«قوله: وإنما سميت الخيل: أي نفائسها وعربيها.

قوله: لأن أول من ركبها إسماعيل: فإنه كان أصل العرب، وأباهم،

---

(١) الآية ٥ من سورة طه.

(٢) علل الشرايع ج٢ ص٧٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٩٣ وبحار الأنوار ج١٢ ص١٠٧ وج٦١ ص١٥٣ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢٤٤ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٤٢ وقصص الأنبياء للجزائري ص١٤٦.

فنسب الخيل إلى العرب»[(١)].

٢ ـ روى الكليني عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن غير واحد، عن أبان، عن زرارة، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: «إن الخيل كانت وحوشاً في بلاد العرب، فصعد إبراهيم وإسماعيل «عليهما السلام» على جبل جياد، ثم صاحا: ألا هلا ألا هلم.

قال: فما بقي فرس إلا أعطاهما بيده، وأمكن من ناصيته»[(٢)].

٣ ـ وفي حديث آخر عن محمد بن مسلم: «أن أول من ركب الخيل إسماعيل»[(٣)].

٤ ـ عن عبد الله بن الحسن، عن جده علي بن جعفر، عن أخيه موسى «عليه السلام» قال: «سألته عن جياد: لم سمي جياداً؟!

قال: لأن الخيل كانت وحوشاً، فاحتاج إليها إبراهيم وإسماعيل، فدعا

---

(١) بحار الأنوار ج٦١ ص١٥٣.

(٢) المحاسن للبرقي ج٢ ص٦٣٠ والكافي ج٥ ص٤٧ وبحار الأنوار ج٦١ ص١٥٥ وج١٢ ص١١٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١١ ص٤٦٦ و (الإسلامية) ج٨ ص٣٤١ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٨٥١ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢٤٥ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٤١ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٨٦.

(٣) بحار الأنوار ج٦١ ص١٥٤ والأمان من أخطار الأسفار والأزمان ص٩٧ و (ط مؤسسة آل البيت) ص١٠٨ والدر المنثور ج٣ ص١٩٤.

الله تبارك وتعالى أن يسخرها له، فأمره أن يصعد على أبي قبيس فينادي: ألا هلا، ألا هلم. فأقبلت حتى وقفت بجياد، فنزل إليها فأخذها. فلذلك سمي جياداً»[١].

٥ ـ عن ابن عباس: «كانت الخيل العراب وحوشاً في بلاد العرب»[٢].

٦ ـ وقال الدميري: «أول من ركبها (أي الخيل) إسماعيل «عليه السلام»، ولذلك سميت العراب، ثم ذكر نحو ما تقدم عن كيفية ذلك»[٣].

جعل الماء النتن في منخري آدم:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن الله تعالى أمر جبرائيل بأن يأتيه من أديم

---

(١) قرب الإسناد ص١٠٥ و (ط مؤسسة آل البيت) ص٢٣٨ وبحار الأنوار ج٦١ ص١٥٧ عنه، وعن كتاب المسائل. وراجع ج١٠ ص١٤٩ ـ ٢٩١ ومسائل علي بن جعفر ص٢٧١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١١ ص٤٦٨ و (الإسلامية) ج٨ ص٣٤٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٨٥٢ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢٤٥.

(٢) علل الشرايع ج١ ص٣٧ و ٣٨ وبحار الأنوار ج١٢ ص١٠٤ وج٦١ ص١٥٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١١ ص٤٦٧ و (الإسلامية) ج٨ ص٣٤٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٨٥١ وقصص الأنبياء للجزائري ص١٤٥ وقصص الأنبياء للراوندي ص١١٦.

(٣) حياة الحيوان ج١ ص٢٢٤ و ٢٢٥ وبحار الأنوار ج٦١ ص١٥٧.

الأرض بأربع طينات ثم أمره بأن يأتيه بأربع مياه: وأنه جعل الماء العذب في حلقه، والمالح في عينيه، والمر في أذنيه، والنتن في أنفه.

غير أننا نقول:

لو صح هذا لكانت الروائح النتنة تخرج من أنف الإنسان، كما يخرج الماء المالح من عينيه، والعذب من فمه..

وفي الرواية التي تحكي أسئلة ابن سلام للنبي «صلى الله عليه وآله»: أن هذا قد ورد على سبيل المثل، ففيها: أن ابن سلام قال: «هل لهم مثل بذلك في الدنيا؟!

قال: نعم يا ابن سلام، أفما تنظر إلى التراب؟! منه أبيض، ومنه أسود، ومنه أحمر، ومنه أصفر، ومنه أشقر، ومنه أغبر، ومنه أزرق. ومنه عذب وخشن، ومنه لين، وكذلك بنو آدم إلخ..»[1].

---

(١) بحار الأنوار ج٥٧ ص٢٤٥.

الفصل السابع:

زنديق يتحدى..

أسئلة زنديق:

قال العلامة الطبرسي «رحمه الله»:

جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» وقال: لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض، لدخلت في دينكم.

فقال له علي «عليه السلام»: وما هو؟!

قال: قوله تعالى: ﴿**نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾ وقوله: ﴿**فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا**﴾ وقوله: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾.

وقوله: ﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ**﴾.

وقوله: ﴿**وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾

وقوله: ﴿**إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ**﴾

وقوله: ﴿**لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ**﴾

وقوله: ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾.

وقوله: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾

وقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾

وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾.

وقوله: ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ الآيتين.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا﴾.

وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾

وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾.

وقوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾

وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾.

وقوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾.

وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

وقوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾

وقوله ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾.

قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: فأما قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ يعني: إنما نسوا الله في دار الدنيا ولم يعملوا بطاعته، فنسيهم في الآخرة، أي لم يجعل لهم من ثوابه شيئاً، فصاروا منسيين من الخير.

وكذلك تفسير قوله عز وجل: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ يعني بالنسيان: أنه لم يثبهم كما يثيب أولياءه الذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين، حين آمنوا به وبرسوله، وخافوه بالغيب.

وأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، فإن ربنا تبارك وتعالى علواً كبيراً ليس بالذي ينسى، ولا يغفل، بل هو الحفيظ العليم، وقد يقول العرب: قد نسينا فلان فلا يذكرنا، أي أنه لا يأمر لهم بخير ولا يذكرهم به.

قال «عليه السلام»: وأما قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، وقوله عز وجل: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾، وقوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾، وقوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فإن ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة.

والمراد: يكفر أهل المعاصي بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً. والكفر في هذه الآية البراءة، يقول: يتبرأ بعضهم من بعض، ونظيرها في سورة إبراهيم «عليه السلام» قول الشيطان: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ وقول إبراهيم خليل الرحمن: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ يعني: تبرأنا منكم.

ثم يجتمعون في موطن آخر يبكون فيه، فلو أن تلك الأصوات بدت لأهل الدنيا لزالت [لأذهلت] جميع الخلق عن معايشهم وانصدعت قلوبهم إلا ما شاء الله، ولا يزالون يبكون حتى يستنفدوا الدموع ويفضوا إلى الدماء.

ثم يجتمعون في موطن آخر، فيستنطقون فيه، فيقولون: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا

كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وهؤلاء خاصة هم المقرون في دار الدنيا بالتوحيد، فلم ينفعهم إيمانهم بالله مع مخالفتهم رسله، وشكهم فيما أتوا به عن ربهم، ونقضهم عهودهم في أوصيائهم، واستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير، فكذبهم الله بما انتحلوه من الايمان بقوله: ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾، فيختم الله على أفواههم، وتستنطق الأيدي والأرجل والجلود، فيشهد بكل معصية كانت منهم، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم، فيقولون لجلودهم: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

ثم يجتمعون في موطن آخر، فيفر بعضهم من بعض لهول ما يشاهدونه من صعوبة الأمر، وعظم البلاء، فذلك قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ [وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ]﴾ الآية.

ثم يجتمعون في موطن آخر، ويستنطق فيه أولياء الله وأصفياؤه، فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فتقام الرسل فيسألون عن تأدية الرسالات التي حملوها إلى أممهم، فأخبروا أنهم قد أدوا ذلك إلى أممهم، ويسأل الأمم فتجحد كما قال الله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ فيقولون: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾.

فتستشهد الرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيشهد بصدق الرسل وتكذيب من يجحدها من الأمم، فيقول لكل أمة منهم، بلى ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل إليكم رسالاتهم.

وكذلك قال الله تعالى لنبيه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا

بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فلا يستطيعون رد شهادته خوفاً من أن يختم الله على أفواههم، وأن تشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون، ويشهد على منافقي قومه وأمته وكفارهم بالحادهم وعنادهم، ونقضهم عهده، وتغييرهم سنته، واعتدائهم على أهل بيته، وانقلابهم على أعقابهم، وارتدادهم على أدبارهم، واحتذائهم في ذلك سنة من تقدمهم من الأمم الظالمة، الخائنة لأنبيائها، فيقولون بأجمعهم: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾.

ثم يجتمعون في موطن آخر، يكون فيه مقام محمد «صلى الله عليه وآله» وهو المقام المحمود، فيثني على الله عز وجل بما لم يثن عليه أحد قبله، ثم يثني على الملائكة كلهم، فلا يبقى ملك إلا أثنى عليه محمد «صلى الله عليه وآله»، ثم يثني على الأنبياء بما لم يثن عليهم أحد مثله، ثم يثني على كل مؤمن ومؤمنة، يبدأ بالصديقين والشهداء، ثم بالصالحين.

فتحمده أهل السماوات وأهل الأرضين فذلك قوله عز وجل: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، فطوبى لمن كان له في ذلك المقام حظ ونصيب، وويل لمن لم يكن له في هذا المقام حظ ولا نصيب.

ثم يجتمعون في موطن آخر يلجمون فيه، ويتبرؤ بعضهم من بعض.

وهذا كله قبل الحساب، فإذا أخذ في الحساب شغل كل إنسان بما لديه، نسأل الله بركة ذلك اليوم.

قال علي «عليه السلام»: وأما قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله عز وجل بعد ما يفرغ من

الحساب إلى نهر يسمى نهر الحيوان، فيغتسلون منه، ويشربون من آخر، فتبيض وجوههم، فيذهب عنهم كل أذى، وقذى ووعث، ثم يؤمرون بدخول الجنة.

فمن هذا المقام ينظرون إلى ربهم كيف يثيبهم، ومنه يدخلون الجنة.

فذلك قوله عز وجل في تسليم الملائكة عليهم: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾، فعند ذلك أثيبوا بدخول الجنة، والنظر إلى ما وعدهم الله عز وجل. فذلك قوله تعالى: ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾.

والناظرة في بعض اللغة هي المنتظرة، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿**فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾ أي منتظرة بم يرجع المرسلون.

وأما قوله: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**﴾ يعني: محمداً «صلى الله عليه وآله» حين كان عند سدرة المنتهى، حيث لا يجاوزها خلق من خلق الله عز وجل، وقوله في آخر الآية: ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾ رأى جبرئيل «عليه السلام» في صورته مرتين: هذه المرة، ومرة أخرى، وذلك أن خلق جبرئيل، «عليه السلام» خلق عظيم، فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم ولا صفتهم إلا رب العالمين.

قال علي «عليه السلام»: وأما قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**﴾، كذلك قال الله تعالى قد كان الرسول يوحي إليه رسل من السماء[١]، فتبلغ

(١) أي: أن الوحي كان يصل إلى رسل الأرض بواسطة رسل من السماء.

رسل السماء إلى رسل الأرض. وقد كان الكلام بين رسل أهل الأرض وبينه من غير أن يُرْسَل بالكلام مع رسل أهل السماء(١).

وقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا جبرئيل هل رأيت ربك عز وجل؟!

فقال جبرئيل «عليه السلام»: إن ربي عز وجل لا يرى.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من أين تأخذ الوحي؟!

قال: آخذه من إسرافيل.

قال: ومن أين يأخذه إسرافيل؟!

قال: يأخذه من ملك من فوقه من الروحانيين.

قال: فمن أين يأخذه ذلك الملك؟!

قال: يقذف في قلبه قذفا، فهذا وحي، وهو كلام الله عز وجل.

وكلام الله عز وجل ليس بنحو واحد:

منه ما كلم الله عز وجل به الرسل.

ومنه ما قذف في قلوبهم.

ومنه رؤيا يراها الرسل.

---

(١) أي أنه إذا أراد رسل الأرض أن يطلبوا من الله شيئاً، أو أن يكلموه حول أي موضوع، فإنهم كانوا لا يستعينون برسل السماء، بل كانوا يكلمون الله تعالى مباشرة.

ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرء، فهو كلام الله عز وجل.

قال علي «عليه السلام»: وأما قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، فإنما يعني به: يوم القيامة عن ثواب ربهم لمحجوبون.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يخبر محمداً «صلى الله عليه وآله» عن المشركين والمنافقين الذين لم يستجيبوا لله ولرسوله، فقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يعني بذلك: العذاب يأتيهم في دار الدنيا كما عذب القرون الأولى، فهذا خبر يخبر به النبي «صلى الله عليه وآله» عنهم.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ الآية. يعني: لم تكن آمنت من قبل أن تجيء هذه الآية. وهذه الآية هي طلوع الشمس من مغربها، وقال في آية أخرى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾، يعني: أرسل عليهم عذاباً. وكذلك إتيانه بنيانهم، حيث قال: ﴿فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾، يعني: أرسل عليهم العذاب.

قال علي «عليه السلام»: وأما قوله عز وجل: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ وقوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ وقوله: ﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ يعني: البعث. فسماه الله لقاء، وكذلك قوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ﴾. يعني: من كان يؤمن أنه مبعوث فإن وعد الله لآت من الثواب والعقاب، فاللقاء ههنا ليس بالرؤية. واللقاء هو البعث، وكذلك ﴿تَحِيَّتُهُمْ

﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ يعني: أنه لا يزول الايمان عن قلوبهم يوم يبعثون.

وقال علي «عليه السلام»: وأما قوله عز وجل: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ يعني: تيقنوا أنهم داخلوها. وكذلك قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

وأما قوله عز وجل للمنافقين: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾، فهو ظن شك، وليس ظن يقين. والظن ظنان: ظن شك، وظن يقين. فما كان من أمر المعاد من الظن فهو ظن يقين، وما كان من أمر الدنيا فهو ظن شك.

قال «عليه السلام»: وأما قوله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ فهو ميزان العدل تؤخذ به الخلائق يوم القيامة، يديل الله تبارك وتعالى الخلائق بعضهم من بعض، ويجزيهم بأعمالهم، ويقتص للمظلوم من الظالم.

ومعنى قوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ و ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ فهو قلة الحساب وكثرته.

والناس يومئذ على طبقات ومنازل، فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا، ومنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، لأنهم لم يتلبسوا من أمر الدنيا بشيء، وإنما الحساب هناك على من تلبس بها ههنا، ومنهم من يحاسب على النقير والقطمير، ويصير إلى عذاب السعير، ومنهم أئمة الكفر وقادة الضلالة، فأولئك لا يقيم لهم يوم القيامة وزنا ولا يعبأ بهم، لأنهم لم يعبؤا بأمره ونهيه، ويوم القيامة هم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾.

ومن سؤال هذا الزنديق أن قال: أجد الله يقول: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ و ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ و ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ وما أشبه ذلك، فمرة يجعل الفعل لنفسه، ومرة لملك الموت، ومرة للملائكة.

وأجده يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ ويقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ أعلم في الآية الأولى أن الأعمال الصالحة لا تكفر، وأعلم في الآية الثانية أن الايمان والأعمال الصالحة لا ينفع إلا بعد الاهتداء.

وأجده يقول: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ فكيف يسأل الحي الأموات قبل البعث والنشور.

وأجده يقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فما هذه الأمانة؟! ومن هذا الانسان؟! وليس من صفة العزيز الحكيم التلبيس على عباده.

وأجده قد شهر هفوات أنبيائه بقوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، وبتكذيبه نوحاً لما قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾.

وبوصفه إبراهيم: بأنه عبد كوكباً مرة، ومرة قمراً، ومرة شمساً. وبقوله في يوسف «عليه السلام»: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾. وبتهجينه موسى، حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ الآية. وببعثه على داود «عليه السلام» جبرئيل وميكائيل حيث

تسوروا المحراب إلى آخر القصة، وبحبسه يونس في بطن الحوت حيث ذهب مغاضباً مذنباً.

فأظهر خطأ الأنبياء وزللهم، ثم وارى أسماء من اغتر وفتن خلقه، وضل وأضل، وكنى عن أسمائهم في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ فمن هذا الظالم الذي لم يذكر من اسمه ما ذكر من أسماء الأنبياء.

وأجده يقول: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ و ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ و ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ فمرة يجيئهم، ومرة يجيئونه.

وأجده يخبر أنه يتلو نبيه شاهد منه. وكان الذي تلاه عبد الأصنام برهة من دهره.

وأجده يقول: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، فما هذه النعيم الذي يسأل العباد عنه.

وأجده يقول: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ما هذه البقية؟!

وأجده يقول: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ و ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ و ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ و ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ و ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ ما معنى الجنب، والوجه، واليمين والشمال؟! فإن الأمر في ذلك ملتبس جداً.

وأجده يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ويقول: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي

السَّمَاءِ﴾ و ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ و ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ و ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ و ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية.

وأجده يقول: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كل النساء أيتام، فما معنى ذلك؟!

وأجده يقول: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وكيف يظلم الله؟! ومن هؤلاء الظلمة؟!.

وأجده يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾، فما هذه الواحدة.

وأجده يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. وقد أرى مخالفي الاسلام معتكفين على باطلهم، غير مقلعين عنه، وأرى غيرهم من أهل الفساد مختلفين في مذاهبهم، يلعن بعضهم بعضاً. فأي موضع للرحمة العامة المشتملة عليهم؟!

وأجده قد بين فضل نبيه على سائر الأنبياء، ثم خاطبه في أضعاف ما أثنى عليه في الكتاب من الازراء عليه، وانخفاض محله، وغير ذلك من تهجينه وتأنيبه ما لم يخاطب به أحداً من الأنبياء، مثل قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ وقوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ وقوله: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ وهو يقول:

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ و ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

فإذا كانت الأشياء تحصى في الامام وهو وصي النبي فالنبي أولى أن يكون بعيدا من الصفة التي قال فيها: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ وهذه كلها صفات مختلفة، وأحوال مناقضة، وأمور مشكلة، فان يكن الرسول والكتاب حقا فقد هلكت لشكي في ذلك، وإن كانا باطلين فما علي من بأس.

فقال أمير المؤمنين علي «صلوات الله عليه»: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، تبارك الله وتعالى هو الحي الدائم القائم على كل نفس بما كسبت، هات أيضاً ما شككت فيه.

قال: حسبي ما ذكرت يا أمير المؤمنين.

قال «عليه السلام»: سأنبئك بتأويل ما سألت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وعليه فليتوكل المؤمنون [المتوكلون].

فأما قوله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وقوله: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ و ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ و ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ و ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾، فهو تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يتولى ذلك بنفسه. وفعل رسله وملائكته فعله، لأنهم بأمره يعملون، فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلا وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾.

فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولى قبض روحه ملائكة النقمة.

ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة، يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله. وكل ما يأتونه منسوب إليه. وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، ففعل ملك الموت فعل الله، لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، على يد من يشاء، وإن فعل امنائه فعله، كما قال: **﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾**.

وأما قوله: **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾** وقوله: **﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾**، فإن ذلك كله لا يغني إلا مع الاهتداء، وليس كل من وقع عليه اسم الايمان كان حقيقا بالنجاة مما هلك به الغواة.

ولو كان ذلك كذلك، لنجت اليهود مع اعترافها، بالتوحيد، وإقرارها بالله ونجا سائر المقرين بالوحدانية، من إبليس فمن دونه مع الكفر، وقد بين الله ذلك بقوله: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾** وبقوله: **﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾**.

وللايمان حالات ومنازل يطول شرحها، ومن ذلك: أن الايمان قد يكون على وجهين: إيمان بالقلب، وإيمان باللسان، كما كان إيمان المنافقين على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما قهرهم السيف، وشملهم الخوف، فإنهم آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم.

فالإيمان بالقلب هو التسليم للرب، ومن سلم الأمور لمالكها لم يستكبر عن أمره، كما استكبر إبليس عن السجود لآدم، واستكبر أكثر الأمم عن طاعة أنبيائهم، فلم ينفعهم التوحيد كما لم ينفع إبليس ذلك السجود

الطويل، فإنه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام، لم يرد بها غير زخرف الدنيا، والتمكين من النظرة.

فكذلك لا تنفع الصلاة والصدقة إلا مع الاهتداء إلى سبيل النجاة، وطرق الحق.

وقد قطع الله عذر عباده بتبيين آياته، وإرسال رسله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ولم يخل أرضه من عالم بما يحتاج الخليقة إليه، ومتعلم على سبيل نجاة. أولئك هم الأقلون عدداً.

وقد بين الله ذلك في أمم الأنبياء وجعلهم مثلا لمن تأخر، مثل قوله في قوم نوح: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، وقوله فيمن آمن من أمة موسى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾، وقوله في حواري عيسى، حيث قال لسائر بني إسرائيل: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ يعني: أنهم يسلمون لأهل الفضل فضلهم، ولا يستكبرون عن أمر ربهم، فما أجابه منهم إلا الحواريون.

وقد جعل الله للعلم أهلا، وفرض على العباد طاعتهم، بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وبقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ وبقوله: ﴿اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وبقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وبقوله: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.

والبيوت هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء، وأبوابها أوصياؤهم،

فكل عمل من أعمال الخير يجري على غير أيدي أهل الاصطفاء، وعهودهم وحدودهم، وشرايعهم وسننهم، ومعالم دينهم، مردود غير مقبول، وأهله بمحل كفر، وإن شملتهم صفة الايمان، ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِالله وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ فمن لم يهتد من أهل الايمان إلى سبيل النجاة لم يغن عنه إيمانه بالله، مع دفعه حق أوليائه، وحبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين. وكذلك قال الله سبحانه: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ وهذا كثير في كتاب الله عز وجل.

والهداية هي الولاية كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ و ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ في هذا الموضع هم [الأئمة الذين دفع الله إليهم عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»] المؤتمنون على الخلائق من الحجج والأوصياء في عصر بعد عصر.

وليس كل من أقر أيضا من أهل القبلة بالشهادتين كان مؤمناً، إن المنافقين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويدفعون عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما عهد به من دين الله، وعزائمه وبراهين نبوته إلى وصيه، ويضمرون من الكراهة لذلك، والنقض لما أبرمه منه، عند إمكان الأمر لهم [فيه]، فيما قد بينه الله لنبيه بقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وبقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ ومثل قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا

عَنْ طَبَقٍ﴾ أي لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء، وهذا كثير في كتاب الله عز وجل.

وقد شق على النبي «صلى الله عليه وآله» ما يؤول إليه عاقبة أمرهم، وإطلاع الله إياه على بوارهم، فأوحى الله عز وجل [إليه]: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ و ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

وأما قوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ فهذا من براهين نبينا «صلى الله عليه وآله» التي آتاه الله إياها، وأوجب به الحجة على سائر خلقه، لأنه لما ختم به الأنبياء، وجعله الله رسولا إلى جميع الأمم وسائر الملل، خصه الله بالارتقاء إلى السماء عند المعراج، وجمع له يومئذ الأنبياء فعلم منهم ما أرسلوا به، وحملوه من عزائم الله، وآياته وبراهينه، وأقروا أجمعين بفضله وفضل الأوصياء والحجج في الأرض من بعده، وفضل شيعة وصيه من المؤمنين والمؤمنات الذين سلموا لأهل الفضل فضلهم، ولم يستكبروا عن أمرهم، وعرف من أطاعهم وعصاهم من أممهم، وسائر من مضى ومن غبر، أو تقدم أو تأخر.

وأما هفوات الأنبياء «عليهم السلام» وما بينه الله في كتابه ووقوع الكناية عن أسماء من اجترم أعظم مما اجترمته الأنبياء، ممن شهد الكتاب بظلمهم، فان ذلك من أدل الدلائل على حكمة الله عز وجل الباهرة، وقدرته القاهرة، وعزته الظاهرة لأنه علم أن براهين الأنبياء تكبر في صدور أممهم، وأن منهم من يتخذ بعضهم إلهاً، كالذي كان من النصارى في ابن مريم، فذكرها دلالة على تخلفهم عن الكمال الذي تفرد به عز وجل، ألم

تسمع إلى قوله في صفة عيسى «عليه السلام»: حيث قال فيه وفي أمه: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ يعني: من أكل الطعام كان له ثفل، ومن كان له ثفل فهو بعيد مما ادعته النصارى لابن مريم.

ولم يكن عن أسماء الأنبياء تجبراً وتعززاً، بل تعريفاً لأهل الاستبصار أن الكناية عن أسماء ذوي الجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن ليست من فعله تعالى، وأنها من فعل المغيرين والمبدلين الذين جعلوا القرآن عضين، واعتاضوا الدنيا من الدين.

وقد بين الله تعالى قصص المغيرين بقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وبقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ وبقوله: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ بعد فقد الرسول ما يقيمون به أود باطلهم، حسب ما فعلته اليهود والنصارى بعد فقد موسى وعيسى «عليهما السلام» من تغيير التوراة والإنجيل، وتحريف الكلم عن مواضعه. وبقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ يعني: أنهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله، ليلبسوا على الخليقة، فأعمى الله قلوبهم حتى تركوا فيه ما يدل على ما أحدثوه فيه، وحرفوا منه، وبين عن إفكهم وتلبيسهم وكتمان ما علموه منه.

ولذلك قال لهم: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ وضرب مثلهم بقوله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾.

فالزبد في هذا الموضع كلام الملحدين الذين أثبتوه في القرآن، فهو

يضمحل ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، والذي ينفع الناس منه فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموضع هي محل العلم وقراره.

وليس يسوغ مع عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين، ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب، لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل والكفر، والملل المنحرفة عن قبلتنا، وإبطال هذا العلم الظاهر الذي قد استكان له الموافق والمخالف، بوقوع الاصطلاح على الايتمار لهم، والرضا بهم.

ولأن أهل الباطل في القديم والحديث أكثر عددا من أهل الحق.

ولأن الصبر على ولاة الأمر مفروض لقول الله عز وجل لنبيه «صلى الله عليه وآله»: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾. وإيجابه مثل ذلك على أوليائه وأهل طاعته بقوله: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾.

فحسبك من الجواب في هذا الموضع ما سمعت، فان شريعة التقية تحظر التصريح بأكثر منه.

وأما قوله: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ وقوله: ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى**﴾ وقوله: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ**﴾، فذلك كله حق، وليست جيئته جل ذكره كجيئة خلقه، فإنه رب كل شيء، ومن كتاب الله عز وجل ما يكون تأويله على غير تنزيله، ولا يشبه تأويله كلام البشر ولا فعل البشر. وسأنبئك بمثال لذلك تكتفي به

إن شاء الله، وهو حكاية الله عز وجل عن إبراهيم «عليه السلام» حيث قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ فذهابه إلى ربه توجهه إليه في عبادته واجتهاده، ألا ترى أن تأويله غير تنزيله.

وقال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإنزاله ذلك خلقه إياه.

وكذلك قوله: ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أي الجاحدين، فالتأويل في هذا القول باطنه مضاد لظاهره.

ومعنى قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ فإنما [هي] خاطب نبينا «صلى الله عليه وآله»: هل ينتظر المنافقون والمشركون إلا أن تأتيهم الملائكة فيعاينونهم أو يأتي ربك، أو يأتي بعض آيات ربك، يعني بذلك: أمر ربك والآيات هي العذاب في دار الدنيا، كما عذب الأمم السالفة، والقرون الخالية.

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ يعني بذلك: ما يهلك من القرون، فسماه إتيانا.

وقال: ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي لعنهم الله أنى يؤفكون، فسمى اللعنة قتالا، وكذلك قال: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ أي لعن الانسان.

وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ فسمى فعل النبي فعلا له، ألا ترى تأويله على غير تنزيله.

ومثل قوله: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ فسمى البعث لقاء، وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ أي يوقنون أنهم مبعوثون،

ومثله قوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي أليس يوقنون أنهم مبعوثون؟! واللقاء عند المؤمن البعث، وعند الكافر المعاينة والنظر.

وقد يكون بعض ظن الكافر يقيناً، وذلك قوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ أي أيقنوا أنهم مواقعوها.

وأما قوله في المنافقين: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾ فليس ذلك بيقين، ولكنه شك، فاللفظ واحد في الظاهر، ومخالف في الباطن.

وكذلك قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ يعني: استوى تدبيره، وعلا أمره وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، فإنما أراد بذلك استيلاء أمنائه بالقدرة ـ التي ركبها فيهم ـ على جميع خلقه، وأن فعلهم فعله.

فافهم عني ما أقول لك، فاني إنما أزيدك في الشرح لا ثلج في صدرك، وصدر من لعله بعد اليوم يشك في مثل ما شككت فيه، فلا يجد مجيبا عما يسأل عنه، لعموم الطغيان والافتتان، ولاضطرار أهل العلم بتأويل الكتاب إلى الاكتمام والاحتجاب، خيفة من أهل الظلم والبغي.

أما إنه سيأتي على الناس زمان يكون الحق فيه مستورا، والباطل ظاهراً مشهوراً، وذلك إذا كان أولى الناس به أعداهم له، واقترب الوعد الحق، وعظم الالحاد، وظهر الفساد، ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، ونحلهم الكفار أسماء الأشرار، فيكون جهد المؤمن أن يحفظ مهجته من أقرب الناس إليه، ثم يتيح الله الفرج لأوليائه، فيظهر صاحب

الامر على أعدائه.

وأما قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾، فذلك حجة الله أقامها على خلقه، وعرفهم انه لا يستحق مجلس النبي «صلى الله عليه وآله» إلا من يقوم مقامه، ولا يتلوه إلا من يكون في الطهارة مثله منزلة لئلا يتسع لمن ماسه رجس الكفر في وقت من الأوقات انتحال الاستحقاق لمقام رسول الله، وليضيق العذر على من يعينه على إثمه وظلمه، إذ كان الله قد حظر على من ماسه الكفر تقلد ما فوضه إلى أنبيائه وأوليائه بقوله لإبراهيم: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي المشركين، لأنه سمى الشرك ظلما بقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

فلما علم إبراهيم «عليه السلام» أن عهد الله تبارك اسمه بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

واعلم أن من آثر المنافقين على الصادقين، والكفار على الأبرار، فقد افترى على الله إثما عظيما، إذ كان قد بين الله في كتابه الفرق بين المحق والمبطل، والطاهر والنجس، والمؤمن والكافر، وأنه لا يتلو النبي «صلى الله عليه وآله» عند فقده إلا من حل محله صدقاً وعدلاً، وطهارة وفضلاً.

وأما الأمانة التي ذكرتها فهي الأمانة التي لا تجب ولا يجوز أن تكون إلا في الأنبياء وأوصيائهم، لان الله تبارك وتعالى ائتمنهم على خلقه، وجعلهم حججاً في أرضه، فبالسامري ومن اجتمع [أجمع] معه وأعانه من الكفار على عبادة العجل عند غيبة موسى ما تم انتحال محل موسى «عليه السلام» من الطغام، والاحتمال لتلك الأمانة التي لا ينبغي إلا لطاهر من

الرجس، فاحتمل وزرها، ووزر من سلك في سبيله من الظالمين وأعوانهم، ولذلك قال النبي «صلى الله عليه وآله»: من استن سنة حق كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن استن سنة باطل كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

ولهذا القول عن النبي «صلى الله عليه وآله» شاهد من كتاب الله وهو قول الله عز وجل في قصة قابيل قاتل أخيه: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾.

وللإحياء في هذا الموضع تأويل في الباطن ليس كظاهره، وهو من هداها، لأن الهداية هي حياة الأبد، ومن سماه الله حيا لم يمت أبداً، إنما ينقله من دار محنة إلى دار راحة ومنحة.

وأما ما أراك من الخطاب بالانفراد مرة وبالجمع مرة، من صفة الباري جل ذكره، فإن الله تبارك وتعالى على ما وصف به نفسه بالانفراد والوحدانية هو النور الأزلي القديم الذي ليس كمثله شيء، لا يتغير، ويحكم ما يشاء ويختار، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، ولا ما خلق زاد في ملكه وعزه، ولا نقص منه ما لم يخلقه.

وإنما أردا بالخلق إظهار قدرته، وإبداء سلطانه، وتبيين براهين حكمته، فخلق ما شاء كما شاء، وأجرى فعل بعض الأشياء على أيدي من اصطفى من امنائه، فكان فعلهم فعله، وأمرهم أمره، كما قال: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾. وجعل السماء والأرض وعاء لمن شاء من خلقه، ليميز

الخبيث من الطيب، مع سابق علمه بالفريقين من أهلها، وليجعل ذلك مثالا لأوليائه وأمنائه، وعرَّف الخليقة فضل منزلة أوليائه، وفرض عليهم من طاعتهم مثل الذي فرضه منه لنفسه، وألزمهم الحجة بأن خاطبهم خطاباً يدل على انفراده وتوحده، وبأن له أولياء تجري أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله، فهم العباد المكرمون، الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. هم الذين أيدهم بروح منه، وعرف الخلق اقتدارهم على علم الغيب، بقوله: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾. وهم النعيم الذي يسأل العباد عنه، لأن الله تبارك وتعالى أنعم بهم على من اتبعهم من أوليائهم.

قال السائل: من هؤلاء الحجج؟!

قال «عليه السلام»: هم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن حل محله من أصفياء الله، الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه، وهم ولاة الأمر الذين قال الله فيهم: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ وقال فيهم: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾.

قال السائل: ما ذلك الامر؟!

قال علي «عليه السلام»: الذي تنزل به الملائكة في الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم: من خلق ورزق، وأجل وعمل، وحياة وموت، وعلم غيب السماوات والأرض، والمعجزات التي لا تنبغي إلا لله وأصفيائه، والسفرة بينه وبين خلقه، وهم وجه الله الذي قال: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ**﴾.

هم بقية الله.

يعني: المهدي الذي يأتي عند انقضاء هذه النظرة، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ومن آياته الغيبة والاكتتام عند عموم الطغيان، وحلول الانتقام.

ولو كان هذا الأمر الذي عرفتك نبأه للنبي دون غيره لكان الخطاب يدل على فعل خاص [ماضٍ] غير دائم ولا مستقبل، ولقال نزلت الملائكة، وفرق كل أمر حكيم ولم يقل: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ**﴾ و ﴿**يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾.

وقد زاد جل ذكره في التبيان، وإثبات الحجة بقوله في أصفيائه وأوليائه «عليهم السلام»: ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ**﴾ تعريفاً للخليقة قربهم ألا ترى أنك تقول: فلان إلى جنب فلان، إذا أردت أن تصف قربه منه.

وإنما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره، وغير أنبيائه وحججه في أرضه، لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدلون، من إسقاط أسماء حججه منه، وتلبيسهم ذلك على الأمة، ليعينوهم على باطلهم، فأثبت فيه الرموز، وأعمى قلوبهم وأبصارهم، لما عليهم في تركها وترك غيرها من الخطاب الدال على ما أحدثوه فيه، وجعل أهل الكتاب المقيمين به، والعالمين بظاهره وباطنه، ﴿**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾. أي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت، وجعل أعداءها أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بينت لك تأويلها، لأسقطوها مع ما أسقطوا منه، ولكن الله تبارك اسمه ماض حكمه بايجاب الحجة على خلقه، كما قال: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ أغشى أبصارهم، وجعل على قلوبهم أكنة عن تأمل ذلك، فتركوه بحاله، وحجبوا عن تأكيد الملبِّس [المتلبس] بابطاله، فالسعداء يتثبتون [ينتبهون] عليه، والأشقياء يعمون عنه، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

ثم إن الله جل ذكره لسعة رحمته، ورأفته بخلقه، وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كتابه، قسم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسما منه يعرفه العالم والجاهل، وقسما لا يعرفه إلا من صفا ذهنه، ولطف حسه، وصح تمييزه، ممن شرح الله صدره للاسلام، وقسما لا يعرفه إلا الله وامناؤه الراسخون في العلم.

وإنما فعل ذلك لئلا يدعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله «صلى الله عليه وآله» من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم، وليقودهم الاضطرار إلى الايتمار لمن ولاه أمرهم، فاستكبروا عن طاعته تعززاً وافتراء على الله عز وجل، واغتراراً بكثرة من ظَاهَرَهم وعاونهم، وعاند الله جل اسمه ورسوله «صلى الله عليه وآله».

فأما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من [في] كتاب الله، وهو قول الله سبحانه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

ولهذه الآية ظاهر وباطن، فالظاهر قوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ والباطن قوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. أي سلموا لمن وصاه واستخلفه عليكم فضله، وما عهد به إليه تسليماً.

وهذا مما أخبرتك أنه لا يعلم تأويله إلا من لطف حسه، وصفا ذهنه، وصح تميزه.

وكذلك قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾، لأن الله سمى النبي «صلى الله عليه وآله» بهذا الاسم حيث قال: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، لعلمه بأنهم يسقطون قول: «سلام على آل محمد» كما أسقطوا غيره.

وما زال رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتألفهم، ويقربهم، ويجلسهم عن يمينه وشماله، حتى أذن الله عز وجل له في إبعادهم بقوله: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ وبقوله: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾.

وكذلك قال الله عز وجل ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، ولم يسم بأسمائهم، وأسماء آبائهم وأمهاتهم.

وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فإنما أنزلت كل شيء هالك إلا دينه، لأنه من المحال أن يهلك منه كل شيء ويبقى الوجه، هو أجل وأعظم وأكرم من ذلك، إنما يهلك من ليس منه، ألا ترى أنه قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾، ففصل بين خلقه ووجهه.

وأما ظهورك على تناكر قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كل النساء أيتاماً، فهو مما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن، وبين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن.

وهذا وما أشبهه مما ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر والتأمل، ووجد المعطلون وأهل الملل المخالفة للإسلام مساغاً إلى القدح في القرآن.

ولو شرحت لك كل ما أُسقط وحرِّف وبُدل مما يجري هذا المجرى لطال، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء.

وأما قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فهو تبارك اسمه أجل وأعظم من أن يظلم، ولكنه قرن امناءه على خلقه بنفسه، وعرف الخليقة جلالة قدرهم عنده، وأن ظلمهم ظلمه، بقول: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ببغضهم أولياءنا، ومعونة أعدائهم عليهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ إذ حرموها الجنة، وأوجبوا عليها خلود النار.

وأما قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾، فإن الله جل ذكره أنزل عزائم الشرايع وآيات الفرائض في أوقات مختلفة، كما خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ولو شاء أن يخلقها في أقل من لمح البصر لخلق، ولكنه جعل الأناة والمداراة مثالاً لامنائه، وإيجاباً للحجة على خلقه، فكان أول ما قيدهم به الاقرار بالوحدانية والربوبية، والشهادة بأن لا إله إلا الله. فلما أقروا بذلك، تلاه بالاقرار لنبيه «صلى الله عليه وآله» بالنبوة، والشهادة له بالرسالة.

فلما انقادوا لذلك فرض عليهم الصلاة، ثم الصوم، ثم الحج، ثم الجهاد، ثم الزكاة، ثم الصدقات، وما يجري مجراها من مال الفيء. فقال المنافقون: هل بقي لربك علينا بعد الذي فرضته علينا شيء آخر يفترضه؟! فتذكره لتسكن أنفسنا أنه لم يبق غيره، فأنزل الله في ذلك: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ**﴾ يعني: الولاية.

فأنزل ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ وليس بين الأمة خلاف أنه لم يؤت الزكاة يومئذ أحد وهو راكع غير رجل واحد لو ذكر اسمه في الكتاب لأسقط مع ما اسقط من ذكره.

وهذا وما أشبهه من الرموز التي ذكرت لك ثبوتها في الكتاب، ليجهل معناه المحرفون، فيبلغ إليك وإلى أمثالك، وعند ذلك قال الله عز وجل: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾.

وأما قوله لنبيه «صلى الله عليه وآله»: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ فإنك ترى أهل الملل المخالفة للايمان، ومن يجري مجراهم من الكفار، مقيمين على كفرهم إلى هذه الغاية، وأنه لو كان رحمة عليهم لاهتدوا جميعا ونجوا من عذاب السعير، فان الله تبارك وتعالى اسمه إنما يعني بذلك: أنه جعله سبيلا لإنظار أهل هذه الدار، ولأن الأنبياء قبله بعثوا بالتصريح لا بالتعريض. فكان النبي «صلى الله عليه وآله» فيهم إذا صدع بأمر الله وأجابه قومه، سلموا، وسلم أهل دارهم من سائر الخليقة،

وإن خالفوه هلكوا وهلك أهل دارهم بالآفة التي كانت نبيهم يتوعدهم بها، ويخوفهم حلولها ونزولها بساحتهم، من خسف، أو قذف، أو زجر، أو ريح، أو زلزلة، أو غير ذلك من أصناف العذاب، التي هلكت بها الأمم الخالية.

وإن الله علم من نبينا ومن الحجج في الأرض الصبر على ما لم يطق من تقدمهم من الأنبياء الصبر على مثله، فبعثه الله بالتعريض لا بالتصريح، وأثبت حجة الله تعريضا لا تصريحا بقوله في وصيه: «من كنت مولاه فهذا مولاه» و «هو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

وليس من خليقة النبي ولا من شيمته أن يقول قولا لا معنى له، فيلزم الأمة أن تعلم أنه لما كانت النبوة والاخوة موجودتين في خلقة هارون، ومعدومتين فيمن جعله النبي «صلى الله عليه وآله» بمنزلته، أنه قد استخلفه على أمته كما استخلف موسى هارون حيث قال: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾.

ولو قال لهم: لا تقلدوا الإمامة إلا فلانا بعينه، وإلا نزل بكم العذاب لأتاهم العذاب الأليم، وزال باب الانظار والامهال.

وبما أمر بسد باب الجميع وترك بابه. ثم قال: ما سددت ولا تركت، ولكنني أمرت فأطعت.

فقالوا: سددت بابنا وتركت لأحدثنا سناً!

فأما ما ذكروه من حداثة سنه، فإن الله لم يستصغر يوشع بن نون حيث أمر موسى أن يعهد الوصية إليه، وهو في سن ابن سبع سنين، ولا استصغر يحيى وعيسى لما استودعهما عزائمه وبراهين حكمته. وإنما فعل ذلك جل ذكره لعلمه بعاقبة الأمور، وأن وصيه لا يرجع بعده ضالا ولا كافراً.

وبأن عمد النبي «صلى الله عليه وآله» إلى سورة براءة، فدفعها إلى من علم أن الأمة تؤثره على وصيه، وأمره بقراءتها على أهل مكة، فلما ولَّى من بين أيديهم أتبعه بوصيه، وأمره بارتجاعها منه، والنفوذ إلى مكة ليقرأها على أهلها. وقال: إن الله عز وجل أوحى إلى أن لا يؤدي عني إلا رجل مني، دلالة منه على خيانة من علم أن الأمة يختاره [اختارته] على وصيه.

ثم شفع ذلك بضم الرجل الذي ارتجع سورة براءة منه، ومن يوازره في تقدم المحل عند الأمة إلى عَلَمِ النفاق (عمرو بن العاص) في غزاة ذات السلاسل. وولَّاهما عمرو، وحرس عسكره.

وختم أمرهما: بأن ضمهما عند وفاته إلى مولاه أسامة بن زيد، وأمرهما بطاعته، والتصريف بين أمره ونهيه، وكان آخر ما عهد به في أمر أمته قوله: انفذوا جيش أسامة، يكرر ذلك على أسماعهم، إيجابا للحجة عليهم في إيثار المنافقين على الصادقين.

ولو عددت كل ما كان من رسول الله «صلى الله عليه وآله» في إظهار معايب المستولين على تراثه، لطال، وإن السابق منهم إلى تقلد ما ليس له بأهل، قام هاتفا على المنبر، لعجزه عن القيام بأمر الأمة، ومستقيلاً مما تقلده، لقصور معرفته عن تأويل ما كان يسأل عنه، وجهله بما يأتي ويذر.

ثم أقام على ظلمه، ولم يرض باحتقاب عظيم الوزر في ذلك حتى عقد الامر من بعده لغيره، فأتى التالي له بتسفيه رأيه، والقدح والطعن على أحكامه، ورفع السيف عمن كان صاحبه وضعه عليه، ورد النساء اللاتي كان سباهن على أزواجهن، وبعضهن حوامل.

وقوله: قد نهيته عن قتال أهل القبلة، فقال لي: إنك لحدب على أهل الكفر. وكان هو في ظلمه لهم أولى باسم الكفر منهم.

ولم يزل يخطئه ويظهر الازراء عليه، ويقول على المنبر، كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها، فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه، وكان يقول قبل ذلك قولاً ظاهراً: إنه حسنة من حسناته. ويود أنه كان شعرة في صدره، وغير ذلك من القول المتناقض، المؤكد بحجج الدافعين لدين الاسلام.

وأتى من أمر الشورى، وتأكيده بها عقد الظلم والالحاد، والبغي والفساد، حتى تقرر على إرادته ما لم يخف على ذي لب موضع ضرره.

ولم تطق الأمة الصبر على ما أظهره الثالث من سوء الفعل، فعاجلته بالقتل، واتسع بما جنوه من ذلك لمن وافقهم على ظلمهم، وكفرهم ونفاقهم، محاولة مثل ما أتوه من الاستيلاء على أمر الأمة.

كل ذلك لتتم النظرة التي أوجبها الله تبارك وتعالى لعدوه إبليس، إلى أن يبلغ الكتاب أجله، ويحق القول على الكافرين، ويقترب الوعد الحق الذي بينه الله في كتابه بقوله: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾. وذلك إذا لم يبق من الاسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، وغاب صاحب الامر بايضاح العذر له في ذلك، لاشتمال الفتنة على القلوب، حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوة له، وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها، ويظهر دين نبيه «صلى الله عليه وآله» على يديه على الدين كله ولو كره المشركون.

وأما ما ذكرته من الخطاب الدال على تهجين النبي «صلى الله عليه وآله» والازراء به، والتأنيب له، مع ما أظهره الله تبارك وتعالى في كتابه من تفضيله إياه على سائر الأنبياء، فإن الله عز وجل جعل لكل نبي عدوا من المشركين، كما قال في كتابه، وبحسب جلالة منزلة نبينا «صلى الله عليه وآله» عند ربه كذلك عظم محنته لعدوه، الذي عاد منه إليه في حال شقاقه ونفاقه، كل أذى ومشقة لدفع نبوته وتكذيبه إياه، وسعيه في مكارهه، وقصده لنقض كل ما أبرمه، واجتهاده ومن مالأه على كفره وفساده، ونفاقه وإلحاده في إبطال دعواه، وتغيير ملته، ومخالفة سنته.

ولم ير شيئاً أبلغ في تمام كيده من تنفيرهم من موالاة وصيه، وإيحاشهم منه، وصدهم عنه وإغرائهم بعداوته، والقصد لتغيير الكتاب الذي جاء به، وإسقاط ما فيه من فضل ذوي الفضل، وكفر ذوي الكفر منه، وممن وافقه على ظلمه، وبغيه وشركه.

ولقد علم الله ذلك منهم، فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا**﴾، وقال: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ**﴾، ولقد أحضروا الكتاب كملاً مشتملاً على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، لم يسقط منه حرف ألف ولا لام، فلما وقفوا على ما بينه الله من أسماء أهل الحق والباطل، وأن ذلك إن ظهر نقض ما عقدوه، قالوا: لا حاجة لنا فيه، ونحن مستغنون عنه بما عندنا، ولذلك قال: ﴿**فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾.

ثم دفعهم الاضطرار بورود المسائل عليهم عما لا يعلمون تأويله، إلى

جمعه وتأليفه، وتضمينه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم، فصرخ مناديهم: من كان عنده شيء من القرآن فليأتنا به، ووكلوا تأليفه ونظمه إلى بعض من وافقهم على معاداة أولياء الله، فألفه على اختيارهم، وما يدل للمتأمل له على اختلال تمييزهم وافترائهم وتركوا منه ما قدَّروا أنه لهم، وهو عليهم، وزادوا تناكره وتنافره.

وعلم الله أن ذلك يظهر ويبين، فقال: ﴿**ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ**﴾، وانكشف لأهل الاستبصار عوارهم وافتراؤهم.

والذي بدا في الكتاب من الازراء على النبي «صلى الله عليه وآله» من فرية الملحدين، ولذلك قال جل ذكره: ﴿**وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا**﴾. فيذكر [جل ذكره] لنبيه «صلى الله عليه وآله» ما يحدثه عدوه في كتابه من بعده بقوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ**﴾ يعني: أنه ما من نبي تمنى مفارقة ما يعانيه من نفاق قومهم وعقوقهم، والانتقال عنهم إلى دار الإقامة إلا ألقى الشيطان المعرض بعداوته عند فقده في الكتاب الذي أنزل عليه ذمه، والقدح فيه، والطعن عليه، فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين، فلا تقبله ولا تصغي إليه غير قلوب المنافقين والجاهلين و ﴿**يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ**﴾ بأن يحمى أولياءه من الضلال والعدوان، ومشايعة أهل الكفر والطغيان، الذين لم يرض الله أن يجعلهم كالأنعام حتى قال: ﴿**بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾، فافهم هذا واعلمه، واعمل به.

واعلم أنك ما قد تركت مما يجب عليك السؤال عنه أكثر مما سألت،

وإني قد اقتصرت على تفسير يسير من كثير، لعدم حملة العلم، وقلة الراغبين في التماسه، وفي دون ما بينت لك بلاغ لذوي الألباب.

قال السائل: حسبي ما سمعت يا أمير المؤمنين. شكر الله لك استنقاذي من عماية الشك، وطخية الإفك، وأجزل على ذلك مثوبتك، إنه على كل شيء قدير..

وصلى الله أولاً وآخراً على أنوار الهدايات، وأعلام البرايات، محمد وآله أصحاب الدلالات الواضحات، وسلم تسليماً كثيراً[١].

---

(١) بحار الأنوار ج١ ص٩٨ ـ ١٢٧ والاحتجاج للطبرسي ص١٢٥ ـ ١٣٧ و (ط دار النعمان ـ النجف) ج١ ص٣٥٨ ـ ٣٨٤.

الفصل الثامن:

وقفات مع الحوار السابق..

بداية:

تضمن الفصل السابق نص الحوار الذي قيل: إنه جرى بين أحد الزنادقة، وبين أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام..

وفي هذا النص موارد كثيرة ينبغي الوقوف عندها، والتأمل فيها نذكر منها ما يلي:

يا جبرئيل، هل رأيت ربك؟!:

تضمنت الرواية المتقدمة سؤال النبي «صلى الله عليه وآله» جبرئيل: «يا جبرئيل، هل رأيت ربك؟!

فقال جبرئيل «عليه السلام»: إن ربي عز وجل لا يرى..

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من أين تأخذ الوحي؟!.

فقال: من إسرافيل؟!

قال: ومن أين يأخذْ إسرافيل؟!

قال: يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين.

قال: فمن أين يأخذه ذلك الملك؟!

قال: يقذف في قلبه قذفاً إلخ..».

فهنا سؤالان:

أولهما: إن رؤية الرب ممتنعة بحكم العقل، فما معنى أن يسأل النبي «صلى الله عليه وآله» جبرئيل: إن كان قد رأى ربه.

الثاني: لماذا هذه الوسائط بين جبرئيل، وبين الله؟! ألم يكن بالإمكان أن يقذف الله ما يريد الوحي به في قلب جبرئيل قذفاً؟!..

أجاب العلامة المجلسي «رحمه الله» على السؤال الأول:

بأن من الممكن أن يكون المطلوب: أن يُعْلَم بالوحي كما عُلِمَ بالعقل، ويخبر الناس بما أوحي إليه من ذلك(١).

غير أننا نقول:

إن هذا الجواب غير تام، فإن جبرئيل لم يخبر عن الله تعالى بأن الله لا يرى، بل ظاهر كلامه أنه قد قال ذلك من عند نفسه، إستناداً إلى بداهة هذا الأمر وظهوره.

ولعل الأنسب في الجواب أن يقال: إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يعرِّف الناس بأن الملائكة لا ترى الله تعالى عيانا، فلا مجال لتوهم أنه تعالى محجوب عن خصوص البشر، وليس محجوباً عن الملائكة، لأنهم مثله تعالى في عدم رؤية البشر لهم..

ونجيب على السؤال الثاني:

---

(١) بحار الأنوار ج١٨ ص٢٥٨.

بأن من الممكن أن يكون المطلوب هو بيان أن عظمة الله تعالى تجعل تلقي الكلام منه، ولو بواسطة القذف في القلب ليس بالأمر العادي والسهل. بل هو يحتاج إلى مراحل وإلى تنزل في الدرجات والمراتب.

ولولا ذلك لأمكن القول بأنه إذا كانت القضية مجرد قذف كلام في قلب مخلوق، فلماذا لا يقذف الله كلامه في قلب نبيه مباشرة، ومن دون حاجة إلى جبرئيل؟!

على أن من الجائز أيضاً أن تكون هناك مصالح وحكم تدبيرية، تقضي بأن يمر هذا الوحي عبر عظماء الملائكة، الذين لهم دور في هذا التدبير كما دل عليه قوله تعالى: ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**﴾(١)، فإن لمعرفتهم بهذا الوحي دوراً وأثراً في جدهم اجتهادهم في تدبير وحفظ ما أوكل إليهم حفظه، وتدبيره..

سجود إبليس للتمكين من النظرة:

ولم يتضح لنا المراد بقوله في الرواية: أن إبليس سجد سجدة أربعة آلاف عام، يريد بها زخرف الأرض، والتمكين من النظرة..

فلعل المراد بالنظرة هي تلك التي أشير إليها في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ**﴾(٢).

---

(١) الآية ٥ من سورة النازعات.

(٢) الآية ٣٧ من سورة الحجر، والآية ٨٠ من سورة ص.

تحريف القرآن:

وقد تضمنت الرواية المتقدمة دعوى الزيادة والنقيصة في القرآن. وتحريف آياته. وأنهم أثبتوا في القرآن كلام الملحدين، وأسقطوا منه أسماء حججه، إلى غير ذلك.. وقد تكرر التأكيد على ذلك في الرواية المتقدمة.

وهذا القول مردود عند الشيعة الإمامية، وإنما هو من ترهات الغلاة، وأهل الحديث من غير الشيعة.. وما روي بأسانيد معتبرة عند الشيعة، فإنما يقصد به أنه قد نزل تفسير بعض الآيات من عند الله تعالى. وليس ذلك بقرآن، بل هو من قبيل الأحاديث القدسية، أو من قبيل بعض البيانات التي يبلغها جبرئيل للنبي «صلى الله عليه وآله»، مما عرفه من قبل الله، كما تعرف الملائكة أموراً كثيرة، وليست معارفها هذه جزءاً من القرآن..

وقد حدثنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكثير من الحقائق والدقائق والأسرار، وليست من القرآن، مثل حديث: إن أول خلق خلقه الله عز وجل العقل، فقال له: أقبل. فأقبل.

ثم قال له: أدبر. فأدبر.

فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليَّ منك، بك آخذ، وبك أعطى، وبك أثيب وبك أعاقب(١).

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٣٦٩ وكنز الفوائد ص١٤ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٤٤٢ ومستطرفات السرائر ص٦٢١ والجواهر السنية للحر

ومهما يكن من أمر، فقد أثبتنا في كتابنا: «حقائق هامة حول القرآن» بطلان مقولة التحريف، إلا إن كان المقصود بالإسقاط من القرآن هو تجريده من التفسير المنزل من عند الله لبعض آياته، وإسقاط البيانات للمحكم والمتشابه، والناسخ ، والمنسوخ، وشأن النزول وفي من نزلت الآيات، ومتى وأين نزلت.. وغير ذلك..

والمقصود بالزيادة هو المعاني والتطبيقات المخترعة، والتي لا أساس لها والمقصود بتحريفه هو ما أشارت إليه الرواية عن الإمام الباقر «عليه السلام»: أقاموا حروفه. وحرفوا حدوده.

وخلاصة الأمر: أن هذه الرواية تسقط عن الاعتبار لمجرد دعواها تحريف القرآن، لأن الأدلة القاطعة والبراهين قد قامت على أن القرآن خالٍ من جميع أشكال التحريف، وأنه لم يسقط منه، ولم يزد فيه شيء..

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن آية ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ**﴾(١). قد تعرضت للتحريف، وزعمت:

العاملي ص١٤٥ وبحار الأنوار ج٧٤ ص٥٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٣٤٣ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٣١٦ ونهج السعادة ج٨ ص١٨٥ وراجع: كشف الخفاء ج١ ص٢٦٣ والوافي بالوفيات ج٦ ص١٨٧ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٥ وأعلام الدين في صفات المؤمنين للديلمي ص١٧٢ والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٦٣.

(١) من الآية ٣ من سورة النساء.

أن التناكر ظاهر جلي في بعض الروايات، فإن المنافقين قد أسقطوا من بين ألا تقسطوا في اليتامى وبين قوله: فانكحوا ما طاب لكم من النساء، من الخطاب، والقصص أكثر من ثلث القرآن

ونقول:

إن فقرات الآية المذكورة آنفاً منسجمة تمام الانسجام، فإن العرب كانوا كثيري الحروب، فتكثر بسبب ذلك أيتامهم. فكان صناديدهم وأقويائهم يتزوجون البنت اليتيمة، التي تملك أموالاً، فيأكل زوجها ومن معه ثروتها، ثم يطلقها..

وربما يتزوج أحدهم امرأة لها أولاد يتامى من زوج سابق، ولهم أموال، فيذهب بأموال أولئك اليتامى، ثم يتخلى عنهم وعنها..

وقد أشار الله تعالى: إلى هذه التصرفات اللاأخلاقية وحث على حفظ أموال اليتامى في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا**﴾(١).

وقال تعالى: ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ**﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ**

---

(١) من الآية ١٠ من سورة النساء.

(٢) من الآية ١٢٧ من سورة النساء.

مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي أنكم إذا خفتم ألا تقسطوا في اليتامى من النساء اللاتي تتزوجونهن، أو في أولادهن اليتامى، أو خفتم أن تعتدوا على أموالهن وأموال أولادهن، فذروا تلك النساء، وتزوجوا بغيرهن مما طاب لكم من النساء..

هل هذه كلمات أمير المؤمنين عليه السلام؟!:

وهذا الخلل الظاهر في فهم معنى الآيات المباركة، الذي خولهم ادعاء تحريف القرآن، وكذلك سائر ما ذكرناه فيما سبق، يضع علامة استفهام كبيرة حول هذه الرواية، ويثير الشك في أن تكون كلها من كلمات علي «عليه السلام».. ويطرح احتمال أن يكون بعضهم قد حاول شرح الرواية التي ذكرها الصدوق في كتاب التوحيد، وهي الرواية التي أفردناها في فصل مستقل ـ سيأتي إن شاء الله ـ فأضاف ذلك البعض أموراً من عنده ظن أنها مما يصح نسبة مضامينها إليه «عليه السلام».

ويزيد هذا الاحتمال قوة: أن الأسلوب البياني في الرواية لم يكن بالمستوى الذي عهدناه في سائر ما وصلنا من كلام أمام الفصحاء والبلغاء «عليه السلام»، بل هو يعاني من التعقيد، والإبهام، بل والتكلف الظاهر في بيان كثير من مقاصده. إن لم نقل: إننا نلمح درجة من الركاكة في بعض المواضع..

هذا عدا عن أن الطريقة الحوارية لم تأت وفق ما هو معروف ومألوف، بل جاءت مشوشة، وانتقائية لبعض القضايا دون بعض. وبعضها جاء بصورة تقريرية غير معهودة. ولكن الراوي كان يسعى لتناول ما ينسجم

مع خلفياته الاعتقادية والثقافية، فكانت النتيجة: أنه لم يوفق إلا لشرح بعض أجزاء هذا الحوار.

ولعل رواية الصدوق هي الأساس، كما ربما يدل عليه هذا التوافق التام بين مضامين قسم من هذه الرواية مع تلك الرواية التي ذكرها الصدوق في كتاب التوحيد. فراجع..

سمى اللعنة قتالاً:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة أن المراد بقوله تعالى: ﴿**قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ هو لعنهم الله، فسمى اللعنة قتالاً..

والظاهر: أن المراد هو أن القتال يقتضي أن يكون الذي يقاتله الله مطروداً من رحمته تعالى.. واللعن هو الدعاء بإبعاد الملعون من رحمة الله سبحانه. فقد توافقا من هذه الجهة، فصح إطلاق هذا على ذاك بنحو من التسامح.

الأئمة والخلق والرزق:

تقول الرواية: إن الأئمة «عليهم السلام» هم أولوا الأمر، والمقصود بالأمر هو ذلك الذي تتنزل الملائكة به ليلة القدر: من خلق، ورزق، وأجل وعمل، وحياة وموت، وعلم غيب السماوات والأرض، والمعجزات التي لا تنبغي إلا لله سبحانه وأصفيائه وسفرائه بإقدار منه تعالى إلخ..

وهذا يخالف ما ورد عنهم «عليهم السلام»، من روايات منعت من إطلاق صفة الخالق، والرازق، والرب على غير الله سبحانه، وفرضت

التحاشي عن إطلاق هذه التعابير.

وهي لا تفسح المجال للتأويلات المختلفة التي يمكن التماسها لمن يتفوه بها. وهي عدة روايات، نذكر منها:

ألف: ماجيلويه، عن علي بن إبراهيم، عن إبراهيم بن هاشم، عن ياسر الخادم قال: «قلت للرضا «عليه السلام»: ما تقول في التفويض؟!

فقال: إن الله تبارك وتعالى فوض إلى نبيه «صلى الله عليه وآله» أمر دينه فقال: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[١]، فأما الخلق والرزق فلا.

ثم قال «عليه السلام»: إن الله عز وجل ﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ وهو عز وجل يقول: ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[٢]»[٣].

ب: أبو الحسن علي بن أحمد الدلال القمي، قال: «اختلف جماعة من الشيعة في أن الله عز وجل فوض الأئمة «عليهم السلام» أن يخلقوا ويرزقوا؟!

---

(١) الآية ٧ من سورة الحشر.

(٢) الآية ٤٠ من سورة الروم.

(٣) بحار الأنوار ج١٧ ص٧ وج٢٥ ص٣٢٨ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٢١٩ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج١ ص٣٧٦ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٢٧٩ وغاية المرام ج٥ ص١٣٣.

فقال قوم: هذا محال لا يجوز على الله عز وجل، لأن الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز وجل.

وقال آخرون: بل الله عز وجل أقدر الأئمة «عليهم السلام» على ذلك، وفوض إليهم، فخلقوا ورزقوا.

وتنازعوا في ذلك تنازعاً شديداً.

فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان، فتسألونه عن ذلك، ليوضح لكم الحق فيه، فإنه الطريق إلى صاحب الأمر؟!

فرضيت الجماعة بأبي جعفر، وسلمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة، وأنفذوها إليه.

فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته:

إن الله تعالى هو الذي خلق الأجسام، وقسم الأرزاق، لأنه ليس بجسم، ولا حال في جسم، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.

فأما الأئمة «عليهم السلام»، فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألون فيرزق، إيجاباً لمسألتهم، وإعظاماً لحقهم»(١).

ج: وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: «جاء رجل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: السلام عليك يا ربي.

---

(١) بحار الأنوار ٢٥ ص٣٢٩ والغيبة للطوسي ص٢٩٣ و ٢٩٤ والاحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢٨٤ و ٢٨٥ و إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ج١ ص٣٨٦.

فقال: ما لك لعنك الله؟! ربي وربك الله إلخ..»[١].

د: وهناك حديث دخول عشرة على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقولهم له: إنك ربنا، وأنت الذي خلقتنا وأنت الذي رزقتنا، فمنعهم «عليه السلام» عن قولهم ذاك[٢].

هـ: وفي الصحيح عن أبي بصير، قال: قال لي أبو عبد الله «عليه السلام»: يا أبا محمد، أبرأ ممن يزعم أنا أرباب.

قلت: برئ الله منه إلخ..[٣].

و: قد لعن الإمام الصادق «عليه السلام» من قال: إن الإمام هو الذي

(١) بحار الأنوار ج٢٥ ص٢٩٧ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١٥ وخاتمة المستدرك ج٤ ص١٤٣ وإختيار معرفة الرجال ج٢ ص٥٨٩ ومعجم رجال الحديث ج١٥ ص٢٦٥.

(٢) بحار الأنوار ج٢٥ ص٢٩٩ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١٥ واختيارمعرفة الرجال ج١ ص٢٨٨ وج٢ ص٥٩٦ ووسائل الشيعة (ط الإسلامية) ج٢٠ هامش ص٢٩٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٨ ص١٦٣ ومعجم رجال الحديث ج١٠ ص٢٩ وج١٥ ص٨٨.

(٣) بحار الأنوار ج٢٥ ص٢٩٧ ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٣١٨ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١٦ واختيار معرفة الرجال ج٢ ص٥٨٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص٤٤٨ ومعجم رجال الحديث ج١٥ ص٢٦٤.

خلق ورزق(١).

ز: ومن دعاء الرضا «عليه السلام»: اللهم من زعم أنا أرباب، فنحن منه براء، ومن زعم أن إلينا الخلق، وإلينا الرزق، فنحن براء منه، كبراءة عيسى بن مريم من النصارى(٢).

ح: وعن الإمام الرضا «عليه السلام»: في حديث: فمن ادعى للأنبياء ربوبية،وادعى للأئمة ربوبية أو نبوة، أو لغير الأئمة إمامة، فنحن منه براء في الدنيا والآخرة(٣).

وهناك أحاديث أخرى تشير إلى هذه المعاني..

غير أن من الواضح: أن ذلك لا يمنع من أن يجعلهم الله تعالى أسباباً للفيض، والعطاء، فيعطي تعالى بهم من يشاء، ويمنع بهم من يشاء، ويرزق بهم عباده، ويحيي بهم بلاده، وينزل بهم المطر، ويمسك بهم السماء. وإن كان لا يصح إطلاق صفة الخالق والرازق، والأرباب عليهم «صلوات الله

---

(١) بحار الأنوار ج٢٥ ص٢٩١ واختيار معرفة الرجال ج٢ ص٤٨٨ وجامع الرواة ج٢ ص٤٢٢ ومجمع رجال الحديث للسيد الخوئي ج٢٣ ص٨٢.

(٢) بحار الأنوار ج٢٥ ص٣٤٣ والاعتقادات للمفيد ص١٠٠ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١٦.

(٣) بحار الأنوار ج٢٥ ص١٣٥ و ٢٧٢ وج٣١ ص٦٦٠ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١٧ ومدينة المعاجز ج٧ ص١٥٢ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج٢ ص١٣٤.

وسلامه عليهم أجمعين».

النص على الإمامة غير صريح:

ومما يدل على أن هذه الرواية لم تأت وفق النهج الصحيح والسليم: أنها ذكرت أن النبي «صلى الله عليه وآله» أثبت حجة الله تعريضاً لا تصريحاً.

بل زعمت: أن قوله «صلى الله عليه وآله»: «من كنت مولاه فهذا مولاه.

وقوله «صلى الله عليه وآله»: «وهو مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» ليس تصريحاً في نصب علي «عليه السلام» في مقام الإمامة. بل هو تعريض..

فلو أنه قال لهم: لا تقلدوا الإمامة إلا فلاناً بعينه، وإلا نزل بكم العذاب، لنزل بهم العذاب الأليم.

ولكنه ذكر لهم حديث المنزلة، والأمة تعلم أن النبي لا يتكلم جزافاً، فيلزم أن تعلم: أنه لما كانت النبوة والأخوة موجودتين في هارون، ومعدومتين في علي الذي جعله بمنزلة هارون، فلا بد من أن مراده «صلى الله عليه وآله» بكلامه هذا جعله علياً «عليه السلام» خليفة له من بعده، كما استخلف موسى هارون، حيث قال: أخلفني في قومي..

كما أنه سد الأبواب إلا باب علي، وإرساله بسورة براءة فيهما تعريض بإمامته. وغير ذلك.

ونقول:

إن هذا الكلام غير مقبول عند علي «عليه السلام» والأئمة الطاهرين، ولبيان ذلك نقول:

لا بد من ملاحظة النقاط التالية:

١ ـ إن هذا قد جاء وفق مذهب الجارودية من الزيدية، الذين قالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» نص على علي «عليه السلام» بالوصف دون التسمية[١].

٢ ـ إنه يتوافق أيضاً مع قول عمر بن الخطاب عن علي «عليه السلام»: «لقد كان من رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أمره ذرو من قول، لا يثبت حجة، ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما. ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه، فمنعت من ذلك إشفاقاً، وحيطة على الإسلام إلخ..»[٢].

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (ط سنة ١٣٦٨ هـ.) ج١ ص٢٥٥.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص٢٠ ـ ٢١ وص٧٩ عن تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر، وكشف الغمة للأربلي ج٢ ص٤٧ وبحار الأنوار (ط كمباني) ج٦ ص٢١٣ و ٢٦٦ و ٢٩٢ و (ط سنة ١٤٠٣هـ) ج٣٠ ص٢٤٤ وراجع ص٥٥٦ وج٣٠ ص٧٥ وج٣٨ ص١٥٧ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٣٩٥ والدرجات الرفيعة ص١٠٦ وكشف اليقين ص٤٧١ والتحفة العسجدية ص١٤٤ وسفينة النجاة للتنكابني ص٢٢٦ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٤٥٠ وغاية المرام ج١ ص٢٤٢ وج٦ ص٩٢ وحلية الأبرار ج٢

٣ ـ أن الثابت عند الشيعة الإمامية هو أنه «صلى الله عليه وآله» قد نص على أمير المؤمنين بمختلف الأنحاء، وسماه وعينه بكل طريقة ترفع اللبس. ولم يكتف بالتعريض، كما في بعث أبي بكر بسورة براءة، وتأميره «صلى الله عليه وآله» بعض الصحابة على أبي بكر وعمر، وعدم تأمير أحد على علي «عليه السلام». وغير ذلك من دلالات وإشارات يحتاج إلى تنبه ودراية، واستدلال، وإدراك للطائف الكلام، ومعرفة وجوهه ولوازمه القريبة والبعيدة، كما تدعيه هذه الرواية..

نعم.. لم يكتف بالوصف والتعريض، بل لجأ إلى التصريح والتوضيح بأقصى ما يمكن من الصراحة.

وحسبك دليلاً على ذلك واقعة إنذار العشيرة، حيث قال «صلى الله عليه وآله»: من الذي يبايعني على روحه، وهو وصيي وولي هذا الأمر من بعدي، فلم يبايعه أحد، حتى مد أمير المؤمنين علي «عليه السلام» يده إليه، فبايعه على روحه، ووفى بذلك.. حتى كانت قريش تعير أبا طالب: إنه أَمَّر عليك ابنك(١).

ومثل ما جرى واقعة الغدير، من نصبه ولياً للأمة، وأخذ البيعة له من الناس، فهل هناك دلالة أصرح وأوضح من هذا؟!

ص٣٢١.

(١) الملل والنحل (ط سنة ١٣٦٨ هـ. ق.) ج١ ص٢٦٦ و (ط دار المعرفة) ج١ ص١٦٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٠ ص٢٣ وراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج١ ص١٩٧.

٤ ـ أضف ذلك إلى عشرات النصوص الأخرى، التي تؤكد على ولايته «عليه السلام» للناس بعده «صلى الله عليه وآله». وكان «عليه السلام» هو وأهل بيته وشيعته يحتجون بها على مناوئيه، وأنصارهم وأتباعهم، ويذكرون الناس بها باستمرار، وكانوا يستشهدون الصحابة على واقعة الغدير في رحبة الكوفة، وفي منى، وفي غيرها وكان العشرات منهم يشهدون له بذلك..[١].

٥ ـ ولو كان النص مفقوداً، ولم يتجاوز الأمر التعريض، لم يصح الاحتجاج، ولا جاز العتب على أحد، فضلاً عن أن يسوِّغ «عليه السلام» هو وأصحابه لأنفسهم قتالهم[٢]، ويعتبرهم رسول الله من الغادرين[٣]،

---

(١) راجع: كتابنا هذا حيث الحديث عن بيعة الغدير.

(٢) وقد صرح «عليه السلام»: بأن المانع عن قتالهم هو عدم وجود الناصر، فراجع: مروج الذهب ج٢ ص٣٤٣.

(٣) نزل الأبرار ص٢٦١ وتاريخ بغداد ج١١ ص٢١٦ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٤٢ وتلخيصه للذهبي، وكنز العمال ج٦ ص٧٣ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٢٩٧ و ٦١٧ وبغية الباحث ص٢٩٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص١٠٧ وج٢٠ ص٣٢٦ والتاريخ الكبير للبخاري ج٢ ص١٧٤ وتاريخ بغداد ج١١ ص٢١٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٤٧ و ٤٤٨ وتذكرة الحفاظ ج٣ ص٩٩٥ وميزان الاعتدال للذهبي ج١ ص٣٧١ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٦ ص٢٤٤ وج٧ ص٣٦٠ وبحار الأنوار

فإن الحجة لا تقوم على الناس بالتعريضات والكنايات التي تحتاج إلى استدلال وجهد فكري، وقد يوفق الإنسان لإدراك المراد، وقد لا يوفق..

٦ ـ إن الاعتماد في مثل هذا الأمر على التعريضات ينافي في الحكمة، فإن التعريضات تفتح أمام الناس مجال المكابرة والإنكار، وتؤدي بالتالي إلى الاختلاف، والتدابر والتناحر، وليس هذا من الوفاء، ولا من النصيحة للأمة في شيء..

٧ ـ على أن بعض الكنايات والتعريضات تكون أشد وضوحاً من التصريح، كما هو الحال في قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾، فقد تضمنت هذه الآية جعل الولاية مع ذكر الدليل والمبرر لجعلها، وهو إيتاء الزكاة في حال

(ط حجرية) ج٨ ص٦٢٩ و (ط سنة ١٤٠٣هـ) ج٢٨ ص٤٥ وج٢٩ ص١٧١ و ٤١٩ و ٤٥٣ و ٥٥٧ وج٣٤ ص٣٣٨ والخصال ص٤٦٢ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٧٢ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٥٣٣ و ٥٤٥ وشرح الأخبار ج١ ص١٥٢ و ٤٣٦ وج٢ ص٤٤٦ والإرشاد للشيخ المفيد ج١ ص٢٨٥ وكنز الفوائد ص٢٧٩ والأمالي للطوسي ص٤٧٦ والاحتجاج ج١ ص٩٨ و ٢٨٠ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٧ والطرائف لابن طاوس ص٤٢٧ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار ص٦٨ والمراجعات ص٢٥١ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص١٣٤ والدرجات الرفيعة ص٣٨ والجمل لابن شدقم ص١٣ واليقين لابن طاوس ص٣٣٧ والجمل للمفيد ص٩٢.

الركوع، مع معرفة الناس كلهم بأن الذي تصدق وهو راكع هو خصوص أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد رأوا كيف نزلت الآية الكريمة في حقه، دون سواه.

٨ ـ إن الرواية تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» لو صرح باسم علي «عليه السلام» للإمامة ثم خالفوا الأمر لنزل العذاب عليهم، ولا ندري من أين جاءت هذه المعادلة، ولماذا اقتضى التصريح بالاسم نزول العذاب؟! وقد ذكرنا أنه قد صرح باسمه، وبايعه الناس يوم الغدير و وإلخ.. ولم ينزل العذاب.

ولو فرضنا صحة هذه المعادلة، فإننا نقول:

إن العذاب هنا بمعنى إيكالهم إلى أنفسهم، وحجب الألطاف عنهم، ليواجهوا عواقب وآثار أعمالهم..

هذا كله عدا عن أن الله ورسوله قد صرحوا للناس بأمور كثيرة، ثم خالفوها، ولا يزالون يخالفون، ولم ينزل الله العذاب عليهم.

يوشع وصي موسى ابن سبع سنين:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن الله تعالى أمر موسى بأن يعهد بالوصية إلى يوشع، وهو ابن سبع سنين.

فإن صح هذا، فليكن من موارد التوافق التي تضاف إلى عشرات مثلها بين ما جرى ليوشع وما جرى لعلي «عليه السلام». وقد ذكرنا طائفة منها في كتابنا: «علي «عليه السلام» ويوشع» فراجع..

آيات الإزراء على الرسول صلى الله عليه وآله:

وقد صدقت الرواية ما ادعاه ذلك الرجل، من أن القرآن قد تضمن الإزراء على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وزعمت أن ذلك قد نشأ عن تحريف كتاب الله على يد الظالمين والغاصبين.

ثم ادعت أن معنى قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ**﴾، أنه إذا مات النبي ألقى الشيطان في كتابه الذي أنزل عليه ذمه، فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله. وتصغي إليه قلوب الجاهلين والمنافقين، ويحمي الله أولياء، من الضلال ومشايعة أهل الكفر والطغيان.

وهذا كلام باطل جزماً، إذ ليس في القرآن أي أثر للإزراء على الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»..

ونوضح ذلك فيما يلي:

آية التمني، ونسخ إلقاءات الشيطان:

بالنسبة لآية تمني الأنبياء، وإلقاء الشيطان في أمنياتهم، ثم نسخ الله إلقاءات الشيطان نقول:

لا بد من ملاحظة الأمور التالية:

١ ـ المراد من الآية الشريفة هو: أن كل نبي من الأنبياء يحب ويرغب (لأن التمني هو الرغبة في الأمر المحبوب) ما يتناسب مع وظيفته كنبي، وكرسول. وأعظم ما يتمناه الرسل هو ظهور الحق والهدى، وطمس

الباطل، ورد كيد الأعداء.

أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ، (ولم يقل: في فكره، ولا في قلبه) وأمنيته هي ظهور الحق ـ يلقي فيها ـ ما يفسدها، ويوجب عدم ظهورها.

فالأمنية هي: الشيء الذي يتمناه الإنسان ويرغب فيه، كما تقول: أمنيتي شفاء ولدي، أو نجاحه في الامتحان، ثم يحصل ما لم يكن بالحسبان مما يمنع من شفائه أو من نجاحه، كخطأ الطبيب في الدواء، أو غيبة معلمه، فتقول: إن الشيء الفلاني ضيع علي أمنيتي تلك وأفسدها، ولا يعني ذلك أن الشيء الذي ضيعها وأفسدها، وهو خطأ الطبيب مثلاً قد دخل في فكرك وقلبك، وأفسد التمني والرغبة لديك.

بل هو قد أفسد الأمنية والمتمنَّى. فالرغبة باقية، ولا تزال قائمة، والمتمني لم يزل يحب شفاء ولده ونجاحه بالامتحان، والذي فسد وضاع هو هذه الأمنية ذاتها.

ونطبق ذلك على ما نحن فيه، ونقول:

إن كل نبي يتمنى أمراً يناسب حاله، فذلك الأمر هو أمنيته، فيلقي الشيطان في تلك الأمنية، وفي ذلك الأمر بالذات (لا في نفس التمني والرغبة) ما يفسده ويضيعه، فيراه الناس ويفتتن الذين في قلوبهم مرض بفعل الشيطان، فتتدخل الإرادة الإلهية لتبطل كيد الشيطان، ويظهر نور الهدى، ويتجلى بطلان الباطل.

والقرينة على أن المراد بالأمنية هو ظهور الحق، وزهوق الباطل، قوله تعالى بعد هذا: ﴿**فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ**﴾، أي من شبهات وغوايات،

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ﴾، ويظهر نور الحق، والله عليم حكيم.

فظهر بذلك أيضاً: سبب قوله تعالى: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾، ولم يقل: في تمنيه.

٢ ـ قد ذكر العلامة الطباطبائي «رحمه الله»: أن المراد بالآية: أن إلقاء الشيطان في الأمنية النبوية إنما هو الواقع الخارجي، وأن الآية تتحدث عن إغواء الشيطان للآخرين.

ولكن بعض الناس رفض هذا القول مدعياً أن هذا يخالف دلالة الآية على تدخل الشيطان، في طبيعة الأمنية وفي داخل ذات النبي «صلى الله عليه وآله» على شكل خطورات في البال أو في الذهن.. إلخ.. حيث قال تعالى: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾، ثم فسر قوله تعالى: ﴿فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ بالإزالة من فكر النبي وقلبه.

ولكنه هو نفسه قد عاد وادعى: أن هذه الخطورات تنعكس على السلوك والممارسة، وتنشأ عنها آثار سلبية في الواقع الخارجي، فيضعف المؤمنون، ويقوى الكافرون بسبب ذلك.

وبهذا فسر قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾. ثم قال: بما أن مجرد الخطورات الذهنية لا توجب الافتتان من أحد، ما لم تظهر على صعيد الواقع حركة وسلوكاً وموقفاً، وبما أن الآية قد صرحت بحصول الفتنة لمن في قلوبهم مرض، فلا بد من القول: بأن تلك الخطورات قد تحولت إلى سلوك وعمل وممارسة كانت هي السبب في فتنة الناس.

والخلاصة: أن هذا البعض قد قرر للآية معنى يسيء إلى العصمة، حيث تستقر هذه الخطورات في النفس وتترجمها بالممارسة، كما أنه قد خالف ظاهر الآية أيضاً، لأن الآية تقول: إن نفس ما ألقاه الشيطان هو الذي يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض، فإذا كان هو هذه الخطورات الذهنية وحسب، فإنها لا يعرفها الناس ولا يرونها. فكيف يفتتنون بها!؟!

فلا بد من التأويل في الآية لتنطبق على الحركة والسلوك الخارجي للنبي «صلى الله عليه وآله». بادعاء أنها هي الخطورات الذهنية التي انتهت إلى تجسدها فيه.

والنتيجة هي: أن ما ألقاه الشيطان له معنيان:

أحدهما: الخطور في البال والقلب في قوله تعالى: ﴿**أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**﴾. وفي قوله تعالى: ﴿**فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ**﴾

الثاني: الحركة الخارجية والسلوك والممارسة: وذلك في قوله تعالى: ﴿**لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾.

ثم هو يقصد بالأمنية معنيين:

أحدهما: الرغبة والتمني، وذلك في قوله تعالى: ﴿**فِي أُمْنِيَّتِهِ**﴾ وقوله: ﴿**فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ**﴾

الثاني: ما نشأ عن الرغبة من حركة وسلوك، ومن مشاكل وآثار في الواقع الخارجي. وهو الذي افتتن به الذين في قلوبهم مرض، في قوله تعالى: ﴿**لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾.

ونقول:

إن من الواضح: أن ما ذكره باطل وغير صحيح، ويتضمن إساءة ظاهرة للرسول، وقد أوضحنا المراد منها، وظهر أن الذي ذكرناه نحن في معنى الآية، وكذلك الذي ذكره العلامة الطباطبائي لا يلزم عليه شيء من التبعات الفاسدة. حيث قلنا: إن المراد بالأمنية هو الشيء الذي يتمناه الإنسان، وليس المراد بها الرغبة والتمني.. وهذا هو الظاهر المتبادر.

أما ما ذكره ذلك البعض فهو مخالف لظاهر القرآن من أكثر من جهة، ولا مجال للأخذ به لما فيه من الجرأة على الله ورسوله.

آية الركون إلى الكافرين:

أما بالنسبة لقوله تعالى: **﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾**(١).

فنقول:

إن هذه الآيات لا تتضمن أي ازدراء أو انتقاص أو توهين برسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا من قريب ولا من بعيد، لأنها تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يركن إليهم، بل هو لم يقترب من الركون، لأن الله سبحانه قد أعطاه من العزيمة والثبات ما جعله في منأى عن ذلك.

---

(١) الآيات٧٣ ـ ٧٥ من سورة الإسراء.

وذلك بقرينة كلمة (لولا) الدالة على أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكد يركن، ولم يطف في ذهنه أي خيال، ولا خطر في باله من هذا الفعل حتى الاحتمال، فضلاً عن أن ينعكس ذلك على سلوكه، وممارسته، ويتسبب بخلق مشاكل، وتنشأ عنه آثار، أو ما إلى ذلك.

وهذا يدل على أنه تعالى ليس بصدد تسجيل أية إهانة لنبيه «صلى الله عليه وآله»، فلا معنى للإستشهاد بهذه الآية بأي وجه.

غير أن المقصود بهذا النحو من البيان هو إفهام الناس أمرين:

الأول: أن الله تعالى يرعى نبيه ويسدده ويحفظه، ويحوطه بألطافه، وعناياته.

الثاني: أن هذا الركون يعد من أعظم الموبقات والجرائم، حتى إنه لو صدر من أقرب الناس إلى الله وأحبهم إليه وأشدهم اجتهاداً في طاعته، وهم أنبياؤه ورسوله، بل حتى لو صدر من أعظمهم فضلاً وأسماهم مقاماً عنده، وهو سيدهم وخاتمهم، فإنه سوف لا يجد أية هوادة، أو تسامح، أو رفق في التعامل معه، فما بالك بمن قضى عمره بمعصية الله، وفعل ما يبغضه تبارك وتعالى..

وهذه طريقة في الزجر، شديدة الوقع، عظيمة الأثر في النفوس. وهي كما لو قال إنسان: لو أن ولدي فعل الشيء الفلاني لذبحته من الوريد إلى الوريد، فإنه لا يدل على بغضه لولده، ولا يدل على أن ولده يمكن أن يفكر في ارتكاب هذا الأمر. كما أنه لا يعد ذلك إهانة له. وعلى ذلك جاء قوله تعالى: **﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ**

الْوَتِينَ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٢]. فإنه يستحيل صدور ذلك من النبي «صلى الله عليه وآله»، ولكنه تعالى اراد أن يبالغ في الزجر عن هذا الأمر، ويصور للناس شدة مبغوضية بأعظم الصور تأثيراً في النفوس.

لا تكونن من الجاهلين:

وزعمت الرواية المتقدمة: أن الله سبحانه قد أزرى على النبي «صلى الله عليه وآله» وهجنه، وأنبه بما لم يخاطب به أحداً من الأنبياء حين نسبه إلى الجهل في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٣].

ونقول:

إن هذه الآية المباركة تمدح رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا تذمه، لأنها بصدد إظهار شدة حبه لإيمان قومه، حتى إنه لو استطاع أن يجد نفقاً في الأرض، أو سلماً في السماء، يوصله إلى آية تجعلهم يقبلون الهداية الإلهية لما تردد في سلوك هذا الطريق أو ذاك من أجل تحقيق هذا الغرض الشريف المعبر عن إخلاصه لدعوته، وعن شدة رغبته في إيمان قومه.

---

(١) الآيات ٤٤ ـ ٤٦ من سورة الحاقة.

(٢) الآية ٦٥ من سورة الزمر.

(٣) من الآية ٣٥ من سورة الأنعام.

ولكن الله تعالى قد كشف له أن الآيات لا تنفع هؤلاء الناس، لأنهم بمثابة الموتى الذين لا حياة لقلوبهم، بل الموتى لا بد أن يسمعوا حين يبعثهم الله تعالى يوم القيامة، أما هؤلاء فلا أمل بأن يتغير حالهم من الضلال إلى الهداية، بل سيبقون على حالة الجحود، والصدود إلى اليوم الموعود..

وبعد هذا البيان الإلهي لا يبقى مورد للعمل على هدايتهم، لأن كل جهد يبذل في هذا السبيل سيكون عبثياً، وغير منطقي. فهو من عمل الجاهلين.

فقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين قد جاء للتأكيد على مدى عنادهم وجحودهم، لكي لا يتوهم أحد أنه قد جاء على سبيل المبالغة، أو المجاز..

فإذا وضع الله تعالى حداً لجهد نبيه، وأصدر أمراً جدياً بتوقف نبيه عن العمل من أجل هدايتهم ـ مع أن هداية الناس وبذل الجهد في هذا السبيل هي من أولى أولوياته ـ فذلك لا يعني أنه يريد إهانة نبيه، بل يعني أنه بصدد بيان مدى جحود عدوه. وضياع كل جهد لإصلاحه وصيرورته بلا معنى..

والله أحق أن تخشاه:

أما بالنسبة لآية: ﴿وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾. فإنها أيضاً واردة في سياق الثناء على رسول الله «صلى الله عليه وآله». ونحن نستعير هنا ما ذكرناه في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» لنقدمه للقارئ الكريم، لتوضيح ما نرمي إليه، وهو كما يلي:

دلت هذه الآيات المباركة: على أن على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقدم على الزواج من زينب بنت جحش برضا نفس، وبسكينة تامة، وأن لا يخشى أحداً من الناس فيه. فإن تشنيعاتهم لا تصل إلى نتيجة.

كما أن الحسيب الذي لا يحيف، ويزن بميزان الحق والعدل هو الله وحده. أما البشر فإنهم يخلطون الحق بالباطل، وتتدخل أهواؤهم، ومصالحهم، وعصبياتهم في حساباتهم، وفي محاسباتهم، فلا عبرة بها، وعليه أن يعرض عنها، فلا يقيم لها وزناً، وعليه أن يكتفي بمراعاة جانب الحسيب الصادق، والعادل، والدقيق، وهو الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾..

فاتضح: أن هذه الآيات المباركات ليس فقط لا تتضمن ذماً ولا لوماً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنما هي تعلن بمدحه، وسمو مقامه. وهي تبرئه مما قد ينسبه إليه الجاهلون والمغرضون، والحاقدون، والذين في قلوبهم مرض.

لأنها تضمنت الإلماح إلى أنه «صلى الله عليه وآله» كان يخشى من تطاول الناس على مقام النبوة الأقدس، وأن ينالوه بمقالاتهم القبيحة، الأمر الذي يحمل معه أخطار الحد من قدرته على نشر كلمة الله تعالى فيهم، وفي غيرهم ممن بعثه الله تعالى إليهم.

فجاء التطمين الإلهي ليقول له: إن الله هو المتكفل برد عاديتهم، وإبطال كيدهم، فلا داعي للخوف، ولا مجال للتحرج في هذا الأمر.

خشية النبي صلى الله عليه وآله على الدين:

ومما يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» إنما كان يخشى الناس على

الرسالة والدين، لا على نفسه، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾.

كما أن خشيته «صلى الله عليه وآله» للناس لم تكن على حساب خشية الله تعالى. كيف وهو «صلى الله عليه وآله» القائل: «أنا أخشاكم لله، وأتقاكم له»[1].

---

(١) بهجة المحافل ج١ ص٢٩٠ وشرحه للأشخر اليمني (مطبوع بهامشه) عن البخاري، ومسلم، والنسائي. وصحيح البخاري (ط دار المعرفة) ج٦ ص١١٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٧٧ وتفسير الآلوسي ج٢٢ ص١٩١ وتفسير أبي السعود ج٧ ص١٥١ وتفسير البيضاوي ج٤ ص٤١٨ وتفسير البغوي ج٣ ص٤٠٧ و ٥٣٢ و بحار الأنوار ج٦٧ ص٣٤٤ والتفسير الصافي ج٤ ص٢٣٧ وج٦ ص١٢٧ وفتح الباري ج٩ ص٩٠ وج١٠ ص٤٢٨ وعمدة القاري ج٢٠ ص٦٥ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٢٩٨ وصحيح ابن حبان ج٢ ص٢١ وأحكام القرآن ج٣ ص٣٩١ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٢٦١ وج٩ ص٣٢٨.

وروي قريب من ذلك في المصادر التالية: مسند أحمد ج٦ ص٢٢٦ و ٦٧ و ٢٤٥ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٤٨٣ وبحار الأنوار ج٦٤ ص٣٤٤ والمعجم الكبير ج٩ ص٣٧ و ٣٨ ومجمع الزوائد ج٤ ص٣٠١ وكنز العمال ج٣ ص٤٧ وج٦ ص٥٦٥ وسير أعلام النبلاء ج٩ ص١٩٠ وج١ ص١٥٨ وكتاب المسند للشافعي ص١٠٤.

بل كانت في صراط خشيته له تعالى، فإذا جاء التكفل الإلهي بأنه تعالى هو الذي يكفيه هذا الأمر، ولم يبق هناك ما يخشاه من قبلهم، فما عليه إلا أن يصرف همه إلى ما يحتاج إلى إنجاز مما كلفه الله تعالى به وأراده منه.. مما له أعظم الأثر في تحقيق الأغراض الإلهية السامية.

فليس في خشية للناس ما ينقص من مقامه، بل هو يزيد من مقامه، ويؤكد باهر عظمته، وعمق إخلاصه..

«أحق» أن تخشاه:

وأما التعبير بكلمة «أحق» في قوله تعالى: ﴿**وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾ فليس فيه أي إيحاء سلبي، بل هو مثل قوله تعالى: ﴿**عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ**﴾، فهو مدح وثناء بصيغة عتاب، لبيان الدرجات العالية التي بلغها «صلى الله عليه وآله» في الخشية له تعالى.

وذلك لأن مفادها: أنك يا محمد تخشى الناس، بمعنى أنك تعمل بحذر، بهدف تحصين عملك في نشر الرسالة من الإبطال بما يثار من شبهات وأباطيل من قبل هؤلاء الناس.

وروي أيضاً عن المصادر التالية: الدر المنثور ج٢ ص٣١٠ وصحيح مسلم (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٣٨ و ٢١٤ وسنن أبي داود ج١ ص٥٣٤ وصحيح ابن حبان ج٨ ص٣١٠ والمصنف للصنعاني ج٦ ص١٦٨ وج٢ ص١٦٠ وج٧ ص١٥١ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص١٩٥ والشفاء ج٢ ص١٧٢ وتفسير البيضاوي ج٤ ص١٨٢ والإصابة ج٤ ص٤٨٧.

وما تفعله يا محمد أمر حسن كان لا بد منه في السابق.. ولكن الأمر الآن قد اختلف، فإن الله تعالى قد تكفل بإبطال كيد هؤلاء الناس، فيجب أن يتمحض عملك بعد الآن في خشية أخرى هي أهم وأولى. وهي خشية الله سبحانه وتعالى، ومراقبته فيما يطلبه منك، لتأتي به على أفضل وجه وأتمه، فإنك لم تعد مكلفاً بمراعاة الحذر في هذا الجانب.

فلماذا تتعب نفسك في أمر تحمله الله تعالى عنك؟! ولماذا تحمِّل نفسك أثقالاً وهموماً عظيمة، مع أنه يكفيك الاهتمام بمراعاة جانب واحد، وتخفف عن نفسك فيما عداه، مما تكفل الله سبحانه به، وسيدفع عنك شرهم وكيدهم فيه..

وليس في الآية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين خشي الناس لم يخش الله تعالى، وليس فيها: أنه «صلى الله عليه وآله» مخطئ في خشيته للناس، بل فيها ترجيح لخشية الله تعالى، وأنها هي الأهم والأولى.

فهو أسلوب من أساليب الإخبار بكفاية الله له أحد الأمرين اللذين كانا مفروضين عليه معاً. وبعد أن حصلت الكفاية من أحدهما، فعليه أن يصرف كل جهده في إنجاز الأمر الآخر، الذي هو على درجة عظيمة من الأهمية، بحيث يكاد يجب ترك كل شيء من أجله..

وهذا من قبيل من يشرب دواءً لشفاء بعض الأمراض، ثم يطمأنه الله تعالى إلى أنه قد تكفل بدفعها عنه، فعليه أن يهتم بمعالجة الأمور الأخرى التي تحتاج إلى جهد من نوع آخر.

أو هو من قبيل قولك: الطبيب الفلاني يعالج مرضى القلب ومرضى

الملاريا والأولى والأهم معالجة مرضى القلب، ولا سيما بعد أن تكفل طبيب آخر بمعالجة مرضى الملاريا.

فليس معنى هذا: أنه قد أخطأ في معالجته لمرضى الملاريا إلى جانب مرضى القلب، بل معناه: أن كلا الأمرين كانا حقاً، لكن معالجة مرضى القلب أحق وأولى.

ألم يكن صلى الله عليه وآله يخشى الله؟!:

وملاحظة أخيرة نذكرها هنا، وهي: أن أول آية في سورة الأحزاب بدأت هكذا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**..﴾ وهذا يشير إلى إرادة تعظيم أمر التقوى والحث عليها، حتى إن الله تعالى يطلب من نبيه أن لا يقتصر على بعض مراتبها، بل المطلوب هو السعي لنيل سائر المراتب السامية منها.

فالأمر بالتقوى لا يستبطن اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بعدم مراعاة جانبها.. وكذلك الحال بالنسبة لمراتب الخشية من الله تعالى. فإن قوله تعالى: ﴿**وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾ لا يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يفعل ذلك، بل فيها: أن عليه أن يواصل السير في طريق الخشية، ونيل مراتبها، التي بعضها أهم من بعض واحدة بعد أخرى.

فخشية الله مطلوبة في السير والسلوك إليه تعالى، فهي كمعرفة الله، وتقواه وطاعته، حيث لا موضع للقول بالجبر في أفعال العباد[(١)].

(١) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج١٤ ص١١٨ ـ

وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ:

أما عن كيفية الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ وبين قوله سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، إذ كيف يحصي الله كل شيء في الوصي والإمام. ثم يقول النبي «صلى الله عليه وآله»: إنه لا يعرف ما يفعل به، أليس النبي أولى بمعرفة كل شيء؟!

أليس هذا إزراء وإهانة وانتقاصاً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فنقول في جوابه:

إنه «صلى الله عليه وآله» حين قال: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ لا يريد نفي علمه بالغيب عن طريق الوحي الإلهي، والتعليم الرباني. بل هو قد نفى ما يدعيه الكفار من أن من صفات الأنبياء علمهم بالغيب بصورة ذاتية، وامتلاكهم قدرات مطلقة، تجعل ذلك من ضروريات حياتهم، ومن طبائعهم وخصائصهم التي تميزهم عن سائر البشر.

فنفى رسول الله «صلى الله عليه وآله» هذا الزعم، وقرر أنه لا يملك قدرات وخصائص ذاتية تمكنه من علم الغيب، ومن التصرفات الخارقة، بحيث يكون امتلاكه لهذه الخصائص هو الذي دعا إلى اتخاذه نبياً.

ومع انتفاء هذه الأمور عنه «صلى الله عليه وآله» يظهر أن ما يجري عليه وعليهم من حوادث خارج عن اختياره وإرادته.

ولكن ذلك لا يمنع من أن يعلمه الله تعالى ببعض أو بكل غيبه، فقد

.١٢٢

قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾[١].

وقال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ..﴾[٣].

---

(١) من الآية ٤٩ من سورة هود.

(٢) من الآية٤٤ من سورة آل عمران، ومن الآية ١٠٢ من سورة يوسف.

(٣) من الآية ٢٧ من سورة الجن.

الفصل التاسع:

النص الأقرب.. والأصوب..
مشكلات قرآنية، وحلها..

بداية:

لعل حديث الزنديق في الفصل السابق تعرض لبعض التصرف الذي أفسد بعض مضامينه، ولعل الصحيح، هو هذه الرواية التي ذكرناها آنفاً.

حوار حول القرآن:

روى الشيخ الصدوق «رحمه الله» عن القطان، عن ابن زكريا القطان، عن ابن حبيب، عن أحمد بن يعقوب بن مطر، عن محمد بن الحسن بن عبد العزيز الأحدب الجنديسابوري قال: وجدت في كتاب أبي بخطه: حدثنا طلحة بن يزيد، عن عبيد الله عبيد، عن أبي معمر السعداني أن رجلاً أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» فقال:

يا أمير المؤمنين إني قد شككت في كتاب الله المنزل.

فقال له علي «عليه السلام»: ثكلتك أمك، وكيف شككت في كتاب الله المنزل؟!

قال: لأني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً، فكيف لا أشك فيه.

فقال علي بن أبي طالب «عليه السلام»: إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً، ولا يكذب بعضه بعضاً، ولكنك لم ترزق عقلاً تنتفع به، فهات ما

شككت فيه من كتاب الله عز وجل.

قال له الرجل: إني وجدن الله يقول: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾.

وقال أيضاً: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

فمرة يخبر أنه ينسى، ومرة يخبر أنه لا ينسى، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟!

قال: هات ما شككت فيه أيضاً

قال: وأجد الله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.

وقال: وقد استنطقوا فقالوا: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

وقال: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾.

وقال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

وقال: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾.

وقال: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

فمرة يخبر: [أنهم يتكلمون، ومرة] أنهم ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، ومرة يخبر أن الخلق لا ينطقون، ويقول عن مقالتهم: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. ومرة يخبر أنهم يختصمون، فأنى ذلك يا أمير

المؤمنين؟! وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

قال: هات ويحك ما شككت فيه.

قال: وأجد الله عز وجل يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

ويقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

ويقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾.

ويقول: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ومن أدركته الأبصار فقد أحاط به العلم[1]، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟! وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

قال: هات أيضاً ويحك ما شككت فيه.

قال: وأجد الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾.

وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

وقال: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾.

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾.

---

(١) يلاحظ: أن نفس هذه العبارة وردت على لسان الإمام الرضا «عليه السلام» في جوابه لأبي قرة حين ادعى رؤية الله تعالى حين المعراج، أو في الآخرة.

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾. فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟! وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

قال: هات ويحك ما شككت فيه.

قال: وأجد الله جل جلاله يقول: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ وقد يسمى الإنسان سميعاً بصيراً وملكاً ورباً يخبر أن له أسامي كثيرة مشتركة، ومرة يقول: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟! وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

قال: هات ويحك ما عندك.

قال: ووجدت الله تبارك اسمه يقول: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

ويقول: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾.

ويقول: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ كيف ينظر إليهم من يحجب عنه، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟! وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

قال: هات ويحك أيضاً ما شككت فيه.

قال: وأجد الله عز ذكره يقول: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾.

وقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

وقال: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾.

وقال: إنه هو الظاهر والباطن ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾..

وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾.

فأنى ذلك يا أمير المؤمنين!! وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

قال: هات أيضاً ويحك ما شككت فيه.

قال: وأجد الله جل ثناؤه يقول: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾. وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾.

فمرة يقول: يأتي ربك، ومرة يقول: يوم يأتي بعض آيات ربك، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟! وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

قال: هات ويحك ما شككت فيه.

قال: وأجد الله جل جلاله يقول: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾.. وذكر المؤمنين فقال: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

وقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾.

وقال: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ﴾

وقال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾.

فمرة يخبر أنهم يلقونه، ومرة يخبر أنه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.

ومرة يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

قال: هات ويحك ما شككت فيه.

قال: وأجد الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾.

وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾.

وقال: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾.

فمرة يخبر أنهم يظنون، ومرة يخبر أنهم يعلمون، والظن شك، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟! وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

قال: ويحك هات ما شككت فيه.

قال: وأجد الله تعالى ذكره يقول: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

وقال: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

وقال: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.

وقال: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾.

وقال: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟! وكيف لا أشك فيما تسمع؟! وقد هلكت إن لم ترحمني، وتشرح لي صدري فيما عسى أن يجري ذلك على يديك، فإن

كان الرب تبارك وتعالى حقاً، والكتاب حقاً، والرسل حقاً، فقد هلكت وخسرت، وإن لم تكن الرسل باطلاً فما علي بأس، وقد نجوت.

فقال علي «عليه السلام»: قدوس ربنا قدوس، تبارك وتعالى علواً كبيراً. نشهد أنه هو الدائم الذي لا يزول، ولا نشك فيه، و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وأن الكتاب حق، وأن الثواب والعقاب حق.

فإن رزقت زيادة إيمان أو حرمته فإن ذلك بيد الله، إن شاء رزقك، وإن شاء حرمك ذلك. ولكن سأعلمك ما شككت فيه، ولا قوة إلا بالله، فإن أراد الله بك خيراً أعلمك بعلمه، وثبتك، وإن يكن شراً ضللت وهلكت.

أما قوله: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ إنما يعني ﴿نَسُوا اللهَ﴾ في دار الدنيا، لم يعملوا بطاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ في الآخرة، أي لم يجعل لهم في ثوابه شيئاً، فصاروا منسيين من الخير.

وكذلك تفسير قوله عز وجل: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾؟! يعني بالنسيان أنه لم يثبهم كما يثيب أولياءه الذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين، حين آمنوا به وبرسله، وخافوه بالغيب.

وأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، فإن ربنا تبارك وتعالى علواً كبيراً ليس بالذي ينسى ولا يغفل، بل هو الحفيظ العليم. وقد يقول العرب في باب النسيان: قد نسينا فلان، فلا يذكرنا، أي أنه لا يأمر لهم بخير، ولا يذكرهم به.

فهل فهمت ما ذكر الله عز وجل؟!

قال: نعم فرجت عني فرج الله عنك، وحللت عني عقدة، فعظم الله أجرك.

قال: وأما قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.

وقوله: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

وقوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

وقوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾.

وقوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فإن ذلك في [مواطن] غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة.

يجمع الله عز وجل الخلائق يومئذٍ في مواطن:

يتفرقون، ويكلم بعضهم بعضاً، ويستغفر بعضهم لبعض، أولئك الذين كان منهم الطاعة في دار الدنيا من الرؤساء والأتباع، ويلعن أهل المعاصي الذين بدت منهم البغضاء، وتعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا، المستكبرين والمستضعفين يكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً.

والكفر في هذه الآية البراءة، يقول: فيبرأ بعضهم من بعض، ونظيرها في سورة إبراهيم «عليه السلام» قول الشيطان: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾.

وقول إبراهيم خليل الرحمان: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ يعني تبرأنا منكم.

ثم يجتمعون في موطن آخر يبكون فيه، فلو أن تلك الأصوات بدت

لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلق عن معايشهم، ولتصدعت قلوبهم إلا ما شاء الله، فلا يزالون يبكون الدم.

ثم يجتمعون في موطن آخر، فيستنطقون فيه، فيقولون: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فيختم الله تبارك وتعالى على أفواههم، ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود، فتشهد بكل معصية كانت منهم، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم، فيقولون لجلودهم: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

ثم يجتمعون في موطن آخر، فيستنطقون، فيفر بعضهم من بعض، فذلك قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ فيستنطقون، فلا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، فيقوم الرسل صلى الله عليهم فيشهدون في هذا الموطن، فذلك قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.

ثم يجتمعون في موطن آخر، فيكون فيه مقام محمد «صلى الله عليه وآله» وهو المقام المحمود، فيثني على الله تبارك وتعالى بما لم يثن عليه أحد من قبله.

ثم يثني على الملائكة كلهم، فلا يبقى ملك إلا أثنى عليه محمد «صلى الله عليه وآله».

ثم يثني على الرسل بما لم يثن عليهم أحد مثله.

ثم يثني على كل مؤمن ومؤمنة، يبدأ بالصديقين والشهداء، ثم بالصالحين، فحمده أهل السماوات وأهل الأرض. وذلك قوله عز وجل: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾.

فطوبى لمن كان له في ذلك المقام حظ ونصيب، وويل لمن لم يكن له في ذلك المقام حظ ولا نصيب.

ثم يجتمعون في موطن آخر، ويدال بعضهم على بعض.

وهذا كله قبل الحساب فإذ أخذ في الحساب شغل كل إنسان بما لديه، نسأل الله بركة ذلك اليوم.

قال: فرجت عني فرج الله عنك يا أمير المؤمنين، وحللت عني عقدة فعظم الله أجرك.

فقال «عليه السلام»: وأما قوله عز وجل: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**.

وقوله: **﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾**.

وقوله: **﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾**.

وقوله: **﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾**.

فأما قوله: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**، فإن ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله عز وجل بعد ما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمى الحيوان، فيغتسلون فيه، ويشربون منه، فتنضر وجوههم إشراقاً، فيذهب عنهم كل قذى ووعث، ثم يؤمرون بدخول الجنة، فمن هذا المقام ينظرون إلى ربهم كيف يثيبهم، ومنه يدخلون الجنة.

فذلك قول الله عز وجل في تسليم الملائكة عليهم: **﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾**.

فعند ذلك أيقنوا بدخول الجنة، والنظر إلى ما وعدهم ربهم. فذلك قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. وإنما يعني بالنظر إليه النظر إلى ثوابه تبارك وتعالى.

وأما قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، فهو كما قال: لا تدركه الأبصار، ولا تحيك به الأوهام، وهو يدرك الأبصار، يعني يحيط بها، وهو اللطيف الخبير.

وذلك مدح امتدح به ربنا نفسه تبارك وتعالى وتقدس علواً كبيراً.

وقد سأل موسى «عليه السلام» وجرى على لسانه من حمد الله عز وجل ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، فكانت مسألة تلك أمراً عظيماً، وسأل أمراً جسيماً، فعوقب، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ في الدنيا حتى تموت فتراني في الآخرة، ولكن إن أردت أن تراني في الدنيا فانظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني.

فأبدى الله جل ثناؤه بعض آياته، وتجلى ربنا تبارك للجبل، فتقطع الجبل فصار رميماً وخر موسى صعقاً ثم أحياه الله وبعثه، فقال: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. يعني أول مؤمن آمن بك منهم أنه لن يراك.

وأما قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ يعني محمداً، حيث لا يجاوزها خلق من خلق الله.

وقوله في آخر الآية: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ رأى جبرئيل «عليه السلام» في صورته مرتين: هذه المرة، ومرة أخرى. وذلك أن خلق جبرئيل «عليه السلام» عظيم، فهو من الروحانيين

الذين لا يدرك خلقهم وصفتهم إلا الله رب العالمين.

وأما قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ لا تحيط الخلائق بالله عز وجل علماً، إذ هو تبارك وتعالى جعل على أبصار القلوب الغطاء، فلا فهم يناله بالكيف، ولا قلب يثبته بالحدود، فلا نصفه إلا كما وصف نفسه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، الأول الآخر، والظاهر والباطن، الخالق الباري، المصور، خلق الأشياء فليس من الأشياء شيء مثله تبارك وتعالى.

فقال: فرجت عني فرج الله عنك، وحللت عني عقدة، فأعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين.

[فقال «عليه السلام»]: «وأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾، وقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، وقوله: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ وقوله: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ما ينبغي لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً، وليس بكائن إلا من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء، كذلك قال الله تبارك وتعالى علواً كبيراً قد كان الرسول يوحى إليه من رسل السماء، رسل الأرض، وقد كان الكلام بين رسل أهل الأرض وبينه من غير أن يرسل بالكلام مع رسل أهل السماء.

وقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا جبرئيل هل رأيت ربك؟!

فقال جبرئيل «عليه السلام»: إن ربي لا يرى.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: فمن أين تأخذ الوحي؟!

فقال: آخذه من إسرافيل.

فقال: ومن أين يأخذه إسرافيل؟!

قال: يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين.

قال: فمن أين يأخذه ذلك الملك؟!

قال: يقذف في قلبه قذفاً.

فهذا وحي، وهو كلام الله عز وجل، وكلام الله ليس بنحو واحد، منه ما كلم الله به الرسل، ومنه ما قذفه في قلوبهم، ومنه رؤيا يريها الرسل، ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ، فهو كلام الله.

فاكتف بما وصفت لك من كلام الله، فإن معنى كلام الله ليس بنحو واحد، فإنه منه ما تبلغ منه رسل السماء رسل الأرض.

قال: فرجت عني فرج الله عنك، وحللت عني عقدة، فعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين.

[فقال «عليه السلام»:] وأما قوله: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾، فإن تأويله هل تعلم له أحداً اسمه الله، غير الله تبارك وتعالى.

فإياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء، فإنه رب تنزيل يشبِّه بكلام البشر، وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر، كما ليس شيء من خلقه يشبهه، كذلك لا يشبه فعله تعالى شيئاً من أفعال البشر، ولا يشبِّه شيء من كلامه بكلام البشر.

فكلام الله تبارك وتعالى صفته، وكلام البشر أفعالهم، فلا تشبه كلام الله بكلام البشر، فتهلك وتضل.

قال: فرجت عني فرج الله عنك، وحللت عني عقدة، فعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين.

قال «عليه السلام»: وأما قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾. كذلك ربنا لا يعزب عنه شيء، وكيف يكون من خلق الأشياء لا يعلم ما خلق، وهو الخلاق العليم؟!

وأما قوله: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يخبر أنه لا يصيبهم بخير. وقد يقول العرب: والله ما ينظر إلينا فلان. وإنما يعنون بذلك أنه لا يصيبنا بخير، فذلك النظر هاهنا من الله تبارك وتعالى إلى خلقه، فنظره إليهم رحمة لهم

قال: فرجت عني فرج الله عنك، وحللت عني عقدة، فعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين.

فقال «عليه السلام»: وأما قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، فإنما يعني بذلك يوم القيامة: أنهم عن ثواب ربهم يومئذ لمحجوبون، وقوله: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾. وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾. وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾.

فكذلك الله تبارك وتعالى سبوحاً قدوسا أن يجري منه ما يجري من

المخلوقين، وهو اللطيف الخبير، وأجل وأكبر أن ينزل به شيء مما ينزل بخلقه، شاهد لكل نجوى.

وهو الوكيل على كل شيء، والمنير لكل شيء. والمدبر للأشياء كلها. تعالى الله عن أن يكون على عرشه علواً كبيراً.

وأما قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. وقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾. وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، فإن ذلك حق كما قال الله عز وجل وليس له جيئة كجيئة الخلق، وقد أعلمتك أن رُبَّ شيء من كتاب الله تأويله على غير تنزيله، ولا يشبه كلام البشر. وسأنبؤك بطرف منه. فنكتفي إن شاء الله من ذلك بقول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾، فذهابه إلى ربه توجهه إليه عبادة واجتهاداً، وقربة إلى الله عز وجل. ألا ترى أن تأويله غير تنزيله؟!

وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾. يعني السلاح وغير ذلك.

وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يخبر محمداً «صلى الله عليه وآله» عن المشركين والمنافقين الذين لم يستجيبوا لله ولرسوله، فقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ حيث لم يستجيبوا لله ولرسوله ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يعني بذلك العذاب في دار الدنيا كما عذب القرون الأولى، فهذا خبر يخبر به النبي «صلى الله عليه وآله» عنهم.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ

مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾. يعني من قبل أن تجيء هذه الآية. وهذه الآية طلوع الشمس من مغربها.

وإنما يكتفي أولوا الألباب والحجى وأولوا النهى أن يعلموا أنه إذا انكشف الغطاء رأوا ما يوعدون، وقال في آية أخرى: **﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾** يعني أرسل عليهم عذاباً، وكذلك إتيانه بنيانهم، وقال الله عز وجل: **﴿فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾**، فإتيانه بنياهم من القواعد إرسال العذاب، وكذلك ما وصف من أمر الآخرة تبارك اسمه وتعالى علواً كبيراً، وتجري أموره في ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة، كما تجري أموره في الدنيا، لا يلعب ولا يأفل مع الآفلين

فاكتف بما وصفت لك من ذلك، مما جال في صدرك مما وصف الله عز وجل في كتابه. ولا تجعل كلامه ككلام البشر، هو أعظم وأجل، وأكرم وأعز، وتبارك وتعالى من أن يصفه الواصفون، إلا بما وصف نفسه في قوله عز وجل: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**.

قال: فرجت عني يا أمير المؤمنين، فرج الله عنك، وحللت عني عقدة.

[فقال «عليه السلام»:] وأما قوله: **﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾**، وذكره المؤمنين **﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾**. وقوله لغيرهم: **﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ﴾**. وقوله: **﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾**

فأما قوله: **﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾**. يعني: البعث، فسماه الله عز وجل لقاءه، وكذلك ذكره المؤمنين **﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾**.

يعني: يوقنون أنهم يبعثون ويحشرون، ويحاسبون، ويجزون بالثواب والعقاب.

والظن هاهنا اليقين. وكذلك قوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾. وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ الله فَإِنَّ أَجَلَ الله لَآَتٍ﴾. يعني فمن كان يؤمن بأنه مبعوث فإن وعد الله لآت من الثواب والعقاب.

فاللقاء هاهنا ليس بالرؤيا، واللقاء هو البعث، فافهم جميع ما في كتاب الله من لقائه، فإنه يعني بذلك البعث.

وكذلك قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾. يعني: أنه لا يزول الإيمان عن قلوبهم يوم يبعثون.

قال: فرجت عني يا أمير المؤمنين، فرج الله عنك، فقد حللت عني عقدة.

[فقال «عليه السلام»:] وأما قوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾. يعني: أيقنوا أنهم داخلوها، وأما قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾. وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾. وقوله للمنافقين: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾.

فإن قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾. يقول: إني ظننت أني أبعث فأحاسب، لقوله: ﴿مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾..

وقوله للمنافقين: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾ فهذا الظن ظن شك، فليس الظن ظن يقين

والظن ظنان: ظن شك، وظن يقين. فما كان من أمر معاد من الظن فهو ظن يقين، وما كان من أمر الدنيا فهو ظن شك.

فافهم ما فسرت لك.

قال: فرجت عني يا أمير المؤمنين، فرج الله عنك.

[فقال «عليه السلام»:] وأما قوله تبارك وتعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾، فهو ميزان العدل، يؤخذ به الخلائق يوم القيامة، يدين الله تبارك وتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين، وفي غير هذا الحديث الموازين هم الأنبياء والأوصياء «عليهم السلام»، وقوله عز وجل: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾. فإن ذلك خاصة.

وأما قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: قال الله عز وجل: لقد حقت كرامتي [أو قال: مودتي] لمن يراقبني ويتحاب بجلالي، إن وجوههم يوم القيامة من نور، على منابر من نور، عليهم ثياب خضر.

قيل: من هم يا رسول الله؟!

قال: قوم ليسوا بأنبياء ولا شهداء، ولكنهم تحابوا بجلال الله، ويدخلون الجنة بغير حساب، نسأل الله أن يجعلنا منهم برحمته.

وأما قوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، فإنما يعني الحساب بوزن السيئات، والحسنات ثقل الميزان والسيئات خفة الميزان.

وأما قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ وقوله: ﴿اللهُ

يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

وقوله: ﴿**تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ**﴾. وقوله: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ**﴾ وقوله: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ**﴾.

فإن الله تبارك وتعالى يدبر الأمور كيف يشاء، ويوكل من خلقه من يشاء بما يشاء، أما ملك الموت فإن الله عز وجل يوكله بخاصة من يشاء من خلقه. ويوكل رسله من الملائكة خاصة بما يشاء من خلقه تبارك وتعالى، والملائكة الذين سماهم الله عز وجل وكَّلهم بخاصة من يشاء من خلقه تبارك وتعالى. يدبر الأمور كيف يشاء.

وليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسره لكل الناس، لأن منهم القوي والضعيف، ولأن منه ما يطاق حمله، ومنه ما لا يطاق حمله إلا أن يسهل الله له حمله، وأعانه عليه من خاصة أوليائه، وإنما يكفيك أن تعلم أن الله المحيي المميت، وأنه يتوفى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم.

قال: فرجت عني يا أمير المؤمنين، أنفع الله المسلمين بك.

فقال علي «عليه السلام» للرجل: لئن كنت قد شرح الله صدرك بما قد بينت لك، فأنت والذي فلق الحبة وبرء النسمة من المؤمنين حقاً.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين كيف لي بأن أعلم أني من المؤمنين حقاً؟!

قال: لا يعلم ذلك إلا من أعلمه الله على لسان نبيه «صلى الله عليه وآله»، وشهد له رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالجنة، أو شرح الله صدره

ليعلم ما في الكتب التي أنزلها الله عز وجل على رسله وأنبيائه.

قال: يا أمير المؤمنين ومن يطيق ذلك.

قال: من شرح الله صدره ووفقه له، فعليك بالعمل لله في سر أمرك وعلانيتك، فلا شيء يعدل العمل(١).

ونقول:

إن لنا مع هذه الرواية وقفات، هي التالية:

ليس هذا جبراً:

ذكر «عليه السلام» لذلك الشاك: إن الإيمان رزق، إن الله حرمه منه، وإن شاء رزقه إياه..

ونقول:

ليس هذا من باب الجبر الإلهي، فإن الإنسان هو الذي يتسبب بالرزق لنفسه، أو بحرمانه منه، من خلال ما يصدر عنه من أعمال طاعة، أو من أفعال معصية. ومن ذلك تصفية نيته وتطهير نفسه أو تخبيثها بالنوايا السيئة، وإخماد الجحود أو غيره. فيستحق إفاضة الألطاف الإلهية، أو الحرمان منها.

وهذا هو الذي يبين المراد من قوله تعالى: ﴿**يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾. ثم يقول: ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾.

---

(١) التوحيد ص١٨١ ـ ١٩٣ وبحار الأنوار ج٩٠ ص١٢٧ ـ ١٤٢ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص٥٩ ـ ٧٨.

وقوله «عليه السلام»: وإن أراد الله بك خير أعلمك، وإن يكن شراً ضللت وهلكت، هو الآخر قد جاء وفق قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾.

هل تشهد الجوارح بالشرك؟!:

وتقدم في الرواية: أن في يوم القيامة موقفاً يقول فيه المشركون: ﴿**وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾، فيختم الله على أفواههم، ويستنطق الأيديَ والأرجل والجلود، فتشهد بكل معصية كانت منهم..

فيرد السؤال الذي يقول:

إن الجوارح إنما تشهد بالأفعال، والمطلوب هو كشف أمر اعتقادي موطنه القلب والضمير، ولا ربط للجوارح به..

ونجيب بأمرين:

الأول: قد تشهد الجوارح بمعاصٍ لا يفعلها إلا أهل الشرك، كاستلام الأصنام، والذبح والنذر لها، والتمسح بها على سبيل التبرك، والدعوة إلى تعظيمها، وإظهار الرضا بعبادتها، وما إلى ذلك.

الثاني: إن الجوارح حين تشهد على أصحابها بمعاصيهم التي مارسوها بها، فذلك يعني أن لها درجة من التعقل، تجعلها قادرة على أداء الشهادة. كما لا مانع من أن تكون للمعاصي آثار على تلك الجوارح يكون ظهورها عليها بمثابة الشهادة بها..

وعلى هذا نقول:

من الذي قال: إن الجوارح لا تدرك حتى الاعتقادات، من الإيمان

والشرك الساكن في قلب الإنسان، وكل ما هو فعل اختيار له، سواء أكان جوارحياً أو جوانحياً؟!

بل من الذي قال: إن الشرك بما له من ظلمات وآثار رديئة لا تصل ظلماته وآثاره إلى هذه الجوارح أيضاً، كما أن نور الإيمان، وآثاره الحميدة تغمر كل وجود الإنسان وكيانه، ومنها الجوارح؟!

وقد يشهد لما نقول:

إن الإنسان في نطاق الأحكام الشرعية، فإنه حين يكون مؤمناً، يكون طاهر الذات، ويعامل على هذا الأساس.

أما الكافر، وخصوصاً المشرك، فإنه محكوم بالنجاسة. فإذا أسلم صار طاهراً، وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾، وهذا صحيح حتى لو قلنا: إن المقصود هو النجاسة المعنوية، لا الحسية.

هل هذا تصحيف؟!:

وتقدم في الحديث: أن موسى «عليه السلام» حين سأل الله الرؤية، وتجلى ربه للجبل فجعله دكاً قد «سأل أمراً جسيماً فعوقب».

ويمكن أن يكون المقصود به: حصول الصعقة لموسى، لهول الأمر. والصعقة تطلق على الموت، وعلى الغشية.

وقد يكون الصحيح: «فعوتب» بالتاء. لكنها صحفت بسبب التقارب في رسم الكلمة.

وقد يقال:

إنه «عليه السلام» لم يرتكب ذنباً بطلبه هذا فلماذا يعاقب ؟! إذ هو لم يقصد الرؤية البصرية قطعاً، لأنها مستحيلة عقلاً.. والذي طلبه «عليه السلام» هو خصوص رؤية القلب.

ولا يمكن أن يكون موسى جاهلاً باستحالة الرؤية البصرية، وإلا لكان المفروض هو أن يسأل الله تعالى أن يحقق له الرؤية البصرية بمجرد أن بُعِثَ نبياً، إذ من الطبيعي أن يتساءل في نفسه في تلك اللحظة عن ذلك الذي أرسل إليه الملك أين هو؟! وكيف هو؟! ويطلب من الملك أن يأخذه إليه، ويريه إياه.

ولو فرضنا أن لم يكن الوحي بواسطة الملك، فكان المفروض به أن يطلب منه تعالى أن يريه نفسه، لكي يتفق معه على كيفية القيام بالمهمات الموكلة إليه..

المقصود بالرؤية في الجنة:

فالذي يبدو لنا: هو أن أهل الإيمان حين يدخلون الجنة تصبح لهم طاقة على استقبال بعض مراتب تجليات نور العظمة الإلهية بحيث يصبح بإمكانهم أن يعلموا بها علماً ضرورياً، أو فقل: وجدانياً يستقر في قلوب أهل الجنة. كل بحسب ما أهلته له أعماله الصالحة.

ولعل هذا المقدار فقط هو الذي حصل للجبل، فاندك وتلاشى، وخر موسى صعقاً، وهو وإن لم يكن ممكناً في الدنيا بسبب ضعف نشأتها، فإن الأعمال الصاحة فيها سترتقي بقدرات الإنسان المؤمن ليصبح قادراً على

استقبال هذا المقدار من التجلي في الآخرة، حين يصير في الجنة. وقد ورد في بعض الروايات: أن ذلك سيحصل لهم(١).

ولكنه ليس تجلياً حقيقياً لنور حسي، وإنما هو التجلي العلمي الأكثر ظهوراً للقلوب والأرواح، لا الرؤية الحسية للعيون، فإنها مستحيلة في الدنيا وفي الآخرة، لأنها إنما تتعلق بقدرٍ، وشكل لون، وضوء في جهة ومكان، بواسطة أداة.

ويدل على ما ذكرناه رواية الإمام الصادق «عليه السلام»:

حدثنا الحسين بن علي، قال: حدثنا هارون بن موسى، قال: محمد بن الحسن، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن يعقوب بن يزيد [عن محمد] بن أبي عمير، عن هشام قال:

كنت عند الصادق جعفر بن محمد «عليهما السلام» إذ دخل عليه معاوية بن وهب وعبد الملك بن أعين، فقال له معاوية بن وهب: يا ابن رسول الله، ما تقول في الخبر الذي روي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رأى ربه على أي صورة رآه؟! وعن الحديث الذي رووه: أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة على أي صورة يرونه؟!

فتبسم «عليه السلام» ثم قال: يا فلان، ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه لا يعرف الله

---

(١) راجع: الاختصاص للشيخ المفيد ص٣٤٥ ـ ٣٥٨ وبحار الأنوار ج٨ ص٢٠٧ ـ ٢١٧ وألف حديث في المؤمن للنجفي ص٣٠٨ و ٣١١.

حق معرفته.

ثم قال «عليه السلام»: يا معاوية، إن محمداً «صلى الله عليه وآله» لم ير ربه تبارك وتعالى بمشاهدة العيان، وإن الرؤية على وجهين: رؤية القلب، ورؤية البصر. فمن عنى برؤية القلب فهو مصيب، ومن عنى برؤية البصر فقد كفر بالله وبآياته، لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من شبه الله بخلقه فقد كفر.

ولقد حدثني أبي عن أبيه عن الحسين بن علي «عليهم السلام» قال: سئل أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقيل له: يا أخا رسول الله، هل رأيت ربك؟!

فقال: وكيف أعبد من لم أره؟! لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، وإذا كان المؤمن يرى ربه بمشاهدة البصر، فإن كان من حاز عليه البصر والرؤية فهو مخلوق، ولا بد للمخلوق من الخالق، فقد جعلته إذاً محدثاً مخلوقاً، ومن شبهه بخلقه فقد اتخذ مع الله شريكاً.. ويلهم أولم يسمعوا لقول الله تعالى: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾. وقوله: ﴿**لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾، وإنما طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سم الخياط، فدكدكت الأرض وصعقت الجبال.

فخر موسى صعقاً أي ميتاً، فلما أفاق ورد عليه روحه قال: سبحانك تبت إليك من قول من زعم أنك ترى، ورجعت إلى معرفتي بك أن

الأبصار لا يدركك، وأنا أول المؤمنين وأول المقرين بأنك ترى ولا ترى وأنت بالمنظر الأعلى.

ثم قال «عليه السلام»: إن أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان معرفة الرب والإقرار له بالعبودية، وحد المعرفة: أنه لا إله غيره، ولا شبيه له ولا نظير له، وأنه يعرف أنه قديم مثبت بوجود، غير فقيد، موصوف من غير شبيه ولا مبطل، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وبعده معرفة الرسول والشهادة له بالنبوة، وأدنى معرفة الرسول الإقرار به بنبوته، وأن ما أتى به من كتاب أو أمر أو نهي فذلك عن الله عز وجل.

وبعده معرفة الإمام الذي به يأتم بنعته وصفته واسمه في حال العسر واليسر، وأدنى معرفة الإمام: أنه عدل النبي إلا درجة النبوة، ووارثه، وإن طاعته طاعة الله، وطاعة رسول الله. والتسليم له في كل أمر، والرد إليه والأخذ بقوله، ويعلم أن الإمام بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب، ثم الحسن ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم أنا، ثم من بعدي موسى ابني، ثم من بعده ولده علي، وبعد علي محمد ابنه، وبعد محمد علي ابنه، وبعد علي الحسن ابنه، والحجة من ولد الحسن.

ثم قال: يا معاوية جعلت لك في هذا أصلاً، فاعمل عليه، فلو كنت تموت على ما كنت عليه لكان حالك أسوء الأحوال، فلا يغرنك قول من زعم أن الله تعالى يرى بالبصر.

قال: وقد قالوا أعجب من هذا..

أولم ينسبوا آدم «عليه السلام» إلى المكروه؟!

أولم ينسبوا إبراهيم «عليه السلام» إلى ما نسبوه؟!

أولم ينسبوا داود «عليه السلام» إلى ما نسبوه من القتل من حديث الطير؟!

أولم ينسبوا يوسف الصديق إلى ما نسبوه من حديث زليخا؟!

أولم ينسبوا موسى «عليه السلام» إلى ما نسبوه؟!

أولم ينسبوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى ما نسبوه من حديث زيد؟!

أولم ينسبوا علي بن أبي طالب «عليه السلام» إلى ما نسبوه من حديث القطيفة؟!

إنهم أرادوا بذلك توبيخ الإسلام ليرجعوا على أعقابهم، أعمى الله أبصارهم كما أعمى قلوبهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[1].

والحاصل: أن المراد بالتجلي ليس هو رؤية الحقيقة الإلهية بدرجات متفاوتة، بل هو تجلٍ علمي شديد البداهة يناسب الحياة الآخرة، لا يكون إلا لأهل الجنة.

---

(١) كفاية الأثر ص٢٦٠ ـ ٢٦٤ وبحار الأنوار ج٤ ص٥٤ وج٣٦ ص٤٠٦ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص٣٠ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص١٧٦ ونهج السعادة ج٨ ص٤٠ وتفسير الميزان ج٨ ص٢٥٥ وغاية المرام ج١ ص٢٠٧.

ولعل علم موسى بهذا الأمر، وأنه كائن لأهل الجنة في الآخرة، هو الذي دعاه لطلب الرؤية في الدنيا.

كلام الله تعالى صفته:

وتقدم قوله «عليه السلام» لسائله: «فكلام الله تبارك وتعالى صفته، وكلام البشر أفعالهم»، والمقصود: أن كلامه تعالى ليس مثل كلامنا: بالحركة والتردد في النفس، والتقطيع بالمخارج، وليس المراد أن الكلام من صفات ذاته، فإن هذا أيضاً لا يصح، فقد روى أبو بصير عن أبي عبد الله «عليه السلام»:

«لم يزل الله جل وعز ربنا، والعلم ذاته، ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاتها ولا مقدور.

فلما أحدث الأشياء، وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور.

قال: قلت: فلم يزل الله متكلماً؟!

قال: إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية. وكان الله عز وجل ولا متكلم»[1]..

(١) معاني الأخبار (ط دار المعرفة) ص١٣٩ والكافي ج١ ص١٠٧ والتوحيد للصدوق ص١٣٩ و ٢٢٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٣ ص١٢١ وج٥ ص١٨٨ وج٩ ص٨٧ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٥٧٥ وج٣

قال السيد هاشم الطهراني معلقاً: على قوله: «وقع العلم منه على المعلوم» ما مضمونه:

«أي فلما وجد الذي كان معلوماً له تعالى في الأزل انطبق علمه على معلومه في ظرف الوجود الخارجي، لكون علمه تعالى حقاً، لا جهل فيه.

وليس معنى الوقوع التعلق، لأنه قبل وجوده، فكان قبل وجوده في الخارج معلوماً.

ويعبر عن هذا الانطباق بالعلم الفعلي في قبال العلم البدائي.

فالعلم المنفي قبل وجود المعلوم في حديث آخر هو العلم الفعلي، فإنه لا يصح القول بأن علمه تعالى يقع على معلوم إذا كان لا يوجد معلوم في الخارج.

فلا يصح القول: إن الله يعلم بالشيء في الأزل.

بل يقال: إنه تعالى عالم بالشيء في الأزل، لأن صيغة المضارع تدل على النسبة التلبسية التي تقتضي وجود الطرفين في ظرف واحد»(١).

ص١٣٣ و ١٣٤ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٦٨٧.

(١) معاني الأخبار (ط دار المعرفة) ص١٣٩ والتوحيد للصدوق هامش ص١٤٠.

الفهارس:

١ ــ الفهرس الإجمالي

٢ ــ الفهرس التفصيلي

١ ـ الفهرس الإجمالي

الباب الثالث:

أسئلة وحوارات مع غير المسلمين

الفصل الأول: يوناني يسأل علياً عليه السلام ٧-٤٦

الفصل الثاني: من أسئلة اليهود لعلي عليه السلام................ ٤٧-٨٤

الفصل الثالث:موقف يهودي من فضائل الرسول صلى الله عليه وآله ... ٨٥-١٣٠

الفصل الرابع:

علي وفضائل الرسول صلى الله عليه وآله: دلالات، وتوضيحات .١٣١-١٧٠

الفصل الخامس:

فضائل الرسول صلى الله عليه وآله : المزيد من التوضيحات والدلالات ١٧١-٢٠٦

الفصل السادس: حوار.. وعلامات استفهام..............٢٠٧-٢٣٠

الفصل السابع: زنديق يتحدى ٢٣١-٢٦٨

الفصل الثامن: وقفات مع الحوار السابق ٢٦٩-٣٠٤

الفصل التاسع:

النص الأقرب.. والأصوب.. مشكلات قرآنية، وحلها ٣٠٥-٣٤٠

الفهارس: ٣٤١

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الباب الثالث:
أسئلة وحوارات مع غير المسلمين

الفصل الأول:
يوناني يسأل علياً عليه السلام

علي عليه السلام والطبيب اليوناني: ٩
سند الرواية:... ١٧
وما صاحبكم بمجنون: ١٨
التحدي العلوي:.. ٢٠
المطلوب حفظ نتائج المعجزة: ٢١
المعجزة ونزول العذاب: ٢٢
ما طلبه علي عليه السلام من اليوناني: ٢٣
الشهادة لله بالجود: ٢٣
أفضلية نبينا صلى الله عليه وآله: ٢٥
محمد الذي أنا وصيه:.. ٢٦
النعم التي أولاها علي عليه السلام لليوناني:.................................. ٢٨
علي عليه السلام خير خلق الله: ٢٨

أحق الخلق بالإمامة، وبالقيام بالشرائع:..............................٢٩
المؤمنون يساعدون الرجل على دينه: ٣٠
خير أمة محمد:..٣١
يتحدث عن نفسه بصيغة الغائب:..............................٣٢
المطلوب: المواساة: ٣٢
إعانة المطابقين:..٣٣
المعيار في المساواة:..٣٦
صيانة الدين والعلم والأسرار: ٣٦
هل التقية بحاجة إلى إذن؟!: ٣٨
للتقية حالات مختلفة: ٣٩
الدوران بين الأهم والمهم: ٤٠
هل الدنيا أهم من الدين؟!: ٤١
النفس، والمال، والجاه: ٤٣
عناصر ضرورية للحياة وبقائها: ٤٤
سلبيات التخلي عن التقية:..٤٥

الفصل الثاني:
من أسئلة اليهود لعلي عليه السلام

سل بكل لسانك:..٤٩
ذنب اليهودي، وحلم علي عليه السلام: ٥٢
متابعة التحدي: ٥٣

التحدي بالله سبحانه لا بدونه:..٥٣
يقال: عمر الدنيا سبعة آلاف:..٥٤
أسئلة يهوديين: ٥٥
سؤالان لهما جواب واحد: ٥٩
الصلاة فوق الكعبة:..٦٠
الصلاة في الأمم السالفة: ٦١
هل الأسئلة في مجلس واحد؟!: ٦٤
التعمية المقصودة:..٦٥
متى كان ربك؟!: ٦٦
رأس الجالوت: ٦٩
الكينونة المنفية عنه تعالى: ٦٩
بلا لم يزل، وبلا كيف:..٦٩
متى كان لما لم يكن؟!: ٧٠
قبل القبل وبعد البعد: ٧٠
أنا عبد من عبيد محمد:..٧٠
المراد بقبل القبل: ٧٢
الكينونة ليست زائدة ولا حادثة:..٧٣
صفاته تعالى عين ذاته: ٧٣
بلا كم، وبلا كيف:..٧٤

بلى يا يهودي، ثم بلى يا يهودي: ٧٤
أثر الآيات في قضاء الحاجات: ٧٦

الفصل الثالث:
موقف يهودي من فضائل الرسول صلى الله عليه وآله

اليهودي وفضائل النبي صلى الله عليه وآله: ٨٧

الفصل الرابع:
علي وفضائل الرسول صلى الله عليه وآله: دلالات، وتوضيحات

بداية: ١٣٣
إيضاحات للعلامة المجلسي: ١٣٣
معنى سجود الإعتراف والرحمة: ١٣٨
خطيئة آدم: ١٣٨
هل يتصرف النبي صلى الله عليه وآله من عند نفسه: ١٣٩
الرقة والشفقة.. أم القسوة والشدة؟!: ١٤٠
كيف رضي اليهودي باحتجاجات علي عليه السلام؟!: ١٤٣
يقظة إبراهيم ومحمد عليهما السلام على التوحيد: ١٤٤
ثلاث مئة وستون صنماً على الكعبة: ١٤٧
النبي صلى الله عليه وآله وجثة حمزة عليه السلام: ١٤٨
لولا أن تحزن صفية: ١٤٩
الحسنان سبطان أم حفيدان؟! ١٥١
حزن يعقوب وحزن محمد صلى الله عليه وآله: ١٥٣

الحصر في الشعب أعظم من حبس يوسف: ١٥٤
أضعف خلق الله: ١٥٤
سورتا البقرة والمائدة، بالإنجيل: ١٥٥
الكتاب.. والقرآن: ١٥٥
الجمع بين الكتاب والقرآن: ١٥٦
أين هي الحكمة في كتب المسلمين؟!: ١٥٦
السور البدائل عن الكتب السماوية:........................... ١٦٠
حل إشكال اختلاف الروايات: ١٦٤
فراعنة قريش:.. ١٦٥
الأفضل من المن والسلوى: ١٦٦
تليين الصخر حتى أصبح غاراً: ١٦٧
غارت الصخرة في بيت المقدس:.............................. ١٦٨
قام على أطراف أصابعه:...................................... ١٦٩
على الجبل نبي وصديق شهيد:............................... ١٧٠

الفصل الخامس:

فضائل الرسول صلى الله عليه وآله : المزيد من التوضيحات والدلالات

بداية:... ١٧٣
جبرائيل يقول للنبي صلى الله عليه وآله: تواضع: ١٧٣
بين مكة والقدس وبين مكة والعرش: ١٧٥

الإجابة على السؤال الأول:..١٧٦
المسافة بين مكة وساق العرش:..١٨٢
حل الإشكال:..١٨٤
فدنا بالعلم فتدلى:..١٨٧
رأى نور عظمته بفؤاده:..١٨٩
الإمام الرضا عليه السلام: والروايات المخالفة للقرآن:.......................١٩٠
آيات سورة البقرة متى نزلت:..١٩٥
عرض الآية وعدم القبول:..١٩٧
المؤاخذة بالخطأ والنسيان:...١٩٨
الآصار المرفوعة عن هذه الأمة:...١٩٩
قرض النجاسات:...٢٠٠
حمل القربان إلى بيت المقدس:..٢٠١
ليظهره على الدين كله:..٢٠١
في الطائف دس السم للنبي صلى الله عليه وآله:............................٢٠٣
متى قطعت يد ابن عتيك:..٢٠٤
الشهداء وحقوق الناس:...٢٠٤

الفصل السادس:

حوار.. وعلامات استفهام

لا تصيب أحداً أعلم منا:..٢٠٩
تعهدات اليهودي:...٢١٢

لا تصيب أحداً أعلم منا أهل البيت:.......................... ٢١٣
الوسم معدن الشيء:.. ٢١٥
الأرض.. والثور والصخرة:.................................... ٢١٥
المدبرات أمراً:.. ٢١٥
الحديث عند غير الشيعة: ٢١٦
من هو أبو حسن البكري؟!: ٢١٨
هذا الحديث في روايات الشيعة:................................ ٢١٩
هل الأرض ثابتة:.. ٢٢٠
كروية الأرض في كلام علي عليه السلام: ٢٢١
اختلاف الروايات: ٢٢٦
أول من ركب البغل: ٢٢٧
جعل الماء النتن في منخري آدم: ٢٢٩

الفصل السابع:

زنديق يتحدى

أسئلة زنديق:... ٢٣٣

الفصل الثامن:

وقفات مع الحوار السابق

بداية:... ٢٧١
يا جبرئيل، هل رأيت ربك؟!: ٢٧١
سجود إبليس للتمكين من النظرة:.............................. ٢٧٣
تحريف القرآن:.. ٢٧٤

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى: ٢٧٥
هل هذه كلمات أمير المؤمنين عليه السلام؟!: ٢٧٧
سمى اللعنة قتالاً: ٢٧٨
الأئمة والخلق والرزق: ٢٧٨
النص على الإمامة غير صريح: ٢٨٣
يوشع وصي موسى ابن سبع سنين: ٢٨٨
آيات الإزراء على الرسول صلى الله عليه وآله: ٢٨٩
آية التمني، ونسخ إلقاءات الشيطان: ٢٨٩
آية الركون إلى الكافرين: ٢٩٣
لا تكونن من الجاهلين: ٢٩٥
والله أحق أن تخشاه: ٢٩٦
خشية النبي صلى الله عليه وآله على الدين: ٢٩٧
«أحق» أن تخشاه: ٢٩٩
ألم يكن صلى الله عليه وآله يخشى الله؟!: ٣٠١
وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ: ٣٠٢

الفصل التاسع:
النص الأقرب.. والأصوب.. مشكلات قرآنية، وحلها..
بداية: ٣٠٧
حوار حول القرآن: ٣٠٧

ليس هذا جبراً: ٣٢٦
هل تشهد الجوارح بالشرك؟!: ٣٢٧
هل هذا تصحيف؟!: ٣٢٨
المقصود بالرؤية في الجنة:... ٣٢٩
كلام الله تعالى صفته: ٣٣٤

الفهارس:

١ ـ الفهرس الإجمالي.. ٣٣٩
٢ ـ الفهرس التفصيلي ٣٤١